جامعة أم درمان الإسلاميّة
كّلية الدّراسات العليا
كلية اللّغة العربيّة
قسم الدّراسات النّحوية واللغويّة



القَضَايا الصَّوتيةُ والدَّلالية في كتاب الُمحَتَسِب لابن جِنَّي

دراسة وصفية تحليليَّة في ضوء علم اللَّغة الحديث

مقدمة للحصول على درجة الدَّكتوراه في علم اللغة

إعداد الطَّالبة:
انتصار عثمان إبراهيم عثمان

إشراف الأستاذ الدكتور:
بكري محمد الحاج

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

المقدمة

الحمدُ لله الذي جعل العربيةَ مِفتاحَ كِتابه المُبين، وسرَّ إعجازه للعالمين، والصلاةُ والسلامُ على أفصحِ منَّ نطق بالضاد، ومن أوتي جوامع الكلم، النبيُّ، العربيُّ، الأميُّ المؤيد، بتلك المعجزة الباهرة، وحكمتها السائرة.

وبعد..

إنَّ للعربية براعةً خُصَّت بها، مما جعلها تمتزج بالأفئدة والعقول، فدخلت التاريخ مع خير أمة أخرجت للناس، ويكفي العربية فخراً أن أكثر علمائها الذين ضربوا بسهم وافر في إجادتها كانوا من الأعاجم، كشيخ العربية (سيبويه) وعبقريها (أبوالفتح عثمان ابن جِنِّي) ويكفي عربيتنا فخراً قول ابن جِنِّي فيها: (لو أحسَّت العَجْم – بلطف صناعة العُرب في هذه اللغة، وما فيها من الرقة والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلاً عن التقديم لها).

أهداف الدراسة:

لا شك أنَّ دراسة العربية وبناء فكرها المعاصر، يبدأ من استعادة قراءة التراث القديم في ضوء الفكر الحديث، وهذه الدراسة التي بين أيديكم محاولة مني لذلك نعيد فيها قراءة تراثنا القديم. من خلال جهد عالم– اخْترت أن يكون ابن جِنِّي لأني وجدت من خلال دراستي الجامعية، وبعد تطوافي عشر سنوات في قاعات تدريس علم اللغة وجدت أنَّ معظم ما توصل إليه هذا العالم من حقائق علمية، خاصة في مجال الدراسات الصوتية، والصرفيَّة، والدلالية، في القرن الرابع الهجري لم تكتشفه الآلات في معامل الصوتيات الحديثة، إلا بعد ألف عامٍ من مغيب شمسه عن الوجود، ولعلَّها قد استمدت منه ما هداها، ومهَّد سبيلها.

وأردت أن أقف على ذلك من خلال كتاب يعدُّ خلاصة لفكره اللّغوي، إذ إنه كَتبهُ في آخِر أيام حياته وهو كتاب: (المحتسب في تبيين وجوه شواذِّ القراءات والإيضاح عنها). مستعينة في دراستي بما استقرَّ عليه الفكر اللغوي الحديث.

أسباب اختيار الموضوع:

تضافرت عدة أسباب جعلت من القضايا الصوتية والدلالية في كتاب المحتسب، محوراً لدراستي في هذه المرحلة المهمة من حياتي العلمية وهي:

١/ اتصال الدراسة بالقرآن الكريم، من خلال القراءات القرآنية، التي تمثل مرآة صادقة للواقع اللغوي للغتنا العربية، في تلك الفترة المهمة من نشأة الدراسات اللغوية بمختلف فروعها.

٢/ أن كتاب المحتسب لابن جِنِّي يعد غنياً بمادته اللغوية، خاصة وأنه –كما ذكرت– خلاصة لفكره اللغوي، إذ إنه كتبه في آخر أيام حياته، وربطه صاحبه بهذا النوع من القراءات، المسمَّي (بالقراءات الشاذَّة).

وهو كما قال عنه ابن جِنِّي:

(نازع بالثقة إلى قُرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعلَّه أو كثير منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه، ورُبما كان فيه ما تلطف صنعتُه، وتعنف بغيره فصاحته وتمطوه قوى أسبابه، وترسو به قدم إعرابه).

فهذا النوع من القراءات – وإن كان غير متعبَّد به – قد توفرت له درجةٌ من التوثيق، لا نجدها في مصادر اللغة الأخرى، مما يجعل منها مرآة صادقة، للواقع اللغويَّ الذي كان سائداً في شبه الجزيرة العربية، ووجدت عالمنا ابن جِنِّي مقتنعاً بقوة هذا الشاذ، وفصاحته، فاستخرج لنا منه موسوعة لغوية عامَّة تشمل جوانب اللغة المختلفة.

فأردت بهذه الدراسة الدفاع عن هذا النوع من القراءات الشاذة، خاصة في مجال الدراسات اللغوية، ودافعي لذلك هو دافع ابن جِنِّي نفسه لتأليف كتابه (المحتسب) وهو الخوف من الله تعالى، والتَّقُّرب إليه بعمل يرتبط بكتابه العظيم، وعنوان الكتاب يشهد بذلك؛ إذ إنه أراد بمحتسبه هذا أن يتخشع لله ويبتغي الوسيلة.

٣/ إضافة إلى ذلك فإنَّ مما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع: قلَّة الدراسات اللغوية التي تتناول هذا النوع من القراءات الشاذَّة بصورة عامة، وكتاب (المحتسب) بصورة خاصة، إذ إنه موسوعة لغوية تمثل الواقع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة العربية آنذاك، إلا أنني لم أجد دراسة واحدة مستقلة

للتخصص في دراسة أي جانب من جوانب هذا الكتاب، فأردت بهذه الدراســة أن أقف على جانبين مهمين من جوانب اللغة، بل هما الأساس فــي تكــوين أيَّ لغــة إنسانية، وهما: جانبا: اللفظ والمعنى. أما جانب اللفظ فقد تناولته من خلال أصوات اللغة العربية بدراسة التبدلات والتغيرات الصوتية التي تحدث للأصوات والصــيغ نتيجة تجاورها في الكلام المتصل.

أمَّا جانب المعنى فقد تناولته من خلال الوقوف على قضايا الدلالة المختلفــة، ومعرفة أنواعها من: صوتية، وصرفية، ونحوية، ومعجمية أو اجتماعية.

فوقفت من خلال هذه الدراسة على الأنواع الثلاثة الأولــى للدلالــة، وهــي الدلالة الصوتية، والصرفية، والنحوية، أمَّا النوع الرابع، وهو الدلالة المعجميــة، فقد أثبت وجوده عند ابن جِنِّي، من خلال عرض الأمثلة والنماذج وجمع آراء ابن جِنِّي المتناثرة في كتبه المختلفة، والتي تصلح لأن تكون لنا نظرية فــي المعنــى، ووجدت ابن جِنِّي رائد هذا النوع من الدلالة، وأنَّ ما أطلق عليه علم اللغة الحديث بــ(نظرية سياق الحال) أثبته ابن جِنِّي في كتبه المختلفة.

أمَّا ما يسميه المحدثون بالمعنى الأساسي للفظة المفردة، أو المعنى المعجمي لها فقد وجدت له في قراءات المحتسب ما يصلح أن يكــون بحثــاً منفصــلاً، ولا أحسب أنني قد ذهبت بعيداً إذا قلت: إنَّ الدلالة المعجمية في المحتسب، تصــلح أن تكون أساساً لمعجم لفظي كامل، لمعاني مفردات اللغة العربية، ووجدت أن مجــال دراستي هنا يضيق عن تناولها، فتركتها وفي نفسي شيء منها، وأرجو أن تكــون إشارتي لها في هذا الموضع مفتاحاً ينير الطريق للباحثين من بعدي، فأردت بهــذه الدراسة أن أكشف النقاب عن جانبين مهمين من جوانب اللغة من خلال كتاب لــم يحظ بدراسة مستقلة كما ذكرت. إلا أنَّ الأمانة العلمية تحتم عليَّ أن أنبه إلى أنني قد أفدت في دراستي هذه من الكثير من الكتب المتخصصة والدراسات الحديثة في علمي الأصوات والدلالة وكتب القراءات واللهجات إذ إنه كما يقول أحــدُ علمــاء اللغة المحدثين: (إننا لا نكاد نجد كتاباً حديثاً في القراءات أو اللغة أو اللهجــات أو الأصوات يخلو من ذكر ابن جِنِّي وآرائه).

منهج الدراسة:

أمَّا المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة، فهو المنهج الوصفيُّ التحليليُّ، مــن خلال تتبع القضايا الصوتية، والدَّلالية، الواردة في المحتسب ثم القيــام بوصــفها وتحليلها. مستعينة في ذلك بآراء ابن جِنِّي المبثوثة في كتبه الأخرى والواردة فــي كتابه المحتسب، خاصة كتاب الخصائص، وسر صناعة الإعراب والمنصف فــي شرح تصريف المازني. مستعينة ما أمكن بآراء العلماء المعاصرين له والسابقين، ثم مقارنة ذلك مع ما توصل إليه علم اللغة الحديث من قوانين ونتائج.

أمَّا وصف القوانين الصوتية وتحليلها في قراءات المحتسب، فقد اعتمــدت في ذلك على قوانين التطورات المقيدة التي تحدث للأصوات نتيجة تجاورها فــي سياقات معينة، وهي ما يسمي في علم اللغة الحديث (بالتغيرات التركيبية العامَّــة) التي حصرها علماء الأصوات المحدثون في قانونين هما:

١/ قانون الأقوى Low of the Stronger

٢/ قانون الاقتصاد في الجهد Effort or economy of effort principle of least

إذ هما القانونان اللذان يتمثل أثرهما في ظاهرتين صوتيتين مهمتين هما المماثلة الصوتية Assimilation والمخالفة الصوتية Dissimilation إذ تُعــدَّان أهم وأبرز ثمرة لعمل تلك القوانين وعلى ضوئها يمكننا تفسير الكثير من الظواهر الصوتية والتغيرات الصرفية التي تحدث في بنية الكلمة العربية.

أمَّا القضايا الدلالية فقد اختلف تحليلي لها تبعاً لاخــتلاف أنــواع الــدلالات واختلاف النظريات التي وضعها العلماء لكل نوع من أنــواع الدلالــة. وبعــد أن وقفت في بداية حديثي على أنواع الدلالة عند علماء اللغة بصورة عامــة وأثبــت آراء ابن جِنِّي حول هذه الأنواع، فقد ثبت لي أن ابن جِنِّي كان له قصــب الســبق وقد وضع البصمات الواضحة في كل نوع منها.

خطة الدراسة:

وبعد أن أنهيت جمع المادة وتحليلها ووصفها، وجدتها تملي على تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول وتمهيد.

تناولت في التمهيد نشأة القراءات القرآنية بصورة عامة ، والقراءات الشاذة وتاريخ الاحتجاج لها بصورة خاصة . أمَّا الفصل الأول فقد جعلته لدراسة حياة هذا العالم الذي نظرت إلى جهد العلماء العرب من خلال ما كتب فتناولت فيه: ابن جني ونشأته وحياته العلمية ومنهجه في المحتسب واحتجاجه للقراءات الشاذة.

٢/ أمَّا الفصل الثاني فجاء بعنوان القضايا الصوتية في المحتسب وقد جعلته لتحليل القضايا الصوتية الواردة في المحتسب فتناولت في المبحث الأول منه القوانين الصوتية وتطور الأصوات بصورة عامة. أما المبحث الثاني: فقد جعلته للظاهرة الأولى المترتبة على عمل القوانين الصوتية وهي ظاهرة المماثلة الصوتية.

أما المبحث الثالث من هذا الفصل الثاني، فقد تناولت فيه ظاهرة المخالفة الصوتية .

أمَّا المبحث الرابع من هذا الفصل فقد وجدت أن هناك حالات لعمل القوانين الصوتية، لا تكون نتيجتها مماثلة ولا مخالفة، كتخفيف الهمزة إذ إنها ثمرة لعمل قانون الاقتصاد في الجهد لذا جاء الحديث في هذا المبحث الرابع عنها.

أما الفصل الثالث: وعنوانه القضايا الدلالية في المحتسب

فيهدف هذا الفصل إلى إبراز دور ابن جِنِّي في ميدان تفكير الدلالي خاصة وأن هذا المستوى في تفكير ابن جِنِّي اللغوي لم ينل حظه من الدراسة المستفيضة كالجوانب الأخرى: الصوتية، والصرفية، والنحوية، التي خصَّت بمصنفاتٍ من ابن جِنِّي نفسه فيها.

فجاء هذا الفصل في أربعة مباحث استخلصت فيها الجوانب الدلالية عند ابن جِنِّي متبعة ذلك بمنهج تحليلي في ضوء علم اللغة الحديث للدلالات: الصوتية والصرفية والنحوية للقراءات الواردة في المحتسب.

وختمت الفصول الثلاثة للدراسة بخاتمة لخصت فيها: أهم القضايا التي تناولتها الدراسة، وبعض النتائج التي توصلتُ إليها، إضافة إلى بعض التوصيات التي خرجت بها الدراسة.

وذيلتُ ذلك كله بفهارس فنيَّة شملت:

١/ الآيات القرآنية الواردة في البحث – دون آيات الدراسة– مرتبة على حسب ترتيبها في المصحف الكريم.

٢/ أبيات الشعر الواردة في البحث مرتبة ترتيباً هجائياً على القافية.

٣/ الأعلام المترجم لهم في هوامش البحث وقد استثنيت من الترجمة: الأعلام المشهورين كالأنبياء – عليهم السلام–، والصحابة – رضوان الله عليهم– وعلماء اللغة المحدثين والمعاصرين، واعتمدت في ترتيب الأعلام على اسم العلم الحقيقي، ثم ذكرت له اسم الشهرة والكنية– إن وجدا– وتاريخ وفاته.

٥/ وفهرساً للمصادر والمراجع ، والدوريات الحديثة التي أفاد منها البحث مرتبة ترتيباً هجائياً معتمداً على اسم الكتاب ثم ذكرت معلومات النشر، مرتبة بحسب رقم الطبعة، وتاريخها، ودار النشر.

٦/ وأخيراً فهرساً مرشداً لما ورد من فصول ومباحث.

مصادر الدراسة:

نتيجة لاتساع مجال الدراسة وتشعبها ما بين الجانب التاريخي الذي تناول نشأة القراءات، ونشأة ابن جِنِّي والجانبين الصوتي، والدَّلالي اللذين تناولتهما الدراسة، فكان من الطبعي أن تتشعب مصادر هذا البحث ومراجعه التي كان من أهمها: كتاب (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) لأبي الفتح عثمان بن جني، –الكتاب محور الدراسة– إضافة لمؤلفاته الأخرى لاسيما: كتاب (الخصائص) و(سر صناعة الإعراب) و(المنصف في شرح تصريف المازني) وغيرها من كتبه الأخرى.

ومن الكتب القديمة أفدت أكثر ما أفدت من معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي وكتاب سيبويه، إضافة إلى كتب القراءات والطبقات والتراجم والتاريخ ومعاجم اللغة ودواوين الشعر، كما أفادت هذه الدراسة من المراجع الحديثة –

العربية منها، والأجنبية، والدوريات، التي عالجت جوانب مختلفة مما عالجته الدراسة.

وحسبي من هذا العمل، أني قد حاولت جهد المستطاع، فإن وفقت فيه إلى الصواب –وهذا ما أرجوه– فهو فضل من الله وحده سبحانه وتعالى، وله الحمدُ أولاً وآخراً. وإن تكن الأخرى، فما هو إلا جَهد بشر، والكمال لله وحده، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تمهيد

نشأة القراءات القرآنية وتطورها

المبحث الأول: **نشأة القراءات وتطورها** .

المبحث الثاني: **القراءات الشاذَّة وتاريخ الاحتجاج بها** .

المبحث الأول

نشأة القراءات القرآنية

أولاً : تعريف القراءات :

القراءة لغة :

القراءات : جمع قراءة، وهي مصدر الثلاثي (قرأ) وتعني الجمع والضم، يقال : ما قرأت الناقة جنيناً ؛ لم تضم رحمها على ولد.

وسُمي القرآن قرآناً : لأنه يجمع السور، وذلك لأن الرسول ﷺ كان يتلقى الوحي عن الله وحده ليجمعنّه له في صدره، وليطلقن لسانه بقراءته وترتيله ليميطن له اللثام عن معانية وأسراره، قال تعالى:﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ*﴾ [(١)].

وقرأتُ القرآن : نظرتُ فيه، فالقرآن مقروء ورجل قارئ : عابد ناسك.

وقرأت المرأة وأقرأت : إذا حاضت، وقروءت الناقة : إذا حملت[(٢)]. والقارئ من كل مكتوب من شأنه أن يضم أصوات الحروف في ذهنه لتتكون الكلمات.

والقراءة اصطلاحاً:

هي العلم الذي يعرف منه اتفاق ناقلي كتاب الله، واختلافهم في أحوال النطق به من حيث السماع[(٣)].

فللقراءات وجوه مختلفة في الأداء من النواحي اللغوية المختلفة من : صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية.

---

(١) سورة القيامة الآيات من ١٦ – ١٩.

(٢) كتاب العين لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي د ط دار مكتبة الهلال ٢٠٥/٥ مادة (قرأ) .

(٣) التعريف للشيخ محمد على الضباع مؤلف كتاب (تقريب النفع في القراءات السبع) من متن حرز الأماني ووجه التهاني المعروف ب(الشاطبية للإمام المقرئ أبي القاسم بن فيرة الرعيني الأندلسي الشاطبي ت (٥٩٠هـ) ط١ ١٩٩٢ المكتبة الثقافية – بيروت – ص : ٦

ثانياً: نشأة القراءات

إن موضوع علم القراءات هو كلمات القرآن الكريم - المعجزة الخالدة - أنزله الله سبحانه وتعالى بلسان عربي مبين، ويسّره للذاكرين وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (١).

وأذن سبحانه وتعالى للتالين أن يتلوه ويرتلوه على سبعة أحرف تخفيفاً عليهم وتهويناً؛ فكان الرسول ﷺ يقرأ على الصحابة ما أنزل عليه من القرآن، ويقرئ كلاً منهم بما يناسب لغته، ويوافق لهجته تيسيراً عليهم، ومن رأفته ورحمته ﷺ أن سأل ربه التخفيف على الأمة في قراءة القرآن روى عن الرسول ﷺ أنه قال: أقرأني جبريل عليه السلام – على حرف فراجعته فلم أزل استزيده فيزيد حتى انتهي إلى سبعة أحرف) (٢)

وكان الرسول ﷺ يقرأ على الصحابة ما أنزل عليه من القرآن، ويقرئ كلاً منهم بما يناسب لغته ويوافق لهجته تيسيراً عليهم، فكان الصحابة يقرأون القرآن بأحرفه المختلفة والرسول بينهم يجيز هذا الاختلاف . وقد وردت عدة أحاديث صحيحة اتفق الأئمة على تواترها تحيز هذا الاختلاف(٣).

ثالثاً: الاختلاف حول عبارة الأحرف السبعة الواردة في الحديث

الأحرف : جمع حرف،والحرف يصدق لغة على حرف الهجاء، وعلى الكلمة، وعلي المعنى، وعلى الجهة وقد اختلف العلماء في المقصود بالأحرف السبعة الواردة في الحديث:

* فتوهم بعضهم أن المراد بها القراءات – وهو أضعف الأقوال – ولاسيما إذا توهم القائل أنها القراءات السبعة(٤).

---

(١) سورة القمر الآية : ١٧

(٢) الحديث في صحيح مسلم في باب (بيان أن القرآن على سبعة أحرف) كتاب رقم ١٩٣٩ ، صحيح مسلم – للإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج المسمى (الجامع الصحيح) مسلم القشيري النيسابوري ، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ، بيروت.

(٣) البرهان في علوم القرآن – للإمام بدرالدين محمد عبدالله الزركشي – تحقيق : د يوسف عبدالرحمن المرعشلي وآخرين ط١ – ١٤١٠هـ ١٩٩٠م دار المعرفة، بيروت ٣٢٠/١.

(٤) الإتقان في علوم القرآن – للشيخ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي – ط٣ – ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ٤٥/٣.

* وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بلفظ (السبع)في الحديث لا مفهوم له؛ فهو يعنى الكثرة المطلقة، يقول ابن الجزري[1] : ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد السعة والتيسير في القراءة بما هو من لغات العرب، والعرب تطلق لفظ السبعين والسبعمائة للكثرة والمبالغة من غير حصر قال تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ﴾[2] وورد في الحسنة "ألي سبعين مرة إلى أضعاف كثيرة"[3]

* ويرى أكثر العلماء أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات، أو لهجات وحددها بعضهم ب(قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازان، وكنانة، وتميم، واليمن) وقيل غير ذلك[4].

* وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالسبعة، أحرف هي سبعة أوجه من الخلاف لا يخرج اختلاف اللفظ القرآني عنها هي:

١- الاختلاف في وجوه الإعراب سواءاً تغير المعنى أم لم يتغير، فمما تغير المعنى قوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [5] فقد قرئ "كلمات بالرفع، وكلمات بالنصب"[6].

ومما لم يتغير فيه المعنى قوله تعالى:﴿ ولاَ تُضَآرَّ﴾ [7] بالنصب والرفع[8].

---

(١) هو أبو الخير شمس الدين محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري، الدمشقي، ثم الشيرازي ولد في الخامس والعشرين من رمضان سنة إحدى وخمسين وسبعمائة (٧٥١ هـ) نشأ في دمشق نشأة علمية وله مؤلفات في القراءات والتجويد منها : النشر في القراءات العشر، واتحاف المهرة في تتمة العشرة وغيرها. مقدمة النشر في القراءات العشر – لابن الجزري .

(٢) سورة التوبة الآية : ٨٠

(٣) النشر في القراءات العشر – لأبي الخير محمد بن محمد ابن الحزري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١/٢٤- ٢٥ .

(٤) النشر ١/ ٢٤- ٢٥.

(٥) سورة البقرة الآية : ٣٧.

(٦) حجة القراءات – للإمام أبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنحلة – تحقيق : سعيد الأفغاني ط٢ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص : ٩٤- ٩٥.

(٧) سورة البقرة الآية : ٢٣٣

(٨) حجة القراءات – لعبد الرحمن بن حمد بن زنجلة ص ١٣٦.

٢- الاختلاف في شكل الحروف كاختلاف النقط سواء أتغير المعنى أم لم يتغير كقوله تعالى:﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا ﴾ (١) وقد قرئ ﴿حتى إذا تداركوا﴾(٢).

٣- الاختلاف في الأسماء من حيث الإفراد والتثنية والجمع أو التذكير والتأنيث كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾(٣) فقد قرئ أمانتهم بالإفراد(٤) .

٤- الاختلاف بإبدال كلمة بكلمة مرادفة لها كقوله تعالى : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾(٥) وقرئ : (من كل حدث ينسلون) (٦).

٥- الاختلاف في ترتيب الجملة بالتقديم والتأخير كقوله تعالى في شأن – المؤمنين ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾(٧) وقرئ ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ﴾(٨).

٦- الاختلاف بالزيادة أو النقصان كحذف أدوات الجر أو اثباتها في الجملة كقوله تعالى:﴿ أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (٩) وقرئ ﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَار﴾ (١٠).

٧- الاختلاف في بعض الصفات اللهجية كالفتح والإمالة والتفخيم والترقيق وغيرها من مظاهر اختلاف اللهجات كقوله تعالى:﴿ قَدْ سِالهَا ﴾(١١) بكسر السين للإمالة (١٢).

(١) سورة الأعراف : ٣٨.

(٢) وقد روي أنها قراءة ابن مسعود والأعمش ، المحتسب ٢٤٧/١.

(٣) سورة المؤمنين : ٨.

(٤) حجة القراءات للإمام ابن زنجلة – ص ٤٨٢.

(٥) سورة الأنبياء الآية ٩٦.

(٦) القراءة لابن مسعود في المحتسب ٦٦/٢.

(٧) سورة التوبة : ١١١.

(٨) حجة القراءات ص ٣٢٥.

(٩) سورة التوبة : ٨٩.

(١٠) الإتقان في علوم القرآن ١٣٠/١.

(١١) سورة طه : ٩.

(١٢) قراءة الجمهور قد سألها بهمز الألف وقراءة إبراهيم بكسر السين للإمالة المحتسب ٢١٩/١.

من هنا يتضح لنا أن القراءات القرآنية لها صلة قوية باللهجات العربية إذ تعتبر من أهم أوجه الاختلاف الواردة في الحديث؛ لأنَّ فيها الحكمة من أنزال القرآن على سبعة أحرف تخفيفاً وتيسيراً على هذه الأمة، التي تعددت قبائلها واختلفت لهجاتها . ولأهمية هذا الوجه الأخير ذهب بعض العلماء إلى حصر الأوجه السبعة في اختلاف اللهجات، بينما أغفل آخرون ذكرها باعتبار أن الاختلاف فيها ليس من تنوع اللفظ والمعنى . ويحاول الدكتور صبحي الصالح أن يوازن بين الرأيين بقوله : إن الأوجه الستة السابقة على جانب كبير من الأهمية لا يسمح بإسقاطها، كما أنَّ اختلاف اللهجات أمر واقع بين الصحابة لا يجوز إغفاله، ويرى أن هذه الأوجه السبعة تستقصي كل اختلاف في أداء القرآن، وهذا لا يعني وجوب التزامها السبعة في كلمة واحدة، وأن هذه الأحرف السبعة اجتمعت في قراءات الصحابة الكرام والرسول ﷺ معهم يجيز اختلافهم دون أن يحدد المراد منها(١).

فكان الصحابة رضوان الله عليهم يقرأون ما تعملوا ولا ينكر أحد على أحد قراءته.

وبعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى بدأت حركة الفتوحات الإسلامية خارج حدود الجزيرة العربية، فخرج جماعة من الصحابة في أيام أبي بكر، وعمر إلى ما افتتح من الأمصار الإسلامية ليعلموا الناس القرآن كما كانوا يقرأونه في عهد الرسول ﷺ فاختلفت قراءات أهل الأمصار كما اختلفت قراءات الصحابة الذين علومهم فدخل ناس كثيرون في الإسلام من قبائل مختلفة بلهجات متباينة، منهم الطفل الذي لم يستقم لسانه، والشيخ، والمرأة والعجوز، فقام أبوبكر الصديق بجمع القرآن في صحف ثَّم وضعها في بيت الرسول ﷺ(٢).

وفي عهد عثمان رضي الله عنه، اتسعت الدولة الإسلامية واتسع معها الخلاف في القراءات، فتدارك الخليفة عثمان الأمر، وجمع الناس على مصحف

---

(١) مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ٣٢٠/١.

(٢) إعجاز القرآن – للرافعي – تحقيق : سعيد العريان – ط٥ – ١٩٥٢م – القاهرة ص ٤٠، ومباحث، في علوم القرآن – صبحي الصالح ص ٨٠.

إمام، جمعه من المهاجرين والأنصار، ومن صحف أبي بكر الموضوعة في بيت الرسول ﷺ ثم نسخ من ذلك المصحف الإمام عدة مصاحف، ووجهها إلى الأمصار المختلفة، وأمر بحرق ما عداها[١]. وهكذا أصبح لكل إقليم مصحف، وأُرْسِل معه قارئ من الحفظة يوافق قراءة الإقليم .

وفي القرنين الثاني والثالث من الهجرة كثر القراء في الأمصار : مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق، وكثر الاختلاف بينهم فأراد الناس في القرن الرابع أن يقتصروا على القراءات التي توافق مصحف عثمان، و فأفردوا من كل مصر وجه إليه الخليفة عثمان مصحفاً إماماً مشهوراً بالضبط والأمانة توافق قراءته مصحف ذلك المصر، ونسبت إليهم القراءة[٢].

رابعاً: أشهر القراء الذين نسبت إليهم القراءات :

كان بمكة:عبدالله بن كثير[٣] وحميد بن قيس الأعرج[٤] ومحمد بن محيصن[٥] – وكان بالكوفة : يحي بن وثاب الأسدي[٦] وعاصم بن أبي النجود[٧] وسليمان الأعمش[٨] ثم حمزة[٩] والكسائي[١٠].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن – للسيوطي – ص ٥٩.

(٢) السابق والصفحة.

(٣) هو عبدالله بن كثير الداري نسبة إلى بني الدار (بطن من لخم) وقيل هو العطار مولى عمر بن علقمة الكناني، ويكنى أبا معبد، وهو من التابعين،توفي بمكة سنة ١٢٠هـ، تحبير التيسير لابن الجزري، تحقيق أحمد محمد – ط١ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٠م – دار الفرقان – عمان – الأردن ص ١٠٥ – غاية النهاية في طبقات القراء للإمام محمد بن محمد،ابن الجزري ، تحقيق: برجستزاسر ، ط ٢، ١٤٠٠هـ، ٣٣٠/٢ .

(٤) هو أبو صفوان حميد بن قيس الأعرج المكي، أخذ القراءة عن مجاهد وروي عنه سفيان بن عيينة وأبو عمرو بن العلاء توفي سنة ١٣٠هـ – غاية النهاية ١٢٦/٥ وتحبير التيسير ص ١١٧.

(٥) هو محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي، عرض على مجاهد وسعيد بن جبير وعرض عليه أبو عمرو بن العلاء، مات بمكة سنة ١٢٣هـ وقيل ١٢٢ – غاية النهاية ١٦٧/٢، تحبير التيسير ص ١١٧.

(٦) هو يحي بن وثاب الأسدي، تابعي، ثقة، عرض علي عبيد بن نضلة وعرض عليه الأعمش، توفي سنة ١٠٣هـ، غاية النهاية ٣٣٠/٢ – وتحبير التيسير ص ١٢٠.

(٧) ويقال له ابن بهدلة، وهو مولي نصر بن معين الأسدي ويكنى أبا بكر توفي بالكوفة سنة ١٢٩هـ وقيل ١٢٨هـ وقيل ١٢٧هـ، غاية النهاية ٣٤٦/١– ٣٤٩، وتخبير التيسير ص ١٠٩.

(٨) هو سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي، الكاهلي، أخذ على إبراهيم النخعي وعاصم، ويحي بن وثاب، وروي عنه حمزة الزيات وجماعة، مات سنة ١٤٨، غاية النهاية في طبقات القراء ٣١٥/١ وتخيير النيسير ص ١١٩.

(٩) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات، توفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦هـ – غاية النهاية ٢٦١/١ – ٢٦٣ وتحبير التيسير ص ١١٠.

(١٠) هو أبو الحسن علي بن حمزة النحوي، مولي لبني أسد، وقيل له الكسائي لأنه أحرم في كساء، توفي سنة ١٨٩هـ – غاية النهاية في طبقات القراءة ٥٣٥/١، تخبير التيسير ص ١١١ – ١١٢.ئ

وكان بالمدينة: أبوجعفر المدني(١) وشيبة بن نصاح(٢) ونافع بن أبي النعيم(٣).

وكان بالشام:عبدالله بن عامر اليحصبي(٤) ويحي بن الحارث الذماري(٥) وتسريح بن يزيد الحضرمي(٦).

وكان بالبصرة: أبو عمرو بن العلاء(٧) ويعقوب الحضرمي(٨).

خامساً: التأليف في القراءات وشروط صحة القراءة:

وفي هذا القرن الثالث الهجري نفسه، والذي اشتهر فيه هؤلاء الأئمة السابق ذكرهم، بدأت مرحلة التأليف في القراءات فكان أبو عبيد القاسم بن سلام(٩) كما

---

(١) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع، مولي أبي الحارث عبدالله بن العياش، توفي بالمدينة سنة ١٣٠هـ - غاية النهاية في طبقات القراء ٣٨٢/٢

(٢) هو شيبية بن نصاح بن سرجس بن يعقوب، مقرئ المدينة، مع أبي جعفر، عرض على عبدالله بن عباس وعرض عليه نافع وأبوعمرو بن العلا توفي سنة ١٣٠هـ وقيل ١٣٨هـ - غاية النهاية في طبقات القراء ٣٢٩/١

(٣) هو نافع بن عبدالرحمن بن أبي النعيم، خليفة حمزة بن عبدالمطلب أصله من أصبهان ويكنى أبا رويم وقيل : أبا عبدالرحمن ـ توفي بالمدينة سنة ١٦٩هـ غاية النهاية في طبقات القراء ٣٣٠/٢ وتحيير التيسير ص ١٠٥

(٤) هو عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي، يرجع في أصله إلي حمير وهو من التابعين، كان إمام أهل الشام في القراء، وواحد من القراء السبعة، ولد سنة ٢١هـ وتوفي سنة ١١٨هـ - غاية النهاية في طبقات القراء ٤٢٣/١ - تحيير التيسير ص ١٠٨

(٥) هو أبو عمرو يحي بن الحارث بن عمر، الزماري، الدمشقي من التابعين أخذ القراءة عن ابن عامر، توفي سنة ١٤٥هـ غاية النهاية في طبقات القراء ٣٦٧/١.

(٦) هو شريح بن يزيد ، أبو حبوة ، الحضرمي الجمعي مقرئ الشام ، له قراءة شاذة ، وروى عنه ابنه حبوة مات سنة ٢٠٣هـ، تقريب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي العسقلاني تخفيف محمد عوَّامة - ط١ ١٤٠٦هـ ١٩٨٩م ، دار الرشيد - سوريا ص ٢٦٦.

(٧) هو زبَّان بن العلاء التميمي ، المازني، البصري، ولد سنة ٦٨هـ وتوفي سنة ١٥٤هـ، إمام العربية والإقراء ، سمع أنس بن مالك وقرأ علي الحسن البصري ، وعاصم ، وبن أبي إسحق الحضرمي ، وروى عنه الأصمعي وعيسى بن عمر- حُجَّة القراءات ص ٥٤.

(٨) هو ابن إسحق ابن زيد بن عبدالله بن أبي إسحق أبو محمد - ولد سنة ١١٧هـ وتوفي سنة ٢٠٥هـ - إمام أهل البصرة ومقرئها، إليه انتهت رياسة القراءة بعد أبي عمرو أخذ القراءة عن عاصم وسمع من حمزة وروي عن الدوري والسجستاني - حجة القراءات ص : ٦٤.

(٩) هو أبو عبيدالقاسم بن سلام، كان إمام أهل عصره في كل فن من العلم، أخذ عن الأصمعي والكسائي، وله من الكتب فوق العشرون - حسن الرواية - صحيح النقل.مات بمكة سنة ٢٢٤هـ وقيل ٢٢٣هـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ ١٣٨٤هـ ١٩٦٥/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ٢٥٣/٢- ٢٥٤.

يقول ابن الجزري : (أول إمام معتبر في جمع القراءات في كتاب وجعلهم خمسة وعشرين قارئاً) (١).

ثم بعد ذلك بمدة على رأس المائة الثالثة للهجرة قام أبوبكر بن مجاهد التميمي(٢). بجمع سبع قراءات لسبعة قراء من أئمة الحرمين والعراقيين والشام اشتهروا بالثقة والضبط؛ فأثبتت قراءاتهم في كتاب سماه (السبعة في القراءات) (٣)

والسبعة هم : نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبوعمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي وعاصم وحمزة والكسائي الكوفيون.

وقد اشتهرت قراءات هؤلاء السبعة دون غيرها وتداولها الناس، وكان لشهرة ابن مجاهد ومكانته العلمية أثر كبير في ذلك، كما أن المقياس الذي اتبعه في اختيار السبعة، كان مرضياً، وهو أن تكون القراءة من إمام مشهور بالضبط والأمانة أجمع أهل مصره على عدالته وثقته، وأن توافق القراءة المصحف . من هنا كان الوهم الذي تسرَّب إلى بعض النفوس من أن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة الواردة في الحديث ومما زاد في شهرة هذه القراءات السبعة أن ابن مجاهد نفسه ألف كتاباً آخر سماه (كتاب الشواذ) ففهم كثير من الناس أن هذه السبعة هي الصحيحة، وأن ما عداها شاذٌّ(٤).

ثم توالي بعد ذلك التأليف في القراءات السبعة(٥) فألَّفَ كتابه : (التفسير في القراءات السبعة) ونظمه الإمام ابن فيره الشاطبي(٦) في قصيدة عرفت ب(الشاطبية)، وقد أدىّ هذا الإقبال من العلماء على القراءات السبعة إلى انتشار شُبْهِةِ أنَّ ما سِواها شاذ لا يقرأ به.

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٣/١ – ٣٥.

(٢) هو أحمد بن موسي بن العباس المعروف بابن مجاهد، ولد سنة ٢٤٥ببغداد وصار إماماً في القراءات، توفي سنة ٣٢٤هـ، غاية النهاية في طبقات القراء ١٣٩/١.

(٣) والكتاب مطبوع عدة طبعات – طبعة الطبعة الثانية ، دار المعارف بالقاهرة سنة ١٤٠٠هـ.

(٤) النشر القراءات العشر – لابن الجزري ص ٣٦.

(٥) ألفه الإمام أبو عمرو الداني.

(٦) هو القاسم بن فيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي، المقرئ – النحوي، الضرير، كان إماماً فاضلاً في النحو والقراءات والتفسير والحديث – أستاذاً في العربية ولد سنة ٥٣٨هـ وتوفي سنة ٥٩٠ بقية الوعاة للسيوطي ٢٦٠/٢.

ولرفع هذه الشبهة وضع بعض العلماء ضوابطَ تعرف بها القراءة المقبولة، قال ابن الجزري : "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سنُدها إلى الرسول ﷺ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ... سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين"[1].

من هنا أصبحت مقاييس صحة القراءة هي : صحة السند، وموافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وموافقة العربية ولو بوجه.

أما المقياس الأول وهو صحة السند، فلم يُمارِ فيه أحد، فما لم يصح سنده فهو مردود وممنوع أما المقياس الثاني، وهو موافقة أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً، ففيه تجاوز؛ لأن الموافقة قد تكون تحقيقاً أو تقديراً، كأن يثبت رسمها في بعضها دون بعض. أما المقياس الأخير وهو موافقة العربية ولو بوجه، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فلا بد أن تكون القراءة موافقة للعربية، ولا يعني ذلك أن تسير على كل ما تجيزه العربية ؛ لأن القراءة سنة متبعة، وليس كل ما يجوز في العربية يجوز في القرآن، وإنما المراد ألا تتعارض القراءة مع ما هو معهود في العربية[2].

بعد توفر هذه الضوابط للقراءات تغير المفهوم للقراءة الصحيحة، وزال الوهم الذي ساد بأن القراءة الصحيحة هي قراءات ابن مجاهد السبعة فظهرت قراءات صحيحة غيرُها اعتمدها العلماء وأصبح يُعمَل بها فأصبحت بدل السبعة هناك القراءات العشر[3] والأربع عشرة[4]، وظهر ما يعرف بالقراءة الشاذّة بمفهوم آخر وهو ما سنتناوله بالشرح والتفصيل في المطلب القادم.

---

(١) تخيير التيسير لابن الجزري – ص١٧.

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/١٧ .

(٣) القراءات العشر هي تلك السبع المشهورة مضافاً إليها، قراءة يعقوب بن أبي إسحق الحضرمي وقراءة خلف بن هشام البزاز، وقراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع حجة القراءات ص ٦٣.

(٤) القراءات الأربع عشره هي القراءات العشرة وأضيف إليها قراءة شيبة بن نصاح والأعمش والحسن البصري – اليزيري يحي بن المبارك، حجة القراءات ص ٦٨.

المبحث الثاني

القراءات الشاذة وتاريخ الاحتجاج لها

أولاً: تعريف القراءة الشاذة:

الشذوذ لغة:

مادته (شذذ) وأصله في اللغة التفرق، والتفرد، والندرة، وعكسه الاطراد، وهو التتابع والاستمرار[(١)] وشذ عنه يشذ شذوذاً . انفرد عن الجمهور ، فهو شاذ وشذان الحصى : المتفرق منه، وشذاذ الناس الذين يكونون في القوم وليسوا من قبائلهم[(٢)].

وشذ عن الجماعة : انفرد عنهم، ومن المجاز: شاذ عن القياس مما شذ عن الأصول[(٣)] والشاذ : المتنحي وأشذَّ الشيء : نحاه وأقصاه[(٤)].

اصطلاحاً:

إنَّ القراءة الشاذة هي التي فقدت ركناً من أركان القراءة الصحيحة لأن ما لم يصح سنده فهو مردود وممنوع يقول ابن الجزري: "ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة، أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أم من هو أكبر منهم"[(٥)].

أما الشاذ عند ابن جني، فقد ذكر في مقدمة المحتسب أن الشاذ عنده "ما جاء خارجاً عن قراءة السبعة الذين جمع ابن مجاهد قراءتهم في كتابه"[(٦)].

---

(١) الخصائص – لأبي الفتح عثمان بن جني – تحقيق : محمد علي النجار – ط٢ ١٣٧١هـ – ١٩٥٢/ ت- دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ٩٦/١ – ٩٧

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية – لإسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار(مادة شذذ).

(٣) أساس البلاغة – لجار الله محمود بن عمر الزمخشري – ط١ ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م – دار صادر – بيروت – مادة (شذذ) ص ٣٢٣.

(٤) لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور تصحيح : أمين محمد عبدالوهاب ومحمد صادق العكبيري ط٣ ١٤١٩هـ – ١٩٦٩م دار أحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان – مادة (شذذ) ص

(٥) النشر في القراءات العشر – لابن الجزري – ٩/١ .

(٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني – تحقيق : علي النجدي ناصف ود.عبدالحليم النجار ود. عبدالفتاح إسماعيل شلبي القاهرة – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م – مقدمة المحتسب ٣٢/١.

ثانياً: تاريخ القراءات الشاذة:

يصعب علينا أن نَفْصل تاريخ القراءات الشاذة عن تاريخ القراءات المشهورة، لأنّ جهود العلماء في الشواذ كانت تسير جنباً إلى جنب مع جهود أصحاب القراءات المشهورة، ومذ وحَّد سيدنا عثمان رضي الله عنه المصاحف.

وقد بدأت هذه الجهود في شكل اختبارات شاذة عن اختيارات أصحاب الصحيح، شذوذ مجموعة لأحرف، كاختبارات أبي السَّمَّال العدوي[١] واختيارات محمد بن عبدالرحمن بن السميفع[٢] .ثم أصبح مفهوم الشذوذ ينصرف إلى القراءة المفردة التي تنسب إلى هؤلاء الرجال، وقد حفلت كتب التراجم بذكر العديد منهم، بل إن كتاباً كالفهرست، عدَّد أسماءهم في كل مصر على حد، فكان من أهل المدينة : أبو سعيد أبان بن عثمان[٣] ومسلم بن جندب[٤].

ومن مكة : ابن محيصن، وحميدة بن قيس الأعرج.

ومن البصرة : عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر الثقفي .

ومن الكوفة:طلحة بن مصرف[٥].

ومن أهل اليمن محمد بن السميفع[٦].

---

(١) هو قعنب بن أبي قعنب أبو السمال العدوي، البصري، وله اختيار في القراءة شاذ عن العامة رواه عنه أبو زيد سعيد بن أوس – طبقات القراء ٢٧/٢.

(٢) هو أبو عبدالله اليماني، له اختيار في القراءة شذّ فيه قرأ على أبي حيوة وقيل قرأ على نافع – طبقات القراء ٣٤٢/٢.

(٣) هو أبان بن عثمان بن عفان ، أبو سعيد ، روي عن أبيه وعن زيد بن ثابت ،وروي عنه ابنه عبدالرحمن والزهري ، وكان يعدُّ من فقهاء المدينة العشرة، كان ثقة ، توفي سنة ١٠٥هـ– خلاصة تهذيب الكمال – للخرزمي ، المطبعة الخيرية ص ١٣ – المحتسب ١١٠/٢.

(٤) هو عبدالله مسلم بن جندب الهزلي، تابعي مشهور عرض عليه، نافع، وروى عن أبي هريرة وكان من فصحاء أهل زمانه ـ توفي سنة ١٣٠هـ – غاية النهاية في طبقات القراء ٢٩٧/٢.

(٥) هو أبو محمد طلحة بن مصرف بن كعب، كوفي، تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه، عرض على إبراهيم النخعي، والأعمش، ويحي بن وثاب وروي عنه عيسى بن عمر، ويحي بن حمزة الكسائي لقب بسيد القراء، مات سنة ١١٢هـ – غاية النهاية في طبقات القراء ٣٤٣/١.

(٦) القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي – د. محمود أحمد الصغير – د.ط ١٩٩٩م – دار الفكر– دمشق – ص ٨٩.

ولم يستقر مصطلح الشذوذ في القراءة في فترة وجيزة ؛ بل احتاج إلى عدة قرون زادت عن الثمانية، ففي القرنين الثاني والثالث كان العلماء يطلقون عبارات متعددة يريدون بها القراءة الشاذة، فمرة يصفونها ب"قراءة بعضهم"ومرة ب(القراءة القليلة) وأخرى يخصون بها قارئاً واحداً، وظل شذوذ القراءة في القرنين الثاني والثالث شذوذاً وصفياً لا يتعرض لنقد القراءة ولا يخرجها من دائرة القرآن، ويقبل عليه العلماء إقبالهم على الشائع المشهور[١].

وفي مطلع القرن الرابع تطور مصطلح الشذوذ من مرحلة الاختبارات إلى مرحلة المقاييس، فشذذت الحروف المخالفة، ووضع ابن مجاهد أول كتاب مستقل في الشواذ وفي هذا القرن وضع ابن جني كتابه: محور الدارسة- المحتسب في:-

في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) وسيأتي الحديث عنه في مبحث قادم .

أما ابن مجاهد فقد قام اختياره – كما مرَّ على أكتاف سبعة من القراء، والقراءة الشاذة عنده (هي كل ما خرج على ما يرويه – في الغالب- أحد اثنين عن قارئ من السبعة،والرواة هم قالون[٢] وورش[٣] عن نافع والبزي[٤] وقنبل[٥] وعن ابن كثير. والدوري[٦] والسوسي[٧] عن أبي عمرو .

---

(١) القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي – د. محمود أحمد صغير ص ٨٩.

(٢) هو عيسى بن مينا ين وردان، الزرقي، أبو موسى ؛ الملقب بقالون، قارئ المدينة ونحويها، ويقال : أنه نافع وهو الذي سماه قالون، لجودة قراءته ولد سنة ١٢٠هـ وتوفي ٢٢٠هـ ؛ اخذ عنه الكسائي، وإبراهيم بن محمد المدني، أحسن الأثر ص : ١١.

(٣) هو عثمان بن سعيد بن عبدالله أبو القاسم، وورش لقبه، شيخ القراء بمصر، ولد سنة ١١٠هـ، وعرض على نافع وكان ثقة في القراءة توفي بمصر سنة ١٩٧هـ أحسن الأثر ص ١٣.

(٤) هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي بزه، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة،ولد سنة ١٧٠هـ، وتوفي سنة ٢٥٠هـ، أحسن الأثر ص ١٧.

(٥) هو محمد بن عبدالرحمن بن خالد أبو عمر المخزومي، كان إماماً في القراءة متقناً وضابطاً، شيخ الإقراء بالحجاز وكان من أوثق راواة ابن كثير وأعدلهم، ولد سنة ١٩٥هـ ومات سنة ٢٩١ هـ – أحسن الأثر – ص ١٩.

(٦) هو أبو عمر حفص بن عمر بن عبدالعزيز، الدوري، الأزدي، البغدادي، إمام القراءة في عصره، ثقة كبير وضابط، ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفي ٢٤٦هـ – أحسن الأثر ص : ٢٧.

(٧) هو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبدالله السوسي، مقرئ "ضابط ثقة أخذ عن أبي محمود اليزيدي،وروي عنه أبنه محمد وموسى بن جرير النحوي، توفي سنة ٢٦١هـ – أحسن الأثر : ٢٧."

وهشام[١] وابن ذكوان[٢] عن ابن عامر.

وشعبة[٣] وحفص[٤] عن عاصم.

وخلف[٥] عن حمزة .

وأبو الحارث[٦] والدوري عن الكسائي.

أو ما يرويه غيرهم ممن عرفوا بالضبط والإتقان، وجاءت أسماؤهم في مقدمة كتاب (السبعة في القراءات) وفي أثنائه[٧].

وفي النصف الثاني من هذا القرن الرابع وبعده وضعت عدة كتب في الشواذ لم تخرج مقاييسها عمَّا بناه ابن مجاهد في كتابه من أسس للشواذ[٨] إلى أن جاء ابن الجزري وحرر القول في القراءات الشاذة، وأعاد ثلاث قراءات إلى مرتبة الصحيح وهي:

قراءة أبي جعفر المدني.

وقراءة يعقوب الحضرمي .

وقراءة خلف بن هشام.

---

(١) هو الوليد هشام بن عمار بن نصير بن أيان بن ميسرة السلمي القاضي الدمشقي، روي القراءة عن ابن عامر بإسناد، تخيير التيسير ص ١٠٩

(٢) هو أبو عمرو عبدالله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي، الدمشقي، توفي سنة ٢٤٢هـ – غاية النهاية في طبقات القراء ٤٠٤/١، تخيير التيسير ص : ١٠٨.

(٣) هو أبو بكر شعبة بن عباس بن سالم، الحناط، الأسدي البزي ، ولد سنة ٩٥هـ – عرض على عاصم وعرض عليه الأعمش وابن حماد، توفي سنة ١٩٣هـ – أحسن الأثر ص ٤٣.

(٤) هو أبو عمر حفص بن سليمان، الكوفي، التركي، ولد سنة ٩٠هـ وتوفي سنة ١٨٠هـ – أعلم أصحاب عاصم بقراءته، ثقة ضابط – بروايته يقرأ أهل المشرق اليوم وهو الذي أخذ على الناس قراءة عاصم تلاوة – حجة القراءات للإمام أبي زرعة، تحقيق سعيد الأفغاني – ص ٥٩..

(٥) هو أبو محمد خلف بن هشام البزاز توفي ببغداد سنة ٢٢٩هـ غاية النهاية في طبقات القراء ٢٧٢/١

(٦) هو الليث بن خالد البغدادي، ثقة معروف، وضابط للقراءة، روي عن حمزة، وروي عنه سلمة بن عاصم، توفي سنة ٢٠٠هـ.أحسن الأثر – ص ٦٥.

(٧) كتاب السبعة في القراءات – لابن مجاهد – ص ٨٨ – ١٠ .

(٨) وضع ابن خالويه كتاباً سماه (مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع بناه على مقياس ابن مجاهد.

بعد أن صح تواترها، ووضع تعريفاً ضابطاً للقراءة الشاذة قدمت به لتعريف القراءة الشاذة في هذا المبحث[1].

من هنا يتضح لنا أن القراءات الشاذة – مع اختلاف تعريفها – تتصل بسندها إلى الرسول ﷺ، فهي إذن موجودة قبل بداية التقعيد للغة، والشائع المشهور في القراءات أنه ليس للإنسان أن يقرأ إلا بما روي حتى يتصل الإسناد بالرسول ﷺ، ومعنى ذلك أن هذه القراءة الشاذة تتوافر لها درجة من التوثيق لم تحظ به مصادر السماع اللغوية الأخرى، مما يجعل منها مرآة صادقة تعكس الواقع اللغوي، الذي كان سائداً في شبه الجزيرة العربية بل هي آصل المصادر جميعاً في دراسة اللغة على مستوياتها المختلفة، فالقراءة الشاذة – وإن لم يكن متعبداً بها – هي أكثر وثوقاً من المصادر الأخرى وأجدر بالدرس وأحق بالبحث فيها.

وهذه القراءة الشاذة هي التي تناولها ابن جني في كتابه (المحتسب) وهو واثق من قوة هذا الشاذ وفصاحته، فجاء كتابه موسوعة لغوية في الأصوات، والنحو، والصرف، والدلالة، والبلاغة، والعروض، والأدب، والنقد، وغيرها.

(١) انظر: ص ٣ من هذا البحث.

الفصل الأول

ابن جني ونشأته وحياته العلمية

المبحث الأوَّل : **اسمه ونشأته وصفاته**

المبحث الثاني : **حياته العلمية**

المبحث الأول

اسمه ونشأته وصفاته

أولاً: اسمه:

اتفقت كتب التراجم على أنَّ اسمه:عثمان، وكنيته : أبو الفتح، وأبوه : جِنِّـي ر، ولم يكن من أولاده من اسمه الفتح.

وكان أبوه جِنيَ مملوكاً رومياً يونانياً.

وجِنيَّ : (بكسر الجيم وتشديد النون المكسورة وسكون الياء : علم روميٌّ : وهو معرب (كِنيَّ) التي تعني مجموعةً من المعاني منها : كريمٌ، نبيلٌ، جيدُ التفكير وعبقريٌ مخلص، وقد نُقل عن ابن جني أنه قال عن معنى اسم أبيه: إنه فاضل بالرومية.

وكان والدُهُ مملوكاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي، الموصلي، ولم تذكر لنا مصادر التاريخ شيئاً عن حياة والده ولا عن حياة سيده سليمان بن فهد الأزدي(١).

ثانياً: نشأته

ولد بالموصل، ولقب بالموصلي؛ نسبة إلى مهده الأول(٢):واختلف المؤرخون في سنة ولادته، فذهب فريق إلى أنه ولد قبل الثلاثين وثلثمائة من الهجرة، تحديداً

---

(١) *الفهرست – لابن النديم – تحقيق : الشيخ إبراهيم رمضان ط٢ – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، دار المعرفة لبنان ص : ١١٥.

* معجم الأدباء – لأبي عبدالله ياقوت الحموي – الطبعة الأخيرة ١٣٤٢هـ – ١٩٢٢م – راجعته وزارة المعارف، مطبعة دار المأمون ٨١/٢.

* وفيان الأعيان وأبناء الزمان – للقاضي أحمد الشهير بابن خلكان – الطبعة الأخيرة د.ت راجعته وزارة المعارف العمومية – مطبوعات دار المأمون – مصر ٣١٣/١.

*إنباه الرواة على أنباة النحاة – للوزير أبي الحسن علي بن يوسف القفطي – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط١ ١٣٦٩ – ١٩٥٠م مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ٣٣٣/٢.

* البداية والنهاية – لأبي الفراء الحافظ بن كثير الدمشقي ط١ – ١٩٦٦م – مكتبة المعارف – بيروت ومكتبة النصر الرياض ٣٣١/١١.

* بغية الوعاة ١٣٢/٢.

* الأعلام – لخير الدين الزركلي – ط ١٠ – ١٩٩٢م دار العلم للملايين ٢٠٤٥/٤.

(٢) معجم الأدباء ٨١/١٢ – وبغية الوعاة ١٣٢/٢.

سنة إحدى وعشرين وثلثمائة (٣٢١هـ)، وقيل سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة (٣٢٢هـ) [١].

وأصحاب دائرة المعارف الإسلامية يذهبون إلى أنه ولد سنة عشرين وثلثمائة (٣٢٠هـ) [٢].

ويرى فريق آخر أنه ولد قبل سنة ثلاثمائة (٣٠٠هـ) [٣].

وذهب محقق الخصائص إلى أن سنة ميلاده هي سنة أثنتين وثلثمائة (٣٠٢هـ)، وعلل لذلك بأنه صحب أستاذه أبا علي الفارسي[٤] أربعين سنة، بعد أن التقاه سنة سبع وثلاثين وثلثمائة(٣٣٧هـ) فتكون سنُه حينذاك فوقَ الثلاثين وهي سن تناسب التصدر للتدريس[٥] كما سنرى.

ولكنَّ محققي المحتسب يرجحون الرأي القائل بولادته سنة إحدى وعشرين وثلثمائة (٣٢١هـ) أوسنة اثنتين وعشرين وثلثمائة (٣٢٢هـ)؛ لأن سنه عند مرور الشيخ عليه تكون الخامسة عشرة ؛وهي سن مناسبة لمقالة الشيخ له "تزبيت وأنت حصرم"[٦] وهذا الرأي قريب من الواقع ومؤيد لمعظم النصوص التاريخية وإليه تميل الباحثة.

ونشأ ابن جني بالموصل، وتلقي مبادئ التَّعلُّم في مساجدها، ومنها رحل في سبيل العلم إلى أمصارَ مختلفةٍ، وأخذ من اللغةَ والنحو والصرف والأدب والقراءات، ويشير إلى ذلك بقوله : "جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي – رحمهم الله – وقرأته عليهم بالعراق والشام والموصل، وغير هذه البلاد التي أتيتها وأقمت بها"[٧].

(١) الفهرست ص : ١١٥ – معجم الأدباء ٨١/١٢ وبقية الوعاة ١٣٢/٢.

(٢) تاريخ الأدب العربي – بروكلمان ٢٤٤/٢، دائرة المعارف الإسلامية ١٢٢/٣، معجم الأدباء ١١١/١٣.

(٣) تاريخ الأدب العربي – بروكلمان ٢٤٤/٢.

(٤) هو أستاذه الأول وسيأتي الحديث عنه عند التعريف بأساتذته .

(٥) مقدمة الخصائص ١٠/١.

(٦) مقدمة المحتسب ص : ٦.

(٧) معجم الأدباء ١١/١٣.

ثالثاً: صفاته وأخلاقه وأسرته ووفاته:

أما صفاته الخلقية فلم تصفه لنا المصادر وصفاً جسمياً دقيقاً، والراجح أنه كان أبيض اللون ؛ أن كان أبوه رومياً، وإن كان الغالب على المواصلة سمرة اللون[١].

ويتفق أكثر المؤرخين على أنه كان أعور، ويكنون عن ذلك بأنه كان ممتعاً بإحدي عينيه ويستشهدون بقوله في التشوق لصديق له[٢]:

صدوك عني ولا ذنب لي * دليل على نية فاسدة

فقد – وحياتك – مما بكيت * خشيت على عيني الواحدة

ولولا مخافة ألا أراك * لما كان في تركها فائدة [٣]

يشكل بعضهم في عوره، وينسب هذه الأبياتَ لغيره، ولكنَّ عورَه حقيقةٌ أثبته معظم المؤرخين[٤]. وعلي هذا جري الشيخ النجار في مقدمة الخصائص[٥].

وتابعه محققو سر الصناعة فقالوا : "والراجح أن ابن جني كان من العور، والصحيح أن الأبيات له وأنه أعور"[٦] ولا نعرف تاريخ عوره، أكان في حداثته أم أصابه في الكبر[٧].

ومن صفاته أنه كان من عادته في الحديث أن يميل بشفتيه ويشير بيديه[٨] وربما يعود ذلك إلى طبيعة ابن جني ورغبته في توكيد المعنى في نفس السامع وتسديده، فهو يميل دائماً إلى الإطناب والتَّكرار والتَّوسل إلى الإقناع؛ ويضيف

---

(١) مقدمة الخصائص ١١/١.

(٢) معجم الأدباء ٨٤/١٢ – نزهة الألباء ص ٤٠٨ ومقدمة الخصائص ١١/١.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٣٣١/١.

(٤) معجم الأدباء ٨٤/١٢.

(٥) مقدمة الخصائص ١٢/١.

(٦) سر صناعة الأعراب المقدمة ٤٢/١– ٤٣ لأبي الفتح عثمان أبو جني، تحقيق حسن هنداوي – ط١ ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ – دار العلم دمشق ٤٢/١ – ٤٣ .

(٧) مقدمة الخصائص ١٢/١.

(٨) معجم الأدباء ٨٤/١٢.

محقق الخصائص : أنه ربما كان في لسانه لكنة لعجمته من جهة أبيه، فكأنه يستعين على إيضاح ما يريد بالإشارة[١] ولكن الناظر إلى أسلوب ابن جني من خلال كتبه يرجح السبب الأول إذا صحَّ إثبات هذه الصفة إليه.

أما أخلاقه، فقد كان ابن جني من العلماء الورعين ذوي الأخلاق العالية، البعيدة عن الرذائل، الراضية بالقليل من الدنيا، وهو القائل في صدر كتابه المحتسب : "وأشكر إليه ولا أشكوه، وأسأله توفيقاً لما يرضيه"[٢] وهو القائل أيضاً:"نسألك .... أن تجعل أعمالنا لك، واتصالاتنا بك، ومطالبنا مقصورة على مرضاتك ... فإذا انقضت علائق مددنا، واستوفي ما في الصحف المحفوظة لديك من عدد أنفسنا، واستؤنفت أحوال الدنيا الآخرة بنا فأقبلنا إلى كنز جنبك التي لم تخلق إلا لمن وسع ظل رحمتك، واجعل أمامنا هادياً من طاعتنا لك"[٣].

ويقول من قصيدة له :

شكرت الله نعمته * وما أولاه من أرب

إلى الله المصير غداً * وعند الله مطلّبي[٤]

وكان ابن جني رجل جدٍّ وامرأ صدق في قوله، فلم يؤثر عنه ما أثر عن أمثاله من رجال الأدب في عصره، من اللهو، والشرب، والمجون. وكان عفَّ اللسان والقلم، وقد يكون مردُّ هذا إلى اشتغاله بالتعليم والتدريس مبكراً، فلم يكن من همَّه منادمة الملوك وإرضاؤهم[٥].

ويظهر لنا كرم خلقه هذا في كتبه العلمية، فلم يذكر أحداً من العلماء إلا بالثناء والمدح من ذلك مدحه لأستاذه أبي علي الفارسي – وهو كثير (ولله هو، وعليه رحمته، فما كان أقوى قياسه ،أشد بهذا العلم الشريف أنسه، فكأنه إنما كان

---

(١) مقدمة الخصائص ١/١٣.

(٢) مقدمة المحتسب ١/٣٤.

(٣) السابق ١/٣١.

(٤) معجم الأدباء ١٢/٩٨ – ١٠٠.

(٥) مقدمة الخصائص ١/١٤.

مخلوقاً له، وكيف لا يكون كذلك، وقد أقام على هذه الطريقة مع جلَّـة أصـحابها، وأعيان شيوخها سبعين سنة، زائحة علله ساقطة عنه كلفه، وجعله همه وسدمه)[١].

ومن مدحه لسيبويه[٢] قوله : "إنه صاحب هذا العلم الـذي جمـع شـعاعه، وشرع أوضاعه ورسم أشكاله،ووسم إغفاله، وخلج أشطانه، وبعج أحضـانه، وزمَّ شوارده وأفاء فوارده[٣].

فنجده بذلك فاضلاً في أخلاقه يثني على العلماء جميعاً ويعتدُّ بآرائهم، فيقـول : (لا شك في أن الله سبحانه وتقدست أسماؤه – قد هداهم لهذا العلـم الكـريم ... وجعله ببركاتهم،وعلى أيدي طاعاتهم خادماً للكتاب المنزل،وكلام نبيه المرسل)[٤].

أما أسرته: فكل ما يعرف عنها أنه كان له ثلاثة أبناء (علي، عـالٍ، عـلاء) وكلهم أدباء فضلاء، وقد خرجهم والدهم وحسن خطوطهم، فهـم معـدودون فـي الصحيحي الضبط وحسنى الخط [٥] ولم يرد ذكرهم في كتب التراجم غير عالٍ[٦].

أما وفاته:

بلغ ابن جني المنهل الذي يرده كل من علي ظهرها في يوم الخميس السـابع والعشرين من صفر سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة (٣٩٢)هـ من الهجرة، الموافق الخامس عشر من يناير سنة اثنين وألف من الميلاد ١٠٠٢م وتكاد المصادر كلهـا تجمع على تاريخ وفاته إلا صاحب الكامل في التاريخ الذي ذكر أن وفاتـه سـنة

(١) مقدمة الخصائص ٣٠٨/١.

(٢) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، أبوبشر ويقال أبوالحسن، وسيبويه لقبه، ومعناه: رائحة التفاح، مولى بنـي الحارث بن كعب، ثم مولى آل الربيع ، فارسي الأصل، من شيراز، نشأ بالبصرة وأخـذ عـن الخليـل ويونس له كتاب (الكتاب) وهو أشهر ما ألف في النحو ت سنة١٦٠ وقيل (١٦١هـ) ، بغيـة الوعـاة ٢٣٠/٢.

(٣) السابق ٣٠٨/١ – ٣٠٩.

(٤) السابق ١٩٠/١.

(٥) معجم الأدباء ٩١/١٢.

(٦) وفيها أنه عالٍ بن عثمان بن جني، وكنيته أبو سعد ولقب بالبغدادي ، كان نحوياً أديباً حسن الحظ.أخذ عن والده والوزير عيسى بن علي، ونقل عنه (الجو اليقي) بعض الألفاظ في معربة توفي سنة ٤٥٧هـ وقيل ٤٥٨هـ معجم الأدباء ٢٨٣/٤.

ثلاث وتسعين وثلثمائة (٣٩٣هـ) [١]، وصاحب أنباه الرواة الذي جعل وفاته سنة أثنين وسبعين وثلثمائة هجرية (٣٧٢هـ) [٢]، ويرى محققو المحتسب أن كلمة سبعين هذه قد تكون محرفة عن كلمة تسعين[٣].

وقد كانت وفاته ببغداد ليلاً ودفن في مقابرها[٤].

(١) الكامل في التاريخ – لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن حمد بن عبدالكريم الشيباني (ابن الأثير) د.ط ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م. دار صادر ودار بيروت ١٧٩/٩.

(٢) أنباه الرواة ٢٣٦/٢.

(٣) مقدمة المحتسب ص: ٧.

(٤) الفهرست – ابن النديم – ص : ١١٥.

المبحث الثاني

حياته العلمية

المبحث الأول: العوامل التي كونت شخصية ابن جني العلمية:

تضافرت عدة عوامل ساعدت في تكوين شخصية ابن جني العلمية، التي تبرز لنا من خلال مؤلفاته في مختلف الفنون، فقد ألَّف في اللغة، والنحو، والصرف، والقراءات، والعروض، والأصوات وغيرها، كما سيظهر لنا من خلال عرض مؤلفاته، مما يدل على ثقافة واسعة وعلم غزير، من خلال تتبع حياة ابن جني ونشأته يمكننا تلخيص بعض تلك العوامل في الآتي:

* عاش ابن جني في القرن الرابع الهجري، عصر ازدهار العلم والأدب.

* ونشأ في بغداد حاضرة العالم الإسلامي، وعاصمة الخلافة آنذاك، وكان يفد إليها طلاب العلم والمعرفة من كل مكان ؛ فنشأ ابن جني وبين يديه ثروةٌ ضخمةٌ من التراث، أخذها عن علماء أفذاذ في ذلك القرن.

* إضافة إلى ذلك فقد طوَّف في البلاد، وتنقل بين مراكز الحضارة الإسلامية – آنذاك – كما رأينا في نشأته .

* إضافة إلى ذهنه المتوقد، وذكائه النادر، وملاحظته الدقيقة، وثقافته الأجنبية التي استمدها من ثقافة عصره، من العلوم المترجمة، والتي ورثها عن والده وأسلافه؛ إذ إنه ينتمي إلى أصل يوناني كما ذكرت في اسمه .

* إضافة إلى أساتذته والرواة الذين أخذ عنهم والأعراب الذين اتصل بهم وشافههم.

كل هذه العوامل مرتبطة بعضها ببعض، أسهمت بقدر وافر في تكوينه العلمي، فكان كما ذكر محقق سر الصناعة "عالماً متقناً متمكناً متفنناً"(١).

ولأن صلاته بأساتذته وشيوخه وتلاميذه مهمة في الإفصاح عن ملامح شخصيته العلمية فلا بد أن نقف بشيء من التفصيل على شيوخه الذين أخذ عنهم وتلاميذه الذين خرجهم، ونقف مع أصدقائه الذين صحبهم فترة من الزمن، ثم نختم حياته العلمية بالحديث عن آثاره العلمية التي خلدت اسمَه إلى يومنا هذا.

---

(١) مقدمة سر الصناعة ١/٩ – ١٢.

ثانياً: أساتذته :

أخذ ابن جني علوم العربية المختلفة، من لغة وأدب ونحو وصرف وقراءات وغيرها عن كثير من الشيوخ والرواة، والذين أكثر من النقل عنهم، ونجد أثـــارهم واضحة في كتبه، منهم:

* أبو العباس أحمد بن محمد الموصلي، الشافعي الملقب بالأخفش[(١)].

* وأبو سهل أحمد بن محمد بن عبدالله بن زياد القطان[(٢)].

* وأبوبكر محمد بن الحسن بن مقسم[(٣)]. وقد نقل ابن جني عنه فـــي معظـــم كتبه ودائماً بذكره في مقام النقل عنه[(٤)].

* وأبو الفرج على بن الحسين بن محمد بن الهيثم الأصبهاني[(٥)]. وقد أشـــار ابن جني إلى أخذ عنه في الخصائص[(٦)].

* وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القرمسيني[(٧)].

وأبوصالح السليل بن أحمد[(٨)] ومن رواياته عنه (أخبرنا أبو صالح السليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ) [(٩)]

---

(١) في بغية الوعاة : أنه الأخفش الثاني، كان إماماً في النحو فقيهاً، فاضلاً عارفاً بالمذهب الشـــافعي، أقـــام ببغداد ودرس بجامع المنصور، وله كتاب في تعليل القراءات السبع – بغية الوعاة ٣٨٩/١.

(٢) محدث ببغداد، كان إماماً ورعاً صواماً قواماً، سمع الحديث وروي الكثير توفي سنة ٣٥٠هـــ.

(٣) هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم، أبوبكر العطار، المقري النحوي، ولد سنة ٢٦٥هـــ، وكان ثقة عارفاً بالقرآن والنحو الكوفي، وله كتاب في النحو، وكتاب الأنوار في تفســـير القـــراءات تـــوفي ســـنة ٣٥٥هـــ – معجم الأدباء ١٥٠/١٨ وبغية الوعاة ٩٠/١ .

(٤) انظر: سر الصناعة ١٧٧/١، والخصائص ٣٨/١ / ٣٨٣، ٣٩٠، ١١/٢، ٤٦٧، ٢٨٠/٣ – المحتسب.

(٥) ولد بأصبهان سنة ٢٨٤هـــ، ونشأ ببغداد وهو علامة عصره كان من الحفظة وكان شاعراً ومن أشـــهر مؤلفاته : (الأغاني وله كتاب: الرد علي الشعراء) توفي ببغداد سنة ٣٥٦هـــ – معجم الأدباء ٩٤/٣ – الفهرست ص: ١٩

(٦) الخصائص ١٣٢/٣.

(٧) هو إبراهيم بن أحمد بن الحسن أبو إسحاق القرماسيني، روي عن أبي بكـــر الأصـــبهاني، وروي عنـــه إبراهيم بن أحمد الطبري وكان عالماً باللغة والأدب، توفي سنة ٣٥٨هـــ – طبقات القـــراء ٧/١ وبغيـــة الوعاة ٩٥/٢.

(٨) لم تعرض له كتب التراجم ، والراجح أنه أحد الأعراب الذين كانوا يفدون إلي الحاضرة ،وقد اخذ عنـــه ابن جني ، كغيره من فصحاء العرب.مجلة الجمع العلمي – دمشق – مجلد :٤٤٧/٣٠. ط ١٣٧٤هـــ ١٩٥٥نقلاً عن عبقري اللغويين د. عبدالغفار حامد هـــلال ط١ ، ١٤٢٦هـــ – ٢٠٠٦م ، دار الفكـــر العربي ٥٧/١.

(٩) الخصائص ٣٨٧/١.

وهناك أساتذة آخرون قد أخذ عنهم ابن جني ورد ذكرهم في المحتسب(١) وكتبه الأخرى(٢) وكثير من المواضع التي فيها نصوص صريحة في الدلالة على أنه تتلمذ على يد عدد من الأشياخ وكان ذلك قبل تلمذته لأبي علي، وكان أخذه عنهم يدور في الأغلب بين الموصل وبغداد وغيرها في بلاد متفرقة كما يبدو من قوله في إجازته (وما صح عنده – أيده الله وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد التي أتيتها وأقمت بها مباركاً له فيه منفوعاً به بإذن الله) (٣).

أستاذه الأول: أبوعلي الفارسي:

هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي، الفسوي النحوي، ولد ببلدة (فسا) من أعمال فارس سنة ثمان وثمانين ومائتين هجرية (٢٨٨هـ)، وقدم إلى بغداد سنة سبع وثلثمائة (٣٠٧هـ) (٤) . وكانت بغداد في ذلك الوقت عامرة بالعلم والعلماء، فأخذ النحو عن جماعة من أعيانه، كأبي إسحاق الزجاج(٥)، وقد نبغ في علم العربية ولاسيما النحو والصرف، ويعد من زعماء مدرسة القياس حتى ليقول ابن جني نقلاً عنه"أخطئ في مائة مسألة لغوية، ولا أخطئ في واحدة قياسية"(٦). بيد أنه كان لا يقول الشعر، وروي عن ابن جني أنه قال : لم أسمع لأبي علي شعراً قط إلا قوله في الشيب:

خَضَبْتُ الشَّيبَ لمَّا كان عيباً * وخضَبُ الشَّيب أولى أن يُعابا
ولَم أخضب مخافة هَجرِ خلٍّ * ولا عيباً خشيتُ ولا عتابا

---

(١) ٣٦/١، ١٨٩.

(٢) الخصائص ٨٠/١، ٣١٥ / ٣٨٦ / ٣٥/٣، المنصف في شرح تصريف المازني لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، ط ١، ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٥٧/١، ١٠٥/٣.

(٣) معجم الأدباء ١٠٩/١٢ – ١١١.

(٤) معجم الأدباء ٢٣٢/٧ ووفيات الأعيان ١٤٩/٤، ونزهة الألباء ٣٨٧/٧ والفهرست ص: ١٨٨.

(٥) هو أبوإسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ولد سنة ٢٤١هـ وتوفي سنة ٣١١هـ،من كبار النحاة واللغويين، أخذ عن ثعلب والمبرد، ومن آثاره معاني القرآن وإعرابه – معجم الأدباء ١٥١/١ وبغية الوعاة ٤١٣/١.

(٦) معجم الأدباء ٢٣٨/٧، وبغية الوعاة ٤٩٧/١، وفي الخصائص (أخطئ في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطئ في واحدة من القياس) الخصائص ٨٨/٢.

ولَكــــنّ المشـــــيب بـــــدا ذميمـــــاً * فصـــــيرتُ الخضـــــابَ لــــهُ عقابـــــا (١)

وقد طارت شهرة أبي علي في الآفــاق، وحظـــي بتقــدير الملــوك وذوي السلطان في البلاد الإسلامية المختلفة، فأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمــدان(٢) مدة، ثم انتقل إلى بلاد فارس وصحب عضد الدولة بن بويه(٣). ويروي أنه صنف له كتباً منها الإيضاح والتكملة(٤). وله مؤلفات كثيرة منها : الحجــة، والتــذكرة، والمسائل البغداديات،والعسكريات، والشيرازيات، والبصريات والمقصور والممدود وغيرها(٥). وقد تتلمذ على يد أبي على كثير من طلاب العلم وبرع مــنهم حــذاق ولكن أبقي تلاميذه ذكراً، وأبعدهم صيتاً، وأقدرهم نشراً لعلمه هو عالمنا أبو الفتح عثمان بن جني كما وصفه محققاً سر الصناعة(٦).

توفي أبوعلي ببغداد يوم الأحد السابع عشر من ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلثمائة هجرية(٣٧٧هــ) عن تسع وثمانين سنة(٧).

أما صحبة ابن جني له، فيشير المؤرخون إلى أن أبا علي دخل الموصل سنة ٣٣٧هــ فمر بالجامع وأبو الفتح في حلقة كان يقرئ النحو وهو شاب(٨)، فســأله أبو علي في مسألة في التصريف فقصر فيها، فقال له أبو علــي : زببــت وأنــت حصرم فسأل عنه فقيل له : هذا أبو علي الفارسي، فلزمه من يومئــذٍ(٩) .وتشــير

---

(١) معجم الأدباء ٢٥١/٧.

(٢) هو علي بن عبدالله بن حمدان التغلبي سيف الدولة الأمير، ولد بديار بكر سنة ٣٠٣هــ، وتوفي بها سنة ٣٥٦هــ وهو أول من ملك حلب من بني حمدان – الأعلام ٣٠٣/٤.

(٣) هو فناخسرو بن الحسن بن بويه أبو شجاع عضد الدولة أحد العلماء بالعربية والأدب تولي ملك فــارس والموصل في بلاد الجزيرة ولد سنة ٣٢٤ هــ وتوفي سنة ٣٧٢هــ – بغية الوعاة ٢٤٧/٢ – والأعلام ١٥٦/٥.

(٤) معجم الأدباء ٧/ ٢٣٨، نزهة الألباء ٣٨٩.

(٥) معجم الأدباء ٢٤١/٧ – ٢٤٢.

(٦) سر الصناعة ٣٠/١.

(٧) معجم الأدباء ٢٣٤/٧، ونزهة الألباء ص: ٣٨٩، وإنباء الرواة ٢٧٣/١.

(٨) روى أنه كان يتكلم في مسألة قلب الواو ألفاً – نزهة الألباء ص: ٤٠٨.

(٩) معجم الأدباء ٩٠/١٢ – ٩١.

بعض الروايات إلى أن ابن جني صحب أبا علي بعد هذا التاريخ[١]. ويذكر ابن جني نفسه أن أبا علي دخل الموصل سنة إحدى وأربعين وثلثمائة[٢] وأنه في هذه السنة حدثهم يقول :"وحدثنا أبوعلي سنة إحدى وأربعين"[٣].

وقد توطدت دعائم الصلة بين ابن جني وأستاذه لعدة أسباب منها:

١/ الحب والاعتزاز المتبادل بينهما فقد كان ابن جني شديد الثقة والإعجاب بأستاذه فلا نجد كتاباً لابن جني يخلو من ذكر أبي علي وإعجابه بآرائه، كقوله "قلت مرة لأبي بكر أحمد بن علي الرازي ، وقد أفضنا في ذكر أبي علي ونبل قدره ونباوة محله، أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من هذا العلم، ثلث ما وقع لجميع أصحابنا"[٤] وقد ظل ابن جني في صحبة أستاذه يبادله التقدير والوفاء حتى وفاته.

٢/ اتفاق ابن جني وأستاذه في التفكير والمذاهب اللغوية والنحوية والدينية ؛ فقد كانا على مذهب الإمام أبي حنيفة، وكانا معتزليين – كما سنبين بعد – وكانا بصريين غير متعصبين، وتابعا غير المذهب البصري فيما يوصل إلى الرأي السديد، وكانا متوسعين في القياس، ولا بأس من اختلافهما في الرأي حسبما تظهر الحجج[٥].

٣/ لم يكن أبوعلي منجباً للأولاد الذين يؤنسون وحدته، فاتخذ من ابن جني الأنيس الذي يرعي شؤونه، ولاسيما أن ابن جني كانت له ميول قوية إلى الاستفادة من علم أستاذه، وقد كان أبو علي – كما حدث ابن جني – قوياً في علمه؛ فما بقي من آثاره يدل علي بصر كبير بالنحو وعلله وأقيسته، وهذا يؤيد ما حكاه ابن جني

---

(١) مقدمة الخصائص ١٩/١.

(٢) الخصائص ٥٧/١.

(٣) السابق والصفحة.

(٤) الخصائص ٢٠٨/١.

(٥) مقدمة سر الصناعة ٣٣/١ – ٣٤.

عن أستاذه :"فقد ضرب بسهم صائب في تحصيل العلم حتى صار أوحد زمانه في علم العربية"(١).

٤/ إضافة إلى ذلك حاجة ابن جني إلى العيش الرغيد، فقد كان أستاذه ذا حظ وفير من المال والثروة لصلاته بالملوك والأمراء(٢).

يتضح لنا من ذلك أن الصحبة بين ابن جني وأستاذه قد طالت لظروف علمية واجتماعية إلى أن مات الأستاذ فخلفه التلميذ في التدريس ببغداد.

وقبل أن نختم حديثنا عن المناهل التي نهل منها ابن جني علمه الغزير لا بد من الوقوف على أحد المصادر اللغوية المهمة وهي مشافهة الأعراب التي تعتبر منبعاً صافياً للغة، وقد كان ذلك مسلك الأئمة الأولين كالخليل بن أحمد(٣) وغيره من العلماء في أخذ اللغة عن الأعراب في البوادي(٤). وكان أغلب الأعراب الذين أتصل بهم ابن جني من عقيل، وقد ذكر ذلك في مواضع كثيرة كقوله : "سمعت عامة عقيل تقول ذاك"(٥) و"رأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم"(٦) و"سألت بعض بني عقيل" (٧)وسمعت غلاماً حدثاً من عقيل"(٨).

وإذا تتبعنا الأعراب الذين حاورهم ابن جني فسنجده يأخذ كثيراً عن الشجري، وهو محمد بن العساف الشجري أعرابي عقيلي، كانت صلته قد توطدت بابن جني، فأكثر الحديث معه والنقل عنه، ويثبت له الفصاحة وعدم التكلف والبعد

---

(١) مقدمة سر الصناعة ٢٦/١ ونزهة الألباء ص: ٣٨٧.

(٢) أبو علي الفارسي – للدكتور عبدالفتاح شلبي – ص ٣٢٨ – دار نهضة مصر ١٩٥٨م.

(٣) هو الخليل بن أحمد بن عمرو أبو عبدالرحمن الفراهيدي البصري ، صاحب العربية والعروض، ولد سنة ١٠٠هـ ، وهو أول من جمع حروف المعجم ،وله كتاب العين لضبط اللغة، وله كتاب في العروض ، ووضع أوزان الشعر العربي ، توفي سنة ١٧٥هـ بغية الوعاة ٥٥٧/١، وأنباه الرواة ٢٤١/١.

(٤) مقدمة الخصائص ١٥/١.

(٥) المحتسب ٨٤/١.

(٦) السابق ١٦٧/١.

(٧) الخصائص ١١٧/٢.

(٨) المحتسب ٢١٠/١.

عن معرفة الصناعة، لذلك نجده يأنس به ويسأله، فتردد اسمه في أكثر من موضع من كتبه فيقول "سمعت الشجري" أو (أنشدني الشجري) [١] وقد ذكر اسمه وقبيلته في الخصائص بقوله : (وسألت يوماً أبا عبدالله محمد بن العساف العقيلي الجوثي التميمي، تميم جوثة) [٢] ولعل أكثر ما كان ابن جني يسأل الشجري عن أمور تتعلق بقواعد النحو التي كان ابن جني قد حذقها، ولكنه أراد التأكد من توافقها مع لغة أعراب عصره، خاصة أولئك الذين كانوا يحافظون على فصاحتهم، فمن أسئلته للشجري : سألت الشجري يوماً فقلت: (يا أبا عبدالله كيف تقول : ضربت أخاك ؟ فقال : كذلك فقلت : أفتقول ضربت أخوك؟ فقال: لا أقول أخوك أبداً قلت : فكيف تقول : ضربني أخوك ؟ فقال كذاك. قلت : ألست زعمت أنك لا تقول :أخوك أبداً؟ فقال : أيش ذا ؟ اختلفت جهتا الكلام) [٣] وغير ذلك من المواضع).

من هنا نلاحظ أن ابن جني في مشافهته للأعراب لا يهدف إلى جمع اللغة أو تصحيحها، ولا معرفة اللهجات، وإن أراد شيئاً من هذا فلا يتجه فيه للأعراب ولا يأخذه منهم قضية مسلمة، بل نراه يقف بين جيلين منهم ويتلمس بنفسه فرقاً بين الجيل الأول – وفيه بقية من إرث لغوي – وبين الجيل الثاني – وقد بدأ يلين لسانه – كما في قصة الشجري وابن عم له كان ابن جني قد جمع بينهما وحاورهما فقال: (وسألت مرة الشجري ومعه ابن عم له دونه في فصاحته، وكان اسمه غصناً فقلت لهما : كيف تحقران حمراء ؟ فقالا : حميراء، قلت فسودا ؟ قالا : سويدا، قال : وواليت من ذلك أحرفا وهما يجيبان بالصواب، ثم دسست في ذلك علبياء فقال عصن : عليباء وتبعه الشجري فلما هم بفتح الباء تراجع كالمذعور ثم قال : أه عليبي ورام الضمة في الياء فكانت تلك عادة له) [٤].

---

(١) الخصائص ٧٨/١.

(٢) السابق ٧٦/١.

(٣) السابق ٧٦/١، ٢٥٠.

(٤) السابق٢٦/٢وانظر ٢٤٠/١، ٢٤١، ٢٤٢.

فابن جني كما نتمثله عالم العربية في معمل الصوتيات، أدواته أفواه وحناجر الأعراب، يديرها على أذنه وعلى قواعد العربية كما قعدها، وفسرها، وفلسفها، فصحبته للأعراب تتصل بفلسفة اللغة، لا بجمعها وتحصيلها، ويرى بعض الباحثين المحدثين أن ما أخذه ابن جني عن معاصريه من الأعراب لم يكن شيئاً أساسياً، فهو لا يعدو الاستئناس حين يتحدث عن مسألة صوتية أو لهجية، ولم يجعل ما قالوه قاعدة ألبتة[1]، وابن جني في مشافهته للأعراب يروي عن الفصحاء ولا يثق بغيرهم ممن ضعفت سليقتهم العربية يقول: وقد طرأ علينا أحد من يدعي الفصاحة البدوية ويتباعد عن الضَعْفَةِ الحضرية، فتلقينا أكثر كلامه بالقبول إلى أن أنشدني يوماً شعراً لنفسه يقول في بعض قوافيه : أشأؤها وأدأوها بوزن : أشععها وأدععها، فجمع بين الهمزتين وأستأنف من ذلك ما لا أصل له ولا قياس يسوقه . وما كانت هذه سبيله وجب اطراحه والتوقف عن لغة من أورده ... فينبغي أن يتوحش من الأخذ عن كل أحد إلا أن تقوى لغته وتشيع فصاحته[2].

وهو بهذا الحديث يبين مبدأه في الأخذ عن الأعراب، وهو اشتراط الفصاحة ويوصي علماء اللغة والحريصين عليها باتباعه في ذلك، للامساك بزمام اللغة التي شغف بها، وأوقف بحوثه على آثارها.

ثالثاً : تلاميذه:

ذكرنا أن ابن جني قد تصدر بعد شيخه أبي علي الفارسي في مجلسه للتدريس، فكان من الطبيعي أن يكثر طلابه، وقد تتلمذ على يديه عدد من كبار العلماء والأمراء، الذين كان لهم أثر كبير في علوم اللغة والنحو والصرف من بعده ومن أشهر من أخذوا عنه:

(١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني – حسام سعيد النعيمي د.ط ١٩٨٠م – منشورات وزارة الثقافة والإعلام ط ١٩٨٠/ ص ٣٧ – ٤٤.

(٢) الخصائص ٦/٢.

١/ أبوالقاسم عمر بن ثابت الثمانيني[(١)].

٢/ أبوالحسين محمد بن عبدالله بن شاهويه[(٢)].

٣/ علي بن يزيد القاشاني[(٣)].

٤/ محمد بن أحمد بن سهل الواسطي[(٤)]، وحكي أخذه عن ابن جني فقال:(ورد أبو الفتح عثمان ين جني إلى واسط، ونزل في دار شريف أبي علي الجواني (نقيب العلويين) وكنا نتردد عليه ونسائله، ويملي علينا مسائل سماها الواسطية)[(٥)].

٥/ أبو الفتح ثابت بن محمد الجرجاني الأندلسي[(٦)].

٦/ أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن نصر[(٧)].

٧/ عبدالسلام البصري[(٨)].

---

(١) هو عمر بن ثابت الثمانيني النحوي الضرير، إمام فاضل أديب كامل، أخذ عن ابن جني وله شرح اللمع وشرح التصريف الملوكي، من بلدة ثمانين بالموصل ومات سنة ٢٤٢هـ، بغية الوعاة ٢١٧/٢، ونزهة الألباء ص : ١٧١.

(٢) هو محمد بن عبدالله بن شاهويه أبو الحسين، روي عن أبي علي الفارسي، وحدث بالإجازة عن ابن جني وعليه قرأ عدد من كتب الأدب والنحو – بغية الوعاة ١٢٩/١.

(٣) علي بن يزيد القاشاني أحد أصحاب ابن جني، أمتاز بالخط الجميل، الكثير الضبط الذي سلك فيه مسلك شيخه – معجم الأدباء ٢٨/١٣.

(٤) هو محمد بن أحمد بن سهل الواسطي أبو غالب المعروف بابن بشران، أحد الأئمة المعروفين، صاحب نحو ولغة وحديث، ولد سنة ٣٨٠هـ وتوفي سنة ٤٦٢هـ، معجم الأدباء ٢١٤/١٧، بغية الوعاة ٢٦/١.

(٥) أنباه الرواة ٣٣٥/٢.

(٦) هو ثابت بن محمد الجرجاني الأندلسي،كان إماماً في العربية، روي ببغداد عن ابن جني، وتوفي مقتولاً سنة ٤٣١هـ – معجم الأدباء ١٤٥/٧، وبغية الوعاة ٢١٠/١.

(٧) أجاز له ابن جني رواية كتبه ومصنفاته عنه في قوله (وقد أجزت للشيخ أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن نصر – أدام الله عزه – أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه أبو أحمد عبدالسلام بن الحسين البصري – أيد الله عزه) معجم الأدباء ١٠٩/١٢، ولم أعثر له على ترجمة سوى هذه الأجازة.

(٨) هو أبو أحمد عبدالسلام بن الحسين بن محمد البصري اللغوي أبو أحمد القرمسيني، كان عالماً باللغة والأدب والقرآن، توفي سنة ٤٢٩هـ وجاء في البغية أنه أخذ عن أبي علي الفارسي. وجاء في معجم الأدباء في ترجمة ابن جني أنه أخذ عنه – معجم الأدباء ١٠٩/١٢،وبغية الوعاة ٩٥/٢.

٨/ أبو الحسن السمسمي[١].

٩/ محمد بن الحسين الموصلي[٢].

إلى جانب هؤلاء العلماء الذين تخرجوا على يدي ابن جني تخرج عدد من أمراء (آل بويه) الذين لازمهم في دورهم، وكان من أقرب المقربين إليهم[٣].

ولم يقف تأثير ابن جني على تلاميذه من العلماء والأمراء الذين عاصروه،بل نجد تأثيره واضحاً في العلماء الذين أتوا من بعده، فوجدوا ابن جني قد فتح لهم أبواباً لم يتسن فتحها لسواه، فكان تأثيره واضحاً فيما نقلوه عنه، بل ويمتد تأثيره إلى يومنا هذا.

ومن هؤلاء العلماء الذين أخذوا عنه:

١/ على بن أحمد بن سيده الأندلسي[٤]:

وقد وصفه محقق الخصائص بأنه أغار على فوائده وبحوثه اللغوية، في كتابه (المحكم) وأغفل عزو ما أخذه إلى صاحبه[٥] وكذلك كتابه (المخصص) فنجد فيه بحثاً في اللغة يبتدئ بقوله:(وقد اختلفوا في اللغة أمتواطئ عليها أم ملهم إليها)[٦] وهذا من الخصائص[٧].

---

(١) هو علي بن عبيدالله السمسمي أبو الحسن، اللغوي، النحوي، كان جيد المعرفة بفنون العربية، صحيح الخط، ثقة في روايته، توفي سنة ٤١٥هـ معجم الأدباء ٥٨/١٤ – وبغية الوعاة ١٧٨/٢.

(٢) محمد بن الحسين الموصلي المعروف بابن وحشي، كان إماماً في القراءات والنحو والعروض – بغية الوعاة ٩٥/١.

(٣) أنباه الرواة ٣٣٩/٢.

(٤) هو علي بن أحمد بن سيده أبو الحسن الضرير، لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب، توفي سنة ٤٥٨هـ، ومن كتبه: المحكم والمحيط الأعظم، والمخصص – معجم الأدباء ٢٣١/١٢، وبغية الوعاة ١٤٣/٢.

(٥) مقدمة الخصائص ٢٩/١٠.

(٦) المخصص – لابن سيده د ط ، د ت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت – د.ط.

(٧) الخصائص ٤٠/١ – ٤٧.

ثم يأتي صاحب اللسان؛ وينقل ما في ابن سيده، وينسبه لابن سيده، وهو لابن جني، فقد نقل فصلاً في تفسير النحو[(١)]، أنشأه ابن جني في (الخصائص) [(٢)] وعزاه صاحب اللسان لابن سيده.

٢/ عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي[(٣)]:

وقد انتفع كثيراً بشعر ابن جني في كتابه سر الفصاحة[(٤)].

٣/ ابن الأثير[(٥)]:

الذي نقل فصلاً كاملاً من خصائص ابن جني في كتابه(المثل السائر) من غير أن يعزوه إليه[(٦)].

٤/ الحافظ جلال الدين السيوطي[(٧)]:

الذي نقل كثيراً من كتب ابن جني[(٨)].

ولم يقف تأثير ابن جني على من ذكرت من العلماء، لأن من يطلع على المعجمات وكتب اللغة وكتب أصول النحو والتصريف، يجد أثر ابن جني واضحاً فيها، أما أثره في كتب المحدثين فأنني أكتفي بقول أحدهم:(إننا لا نكاد نجد كتاباً

---

(١) لسان العرب لابن منظور – مادة (نحو).

(٢) الخصائص ٣٤/١.

(٣) عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي أبو محمد : شاعر أخذ الأدب عن أبي علاء المعري، ولد سنة ٤٢٣هـ، وتوفي سنة ٤٦٦هـ، وله سر الفصاحة، وديوان شعر مطبوع – الإعلام ١٢٢/٤.

(٤) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي – شرح وتصحيح : عبدالمتعال الصعيدي – ص ١٧ – مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر – د.ط ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م ص : ١٧.

(٥) هو نصر الله بن محمد بن عبدالكريم أبو الفتح ضياء الدين الشيباني،ولد سنة ٥٥٨هـ، وتوفي ببغداد سنة ٦٣٧هـ ومن مؤلفاته : المثل السائر، وكتاب ديوان رسائل – بغية الوعاة ٣١٥/٢.

(٦) الفصل في الخصائص ٢١٧/١، نقله في مقدمة المقالة الثانية في الصناعة المعنوية .

(٧) هو عبدالرحمن بن الكمال أبو بكر (جلال الدين السيوطي ، ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفي سنة ٩١١يقال أنه كتبه بلغت : ستمائة مؤلف ، منها: المزهر والأشباه والنظائر والجامع الصغير والكبير وغيرها مقدمة بغية الوعاة ١٠/١.

(٨) ذكر محقق الخصائص كثيراً من النقول التي نقلها السيوطي وابن جني، انظر مثلاً الخصائص ١٦٤/١، ٢١٢، ٢١٣.

حديثاً في القراءات، أو اللغة، أو اللهجات، أو الأصوات، يخلو من ذكر ابن جني وآرائه) [1].

رابعاً: أصدقاؤه:

لابد لي والحديث عن نشأة ابن جني وحياته العلمية من الوقوف قليلاً مع أصدقائه الذين صحبهم فترة من الزمن وقد اخترت منهم صديقين شاعرين ربطت بينهم وبين ابن جني علاقة حميمة كان لها ما لها من الأثر على حياته وهما : المتنبي والشريف الرضي .

أولاً: المتنبي:

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الكندي الجعفي أبو الطيب المتنبئ،ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ، يلقب بشاعر العربية، أتصل بسيف الدولة سنة ٣٣٧هـ، ومدحه وأكثر القول في مديحه، ثم فارقه إلى مصر سنة ٣٤٦هـ، ومدح كافور الأخشيدي ثم هجاه، وفارقه سنة ٣٥٠هـ، وقصد عضد الدولة ببلاد فارس . ثم رجع قاصداً الكوفة فقتل بقرب النعمانية سنة ٣٥٤هـ[2].

التقي ابن جني بشاعر العربية في بلاط سيف الدولة الحمداني في الشام بحلب،وفي شيراز[3] عند عضد الدولة البويهي . وقد توطدت العلاقة بين عالمنا ابن جني وشاعر العربية المتنبي، فكانت لهما لقاءات متعددة ومناقشات متكررة[4] . وكان ابن جني لا يخفي إعجابه بالمتنبي، بل إنه استطاع أن يحبب فيه أستاذه أبا علي الفارسي، الذي كان يستثقله ويستقبح زيه وفعله، فتمكن ابن جني من تحويل شعور أستاذه إلى الإعجاب بالمتنبي، يروي أن ابن جني قال : أنشدت أبا علي ليلاً قصيدة أبي الطيب التي أولها:

---

(١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني – حسام سعيد النعيمي – ص/ ٢٠.

(٢) نزهة الألباء ص: ٢٩٤ – والمختصر في أخبار البشر – لأبي الفداء ط١ المطبعة الحسينية المصرية ١٠٤/٢.

(٣) شيراز (بكسر الشين) بلد عظيم في وسط بلاد فارس – معجم البلدان – للإمام شهاب الدين عبدالله بن ياقوت الحموي– د.ط ١٣٨٦هـ ١٩٥٩م دار صادر ودار بيروت ٣٨١/٣.

(٤) معجم الأدباء ٨٩/١٢، وبغية الوعاة ١٣٢/٢.

وأحرَّ قلباهُ ممن قَلبُه شَيِمُ[١]

فلما وصلت إلى قوله:

وشَـــرُّ مـــا قَنَصَـــتْهُ راحتـــي قَـــنَصُ * شُهُبُ البُزاة ســـواءُ فيـــه والـــرَّخَمُ[٢]

أعجب به ولم يزل يستعيده حتى حفظه[٣]. وقد بلغ من إعجاب ابن جني بـــه أنه يستشهد بشعره في المعاني، ويمدحه، ويخصه باسم شـــاعرنا فـــي مواضـــع كثيرة[٤] ومن ذلك ما ذكره عند الاحتجاج لقراءة (وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ) [٥] بفـــتح الباء، يقول: وقد مر به لفظاً شاعرنا فقال :

وإنَّا إذا ما الموتُ صرَّح فـــي الـــوغى * لبسنا إلى حاجاتنا الضربَ والطعنـــا[٦]

ثم يقول:"ولا تقل ما يقوله من ضعفت نحيزته وركت طريقته: هذا شاعر محـــدث، وبالأمس كان معنا فكيف يجوز أن يحتج به في كتاب الله (جـــل وعـــز) ؟ فـــإن المعاني لا يرفعها تقدم ولا يزري بها تأخر. فأما الألفاظ فلعمري أن هذا الموضع معتبر فيها، وأما المعاني ففائتة بأنفسها إلى مغرسها، وإذا جاز لأبـــي العبـــاس أن يحتج بأبي تمام في اللغة، كان الاحتجاج في المعاني بالمولـــد الآخـــر أشـــبه" [٧]. ويقول في الخصائص :"ولا تستنكر ذكر هذا الرجل – وإن كان مولداً – في أثناء ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه، ولطف متسربه، فإن المعـــاني يتناهبهـــا

---

(١) شرح ديوان المتنبي–عبدالرحمن البرقوقي د.ط ١٤٠٧هـــ ، ١٩٨٦م، دار الكتـــاب العربـــي ، بيـــروت ص ٨٠.

(٢) الشهب : جمع أشهب وهو ما فيه بياض يصدعه سواد والرخم: جمع رخمة ، طائر من الجوارح الكبيرة وهو موصوف بالغدر ،وهذا مثل يعني شر صيد صدته ما شاركني فيه اللئام يريـــد أن ســـيف الدولـــة يجري به العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء، شرح ديوان المتنبي ص ٩٠.

(٣) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – لأبي منصور عبدالملك الثعالبي النيسابوري – شرح وتحقيـــق : مفيد محمد قميحة– ط١ – ١٤٠٣هـــ – ١٩٨٣ ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ١٣٧/١.

(٤) المحتسب ٤١/١، ٢٣١، ١٩/٢، ١٣٠، ٢٠١، والخصائص ٢٤/١، ٤٠٣/٢.

(٥) سورة الأنعام الآية رقم ١٣٧.

(٦) ديوان المتنبئ ٣٨٨/٢.

(٧) المحتسب ٢٣١/١.

المولدون كما يتناهبها المتقدمون) [1] بعد أن استشهد بأبيات له في استعمال الكلام مجازاً.

وأني لأرى عالمنا العبقري الفذَّ من خلال هذه النصوص ناقداً يضع قاعدة نقدية مهمة في جواز الاحتجاج بشعر المولدين في المعاني.

وكثيراً ما كان ابن جني يمتدح المتنبي بالقول كقوله:" وحدثني المتنبي – شاعرنا – وما عرفته إلا صادقاً" [2] ويقول في موضع آخر :(لقد شاهدته على خلق قلما تكامل إلا لعالم موفق ... ولو لم يكن من الفضيلة إلا قول أبي علي فيه لكفاه) [3].

ومن دلائل عناية ابن جني بالمتنبي أنه أخذ شيئاً من أخباره عن علي بن حمزة البصري[4] ؛ لأن المتنبي لما ورد بغداد نزل ضيفاً عليه إلى أن رحل عنها[5].

وقد شرح ابن جني ديوان المتنبي شرحين ونبه على معانية وإعرابه – كما سيأتي بيان ذلك في مؤلفاته – وقد اختلف المؤرخون في قراءة ابن جني ديوان المتنبئ عليه، فيذكر ياقوت[6] والسيوطي: أن ابن جني لم يقرأ عليه شيئاً أنفة وإكباراً لنفسه[7].

---

(١) الخصائص ١/٢٢، ٢٥.

(٢) نفسه ١/٢٣٩.

(٣) شرح ديوان المتنبئ ص ٢٣

(٤) هو أبو نعيم على بن حمزة البصري، نحوي، لغوي، كان من أئمة الأدب وأعيان أهل اللغة الفضلاء، توفى سنة ٣٧٥هـ، وله ردود علي جماعة من أئمة اللغة ككتاب: الرد على أبي عمرو في نوادره، والرد علي ابن السكيت في الإصلاح وغيرها – معجم الأدباء ١٣/٢٠٨، بغية الوعاة ٢/١٦٥.

(٥) معجم الأدباء ١٣/٢٠٨.

(٦) هو ياقوت بن عبدالله ، أبو عبدالله ، شهاب الدين الحموي ، ولد سنة ٥٧٤هـ ، ببلاد الروم ، وتوفي سنة ٦٢٦هـ – بحلب ، ومن أشهر مؤلفاته معجم الأدباء – مقدمة معجم الأدباء ١/١٨ – ٤٤.

(٧) معجم الأدباء ١٢/٨٩ وبغية الوعاة ٢/٣٢٢.

ويذكر ابن خِلَّجان[١] أنه قد قرأ الديوان على صاحبه[٢] ويؤيد ذلك محققا سر الصناعة، لأن ابن جني نفسه قد صرح بذلك[٣] ؛إضافة إلى ذلك فإن ما عرفناه من شخصية ابن جني العلمية ومرونته في تلقي البحث، التي تجعله يتلقي العلــم مــن شتى المصادر.

ومن دلائل علاقة ابن جني بالمتنبي رثاء ابن جني للمتنبي في قصيدة طويلة مطلعها[٤]:

غَاضَ القــريضُ وأذوت نضــرةُ الأدبِ * وصوّحت بعــد ريٍّ دوحــةُ الكتــبِ[٥]

وكان المتنبي – كذلك – معجباً بابن جني، معتــداً بصــداقته، فكــان يقــول عنه"هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس" [٦] ويقول:"ابن جني أعرف بشعري مني"[٧] وروي أن المتنبي إذا سئل عن مسألة كان يقول:(لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره" و"عليكم بالشيخ الأعور. فإنه يقول ما أردت وما لم أرد" [٨].

وعلينا ألا نستغرب هذا الإعجاب من ابن جني بشعر المتنبي فقد كان لعالمنا ذوق أدبي يجعله يهتم بالمتنبي بوصفه شاعراً بل له كثير من القصائد التي تكشف لنا عن شاعر مرهف، من ذلك قوله في الغزل[٩]:

غــــزال غيــــر وحشــــي * حكــــى الوحشــــي مقلتــــه

وشــــم بأنفــــه الريحـــــا * ن فاســــــتهداه زهرتــــــه

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو العباس بن خلجان ،ولد في أربل سنة ٦٠٨هــ وانتقل إلــى دمشــق ومنها إلى مصر ومات فيها سنة ن٦٨١هــ ، يتصل نسبه بالبرامكة – الأعلام ٢٢٠/١.

(٢) وفيات الأعيان ٤١٢/٢.

(٣) مقدمة سر الصناعة ص: ٣٦.

(٤) القصيدة من بحر الوافر، وردت في معجم الأدباء ٨٦/١٢.

(٥) أذوت : ذبلت وصوح مثلها، الدوحة : الشجرة الملتفة وفي اللسان صوح : اللسان مادة صوح وتشقق

(٦) بغية الوعاة ١٣٢/٢.

(٧) معجم الأدباء ١٠٢/١٢.

(٨) السابق والصفحة .

(٩) معجم الأدباء ٩٠/١٢.

وذاقـــت ريحـــه الصـــهبا * ء فاختلســـــته نكهتـــــه

فهذه الأبيات التي تسيل عذوبة – كما وصفها محقق الخصائص – تنفي مـا ذهب إليه بعض المؤرخين من أن شعره بارد[1].

ومن جيد شعره مرثيته في المتنبي التي مرت بنا، وله قصيدة طويلة يفخـر فيها مطلعها :

وحلـــو شـــمائل الأدب * منيـــف مراتـــب الحســـب

أخـــي فخـــر مفـــاخره * عقائـــل عقلـــة الأدب

لـــه كلـــف بمـــا كلفـــت * لـــه العلمـــاء م العـــرب

ويمضي في الحديث عن نفسه،وفي هذه القصيدة أبيات أوردها في الحـديث عن نسبه وأنه– وإن لم يكن عربياً – فإن عنده ما يعوضه هذا النقص يقول:

فـــإن أصـــبح بـــلا نســـب * فعلمـــي فـــي الـــورى نســـبي

علـــى أنـــي أءول إلـــى * قـــروم ســـادة نجـــب

قياصـــرة إذا نطقـــوا * أرمَّ الـــدهر ذو الخطـــب

أولاك دعـــا النبـــي لهـــم * كفـــى شـــرفاً دعـــاء نبـــي[2]

ثانياً: من أصدقائه : الشريف الرضي[3]:

صادقه ابن جني حينما كان مقيماً ببغداد،وكان معجباً بشعره، ربما كان ذلـك لكرم أصله ولتبحره في العلوم وتمسكه في شعره بأساليب القدماء ومعانيهم.

---

(١) مقدمة الخصائص ٤٩/١.

(٢) روى أن الرسول ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر، يدعوهما إلى الإسلام، أما كسرى فقد مزق الكتـاب لمـا قرأه، وأما قيصر فطواه ثم رفعه، فلما بلغ ذلك الرسول ﷺ، قال في كسرى : مزق الله ملكه، وقال فـي قيصر : ثبت الله ملكه، فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ١٣٧٩هـ، دار المعرفة بيروت ٤٤/١.

(٣) هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين الطاهر الملقب بذي المناقب، يتصل نسبه بالحسين بن علـي رضي الله عنهما، ولد ببغداد سنة ٣٥٩هـ له ديوان شعر مطبوع وكتب منها : المجازات النبوية ومجاز القرآن – وفيات الأعيان ٤٤/٤– ٤٨ والأعلام ٩٩/٦.

ومما يدلنا على اهتمام ابن جني بشعر الرضي، أنه قد شرح من شعره أربع قصائد في كتاب سماه تفسير العلويات [١] وقد شكره الشريف على هذا الشرح ومدحه بقصيدة أولها:

أراقب من طيف الحبيب خيالاً * ويأبى خيال أن يزور خيالا

والقصيدة تبلغ خمسة وثلاثين بيتاً أشاد فيها الشاعر بمناقب أبي الفتح وعلمه إذ يقول:

وقد كان الشريف صديقاً لأبي الفتح، وكانا متوافقين إلى حد التفاهم الذي يجلب السرور، ويدعو إلى تكرار اللقاء والخروج إلى أماكن الترفيه العامة[٢]، وقد ظلت صداقتهما ممتدة إلى أن توفي ابن جني، فحزن عليه الرضي حزناً بالغاً ورثاه بقصيدة من عيون شعره، ذكر فيها الفقيد بالبلاغة والعلم والخلق مطلعها:

ألا يا لقوم للخطوب الطوارق * وللعظم يرمي كل يوم بعارق

وللدهر يعرى جانبي من أقاربي * ويقطع ما بيني وبين الأصادق[٣]

ثم يبكي صديقه بكاءً حاراً فيقول:

لتبك أبا الفتح العيونُ بدمعها * وألسننا من بعدها بالمناطق

إذا هب من تلك الغليل بدامع * تسرع من هذي الغرام بناطق

شقيقي إذا التاث الشقيق وأعرضت * خلائق قومي جانباً عن خلائقي

ثم يشير إلى عهد الأخوة وحزنه على الفراق بقوله:

أخ لك أمسى واجداً وجده * طوال الليالي بالشباب الغرانق

فما العهد مني – إن لهوت– بثابت * ولا الود مني إن سلوت بصادق

فنرى من أبيات القصيدة الصداقة الوطيدة التي كانت تجمع بينهما كأنهما الأخوان الشقيقان.

---

(١) يذكر ياقوت أربعاً منها هي قصيدته التي رثا بها أبا طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة، والثانية : قصيدته التي رثى بها الصاحب بن عباد، والثالثة قصيدته التي رثى بها الصابي، والرابعة قصيدته الرائية – ديوان الشريف ٤٩٠/١، ٤٩٤ – ٢٠١/٢، ٣٨١ – ٣٨٦.

(٢) نزهة الألباء ص: ٤١٦.

(٣) ديوان الشريف ١٦٦/٢.

وقد كان لابن جني أصدقاء آخرون إلا أن هذين الصديقين :المتنبي والشريف هما من الشهرة بحيث اقتضى الأمر إفرادهما بالحديث.

خامساً: أثاره العلمية:

بعد الوقوف علي نشأة ابن جني وحياته العلمية يمكننا القول: إن أبـا الفـتح عثمان ابن جني عالم عظيم، بل عبقري فذ، نظر إلى اللغة العربية نظـرة شـاملة ليستخلص من أساليبها المختلفة قواعد أصولية لضبط سماعها، ووضع مقاييسـها، مستنيراً بالثروة اللغوية والنحوية التي وجدها بين يديه، إضافة إلى ما وهبه الله من ذكاء وملاحظة، وقد عرِف المتقدمون من العلماء والأدبـاء، والمؤرخـون هـذه المنزلة السامقة التي تسنّم ذروتها في شتى العلوم فقالوا فيه:

"واعتني بالتصريف فما أحد أعلم منه به، ولا أقوم بأصـوله وفروعـه، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه" (١).

بل يعترفون له بالأستاذية في بقية العلوم فقالوا : "وليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما له، سيما في علم الإعراب – فقد وقع منهـا على ثمرة الغراب" (٢).

ويقول فيه الثعالبي(٣) :"هو القطب في لسان العرب وإليه انتهت الرياسة فـي الأدب" (٤).

ونرى أثر أبن جني يمتد إلى علماء اللغة المحدثين، من العرب، ومن غيـر العرب ؛ يقول الأستاذ ميتس : (وكما أن كتب اللغة التي ألفت بعد الجوهري كلهـا عيال عليه،فكذلك كتب علم الاشتقاق، وفقه اللغة وأسرار العربية، فإنها مما ابتكـر الإمام ابن جني الذي فهم أسرار العربية وفلسفتها، وبخاصة الاشـتقاق،وإنه لمـن المؤسف إلا يجيء بعد ابن جني عالم يتمم ما بدأ به على أن كل الذين جاءوا مـن بعده قد استفادوا من كتبه) (٥).

ولو رجعنا إلى المؤلفات النحوية والصرفية بعد ابن جني لوجـدنا معظمهـا مملوءاً بالنقول عن كتبه، أما في العصور الحديثة فـإن أحـدث النظريـات فـي الأصوات واللهجات يتناقلها المحدثون في كتبهم عنه . وحتى نتمكن مـن معرفـة

---

(١) معجم الأدباء ٩١/١٢.

(٢) بغية الوعاة ١٣٢/٢.

(٣) عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي،كان أديباً فاضلاً، فصيحاً بليغاً، أخذ عن أبي بكـر الخوارزمي، توفي سنة ٣٢٩هـ ومن كتبه يتيمة الدهر وسحر البلاغة – نزهة الألباء ص: ١٥٦.

(٤) يتيمة الدهر للثعالبي ١٣٧/١.

(٥) عبقري اللغويين – عبدالغفار حامد هلال ١/ ٢٦٦ .

شخصية ابن جني العلمية حق المعرفة لا بد من الوقوف على آثاره العلمية التي قاربت الخمسين كتاباً منها ما هو مطبوع ، ومنها ما فقد في حياته، وقد كتب ابن جني نفسه إجازة تجيز للشيخ أبي عبدالله الحسين بن أحمد رواية مصنفاته عنه أحصى فيها تسعة عشر كتاباً نقلها ياقوت وأضاف إليها عشرين كتاباً لم يذكرهم ابن جني في إجازته. وهذه كتبه مرتبة على حسب ورودها في الإجازة سأتحدث عن كل منها بحسب المصادر التاريخية التي دلت عليها وبحسب مادتها العلمية – إن وجدت:

١/ الخصائص .
٢/ التمام في شرح أشعار الهذليين .
٣/ سر صناعة الإعراب .
٤/ تفسير تصريف المازني .
٥/ شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها .
٦/ شرح المقصور والممدود عن ابن السكيت.
٧/ تعاقب العربية.
٨/ تفسير ديوان المتنئ الكبير ويسمى (الفسر).
٩/ تفسير معاني ديوان المتنبي .
١٠/ اللمع في العربية.
١١/ مختصر العروض والقوافي .
١٢/ الألفاظ المهموزة .
١٣/ المقتضب.
١٤/ تفسير المذكر والمؤنث .
١٥/ تأييد التذكرة عن أبي علي الفارسي.
١٦/ المحاسن في العربية .
١٧/ النوادر الممتعة .
١٨/ كتاب المسائل الخاطريات .

هذه كتبه التي تضمنتها الإجازة، أما كتبه الأخرى التي لم تتضمنها فهي:

١/ المحتسب في شرح الشواذ.
٢/ تفسير أرجوزة أبي نواس.
٣/ تفسير العلويات.
٤/ كتاب البشرى والظفر.
٥/ رسالة في مد الأصوات ومقادير المدات.

٦/ كتاب المذكر والمؤنث:

٧/ مقدمات أبواب التصريف:

٨/ كتاب النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته:

٩/ المعرب في شرح القوافي:

١٠/ كتاب الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام:

١١/ كتاب الوقف والابتداء:

١٢/ كتاب المعاني المجردة:

١٣/ كتاب الفرق.

١٤/ كتاب الفائق.

١٥/ كتاب الخطيب.

١٦/ كتاب الأراجيز.

١٧/ كتاب ذي القد.

١٨/ كتاب شرح الفصيح.

١٩/ كتاب سر السرور.

هذه كتبه التي أوردها ابن جني في الإجازة، وكتبه التي أضافها ياقوت ولم ترد في الإجازة، إضافة إلى ذلك هناك كتب وردت في كتب أخرى لم يذكرها ياقوت ولم ترد في الإجازة مثل:

١/ كتاب التبصرة.

٢/ كتاب الشعر.

٣/ كتاب علل التثنية.

٤/ مسألتان من كتاب الأيمان لمحمد بن الحسن الشيباني.

٥/ المسائل الواسطية.

سادساً: مذهب ابن جني واتجاهاته الفكرية وفيه:

أولاً: مذهبه الديني والكلامي:

كان والد ابن جني رومياً- كما ذكرت في نشأته - والراجح أنه أسلم وحسن إسلامه، فقدم للإسلام والعربية هذا العبقري الفذ الذي كشف أسرارها، وأبان شرفها وسموها على اللغات الأخرى.

أما مذهبه الكلامي، فقد اختلف الباحثون المحدثون في مذهب أستاذه أبي علي الفارسي، هل كان معتزلياً أو سنياً أو شيعياً ؟ أما محققو كتاب الحجة فلم يدلوا برأي في ذلك[١] ومنهم من أثبت له عقيدتي الاعتزال والتشيع[٢] .

أما تلميذه ابن جني فالموقف بالنسبة له واضح، ومؤلفاته تحوي نصوصاً صريحة بأنه كان معتزلياً وقد أوضح ابن جني ذلك في مقدمة الخصائص[٣] يقول: "الحمدلله الواحد العدل القديم[٤] ويقول في كتابه التمام:"وهذا معنى منزه عنه القديم سبحانه"[٥] والعدل ووصفه تعالى بالقدم والعدل من المبادئ التي تمسك بها المعتزلة[٦].

كذلك المعروف عن المعتزلة أنهم يقولون : إن العبد يخلق أفعاله بنفسه بقوة أودعها الله فيه[٧]، وقد ذكر ابن جني في الخصائص ما يفهم منه ذلك، قال : "وكذلك أفعال القديم سبحانه، نحو خلق الله السماء والأرض،ألا ترى أنه - عز

---

(١) مقدمة الحجة للقراء السبعة : أبو علي الفارسي تحقيق :بدرالدين قهوجي وبشير حويجابي - راجعه عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الرفاق د ط ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م دار المامون للتراث ص: ٣٤.

(٢) أبو علي الفارسي - د. عبدالفتاح شلبي ص ٧٦ - ٧٧.

(٣) مقدمة الخصائص ١/١.

(٤) مقدمة الخصائص ١/١.

(٥) التمام في تفسير أشعار هذيل ص ١٩٠.

(٦) الملل والنحل - لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني - تحقيق : محمد سيد الكيلاني ٤٣/١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

(٧) السابق والصفحة.

اسمه – لم يكن منه بذلك خلق أفعالنا، ولو كان حقيقة لا مجازاً لكان خالقاً للكفر والعدوان،وغيرهما من أفعالنا عزَّ وعلا"[١].

وفي المحتسب يقول تعليقاً على القراءة : "قال عذابي أصيب به من أساء"[٢].

قال أبو الفتح : "هذه القراءة أشد إفصاحاً من القراءة الغاشية التي هي "من أشاء"لأن العذاب في القراءة الشاذة مذكور علة الاستحقاق له، وهو الإساءة ... وإن كنا قد أحطنا علماً بأن الله تعالى لا يظلم عباده، وأنه لا يعذب أحداً منهم إلا بما جناه واحترمه على نفسه، ...وظاهر قوله تعالى:أشاء الشين معجمة ربما أوهم من يضعف نظرة من المخالفين أنه يعذب من يشاء من عباده، أساء أو لم يسيء،نعوذ بالله من اعتقاد ما هذه سبيله وهو حسبنا ولينا"[٣].

وذلك هو العدل الإلهي عند المعتزلة . غير ذلك من النصوص الصريحة التي تبين اعتزاله .

وقد صرح السيوطي أن ابن جني كان معتزلياً كشيخه الفارسي[٤].

بيد أن ابن جني لحريته العلمية وذهابه إلى الرأي الصحيح، نراه لا يتقيد بمذهب المعتزلة بل يأخذ ببعض آراء أهل السنة مخالفاً مذهبه الاعتزالي، ومن ذلك موقفه من نشأة اللغة وهل هي اصطلاح أم توقيف؟ فقد ذكر رأي التوقيف ثم قال: "وإذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده، والانطواء على القول به"[٥] والاعتماد على الأدلة السمعية من قرآن وحديث وآثار في الأخذ بالأحكام وتعليلها مذهب أهل السنة، أما المعتزلة فقد اعتمدوا في بحثهم على الأدلة العقلية أكثر من اعتمادهم على الأدلة النقلية) [٦].

---

(١) الخصائص ٤٤٧/٢.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٦ وهي قراءة الحسن وعمرو الأسواري وقراءة العامة "أشاء" بالشين المعجمة.

(٣) المحتسب ٢٦١/١.

(٤) الأشباه والنظائر ٣١١/١ المزهر ٦٨.

(٥) الخصائص ٤١/١، ٤٨.

(٦) دراسات في التاريخ الإسلامي د. جاد رمضان – دار الطباعة المحمدية ١٣٨١هـ – ١٩٦٢م ، ص ١٠٨.

والمعروف عن المعتزلة في نشأة اللغة أنهم قالوا : إنها اصطلاحية تواضع المجتمع عليها، لكن ابن جني لم يجزم برأي فيها.وهو يرى أن "علل الفقه أعلام وأمارات لوقوع الأحكام"[١] وذلك منهج أهل السنة، والمعتزلة يرون أن علل الفقه مؤثرة في الأحكام الشرعية باعثة عليها"[٢].

وكذلك صانع ابن جني الشيعة، فنجد له بعض عبارات تصور ميولهم، لكنه في الوقت نفسه يذكر ما يخالفها في أماكن أخرى، ومن أكبر الأدلة على ذلك إهداؤه كتاب الخصائص إلى بهاء الدولة بن بويه الذي كان شيعياً[٣]، وقد أجرى ابن جني عبارة الصلاة على النبي وآله موافقة لمذهبهم، وقد منع دخول (على الجارة) على كلمة الآل تابعاً لهم في ذلك فقال: "وصلى الله على صفوته محمد وآله المنتخبين وعليه وعليهم السلام أجمعين"[٤] وهو في المحتسب يصلي ويسلم على علي بن أبي طالب عند ورود القراءة الشاذة عن طريقه،ومن ذلك قراءة علي (عليه السلام) [٥].

وذلك مظهر من مظاهر الشيعة، بيد أنه يتخلى عن ذلك الوصف ويعود إلى الصفة المشهورة لعلي – كرم الله وجهه[٦] وأحياناً يصفه بما يوصف به الصحابة جميعاً ب"رضي الله عنه"[٧] وتارة يجرده من الصفات جميعاً فيقول : "ومن ذلك قراءة علي"[٨].

فهذه النصوص تثبت لنا أن مذهبه هو الاعتزال وهذا هو الغالب بيد أنه لا يتقيد به ، فيذهب إلى غيره إذا رأي ذلك.

---

(١) الخصائص ٤٨/١.

(٢) مقدمة الخصائص ٤٤/١.

(٣) الخصائص ١/١.

(٤) الخصائص ١٣٥/٢.

(٥) المحتسب ٢٣٣/١ – ٢٣٧ وغيرهما من المواضع .

(٦) المحتسب ١٢٢/٢.

(٧) السابق ١٤/٢.

(٨) السابق ٣٤٨/٢.

ثانياً : مذهبه الفقهي:

الباحث في كتب ابن جني يكتشف منذ الوهلة الأولى أنه كان ينظر في كتب الفقه وأصوله كثيراً، وقد استعار بعض بحوثه النحوية من أصول الفقه مثل بحثه في باب (تخصيص العلل) [١] وعقد باباً سماه الاستحسان[٢] وهو أصل من أصول الفقه.

أما مذهبه الفقهي فيبدو (أنه كان حنفي المذهب – وإن – لم يكنه فقد كان له هوى في هذا المذهب وانعطاف نحوه) [٣]. وكتبه شاهدة على ذلك إذ يرد فيها ذكر أعلام المذهب الحنفي كأبي حنيفة النعمان[٤] إمام الحنفية، وأبي يوسف[٥] والإمام أحمد بن على الرازي[٦] .وابن جني يشير في كتبه إلى أنه كان يحتذي هذا المذهب في أصول اللغة والنحو، ومن ذلك قوله في الخصائص :"وكذلك كتب محمد بن الحسن – رحمه الله – إنما ينتزع أصحابنا منها العلل لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه) "

فهذا النص يثبت اعتناقه للمذهب الحنفي، فكلمة أصحابنا تعنى أصحاب المذهب الحنفي الذي نسبه إلى نفسه، إضافة إلى ذلك فقد كان يجالس الأحناف ويناقشهم في المسائل الدينية، والفقهية، واللغوية، ومن ذلك قوله: "وقلت مرة لأبي بكر أحمد بن علي الرازي – رحمه الله – وهو شيخ الحنفية ببغداد آنذاك – وقد

---

(١) الخصائص ١/١٤٤.

(٢) الخصائص ١/١٣٣.

(٣) مقدمة الخصائص ١/٤٠.

(٤) هو النعمان بن ثابت أبو حنيفة، أصله من فارس ونشأ بالكوفة، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٥٠هـ، ببغداد له مسند في الحديث مطبوع – الأعلام ٨/٣٦.

(٥) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري صاحب الإمام أبي حنيفة،وتلميذه وناشر مذهبه، ولد بالكوفة سنة ١١٣هـ وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، وولي القضاء، ومن كتبه الخراج.والآثار وهو مسند أبي حنيفة الأعلام ٨/١٩٣.

(٦) هو أحمد بن علي الرازي أبو بكر الجصاص، فاضل من أهل الري سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية – له كتاب أحكام القرآن، وكتاب في أصول الفقه والأعلام ١/١٦٥.

أفضنا في ذكر أبي علي ونبل قدره ونباوة محله : أحسب أن أبا علي قد خطر لــه وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا، فأصغى أبوبكر إليــه ولــم يستشبع هذا القول عليه"[١].

فيفهم من هذا النص الصداقة الوثيقة بين ابن جني وهذا العالم الحنفي الكبير، ويشير إلى مصاحبته للأحناف وانتحائه منحاهم الديني، كما يدل على وجه ارتباط بين مذهب الحنفية في الفقه ومذهب أبي علي الفارسي، وتلميذه ابن جني في اللغة والنحو، في الاعتماد على العقل في تعليل الأحكام.

ونراه ينصر الحنفية على الشافعية في كتبه مثل ما أورده في سر الصــناعة في حرف الباء:"وأما ما يحكيه أصحاب الشافعي عنه من أن الباء للتبعيض فشيء لا يعرفه أصحابنا ولا ورد به ثبت"[٢].

وهذه النصوص توضح لنا أن ابن جني كان حنفياً

ثالثاً: مذهبه اللغوي والنحوي:

كان الدين الإسلامي منذ ظهوره، دافعاً للعلماء للاهتمــام باللغــة العربيــة، فاتجهوا إلى جمع اللغة من الأعراب، ووضع القواعد الضــابطة لهــا[٣]؛ فكانــت أبحاث اللغة في بداية الأمر مقصورة على جمع الألفاظ دون دراســتها، فــانطلق الرواة إلى البادية يجمعون الألفاظ ويدونونها في كتب خاصة مثل كتــاب: الإبــل والخيل والأنواء، وخَلق الإنسان للأصمعي[٤] ثم بــدأ اللغويــون يتنــاولون هــذه المفردات بالبحث، ويجمعون ما يتصل بها من قصص أدبية وتاريخيــة ولغويــة، وإلى جانب ذلك كانت البحوث النحوية التي تضع القوانين لضبط اللغة، فظهــرت

---

(١) الخصائص ٢٠٨/١.

(٢) سر الصناعة ١٢٣/١ – ١٣٩.

(٣) مقدمة ابن خلدون ١٢٥٥/٤، ١٢٥٦تحقيق :علي عبدالواحد وافي ط٢ د.ت لجنة البستان العربي القاهرة.

(٤) هو عبدالملك بن قُريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع الاصمعي- البصري ، أحد أئمة اللغة والغريــب والنوادر، روي عن أبي عمرو بن العلاء ، صنف: غريب القرآن خلق الإنسان والألفاظ والأنواء وغيرها مات سنة ٢٠٦هــ وقيل ٢١٥بغية الوعاة ١١٢/٢- الفهرست ٧٩.

في هذا العصر كتب نحوية ولغوية ككتاب سيبويه، والاشتقاق للأصمعي، والتصريف للمازني[١].

فكانت الدراسة اللغوية في هذه الفترة حتى القرن الثالث تقتصر كما قال أحد العلماء: على أحد طرق أربعة: الإملاء والإفتاء والتعليم والرواية[٢].

فكانت طريقة العلماء أشبه بجمع معلومات عامة تتجه إلى المفردات لا إلى التراكيب والجمل.

أما في القرن الرابع فقد اتجه الدرس اللغوي ناحية التنظيم والتأمل العميق المبنى على أسس ومبادئ أوحت بها ثقافة العصر واتجاهاته.

كما أن مبدأ الاعتزال الذي كان يقوم على العقل الحر كان قد قوي في هذا العصر، فأثر في بحوث النحاة[٣].

فأتجه البحث اللغوي نحو التنظيم والترتيب ومعالجة القضايا الكلية بطريقة عملية فيؤلف ابن السراج[٤] كتاباً في أصول النحو[٥]، ثم يأتي ابن جني فيدرس اللغة من جوانب لم تدرس من قبل ويكشف عن أسرارها ويبتكر علم أصول النحو، ويشير إلى سبقه في هذا المجال في مقدمة كتابه الخصائص فيقول :"واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنف في علم العرب، وأذهبه في طريق القياس والنظر... وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ... وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه"[٦].

---

(١) فقه اللغة – محمد المبارك – ط٢ ١٩٦٤م ، دمشق ، ص ١١ – ١٢.

(٢) فقه اللغة العربية – محمد المبارك – ص ١١ – ١٢.

(٣) المزهر للسيوطي – ط١٢٨/٢هـ – ١٦٢/٢ – ١٦٩.

(٤) محمد بن السري بن سهل أبوبكر ، أحد أئمة الأدب والعربية، يقال عنه (ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله) ، من كتبه : الأصول في النحو وشرح كتاب سيبويه، توفي سنة ٣١٦هـ– البلغة ص: ١٤ ونزهة الألباء : ص ١٨٦.

(٥) الأصول في النحو – لابن السراج – تحقيق : عبدالحسين مؤسسة الرسالة الفتلي –ط٣ ١٩٨٨م بيروت .

(٦) الخصائص ١/١، ٢.

وقد وضع ابن جني أصولاً كثيرة لعلم النحو على مذهب أصول الفقه والكلام على نحو ما نجده في باب "في ترافع الأحكام"(١) وباب "علل العربيــة أكلاميــة أم فقهية"(٢).

وابتكر ابن جني كثيراً من مسائل اللغة، فهو مؤسس مبدأ الاشتقاق بنوعيــه، الذي بني عليه دراسة العربية، وتحديد أصولها وفروعها وأصواتها، فكان مبــدعاً في ذلك يناقش المادة اللغوية كأي باحث حديث، وهو البحث الذي لا يزال يــؤتي ثمره إلى اليوم.

أما مذهبه النحوي، فقد كانت هناك ثلاث مدارس نحوية تتجاذب الدارســين وتشد الباحثين إليها وهي: مدرسة البصرة والكوفة وبغداد، أما ابن جني فقد كانت أكثر آرائه على مذهب البصريين، الذي كان يميل إلى القيــاس والتقنــين وكثــرة الأمثلة والشواهد، التي على أساسها توضع القواعد، فنجد لابن جني الكثيــر مــن الأمثلة التي تكشف عن ميله للمدرسة البصرية وأخذه بأصولها، ودفاعه عنها مــن ذلك قوله في الخصائص في باب "تعارض العلل":

"الأول منها كرفع المبتدأ، فإننا نحن نعتل لرفعــه بالابتــداء ... والكوفيــون يرفعونه، إما بالجزء الثاني الذي هو مرافعه عندهم، وإما بما يعود عليه من ذكــر على حسب مواقعه"(٣).

فهذا النص يكشف عن قول ابن جني بمذهب البصريين، وهــو أن المبتــدأ يرتفع بالابتداء، ويختلف مع الكوفيين الذين يذهبون إلى أنهما يترافعان(٤)، ويقــول في باب (ترك الأخذ عن أهل المدر) وهذا قد قاسه الكوفيون، وإن كنا نحن لا نراه قياساً(٥).

---

(١) الخصائص ١٠٨/٢ – ١١٣.

(٢) نفسه ٤٨/١ – ٤٥.

(٣) نفسه١٦٦/١.

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للشيخ : كمــال الــدين أبــي البركــات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري – تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميــد –- ط٢ ١٩٥٣م مطبعة مجازي – القاهرة ،ص ٣١..

(٥) الخصائص ٥/٢ – ١٠

وفي نص آخر عن إجازة تقديم خبر ليس عليها يقول:"إجـــازة هـــذا مـــذهب سيبويه، وأبي الحسن وكافة أصحابنا والكوفيون أيضاً معنا"(١).

وبالتأمل في هذه النصوص نلاحظ أنه ينسب نفسه صراحة إلى البصـــريين ويعدهم أصحابه، ويفرق بين رأيهم ورأي الكوفيين والبغداديين، فنفهم من ذلك أنه كان بصرياً معتداً ببصريته ويعبر عنهم بقوله:"أصحابنا"(٢).

ولكنه مع ذلك لم يكن متقيداً بمذهبهم، بل كان يتركه إلى غيـــره إذا وضـــح الدليل ؛ لأنه كان حراً في تفكيره فيذكر في سر الصناعة أنـــه إذا وجـــد الـــدليل الصحيح فسبيله أن يمضي فيه، ولا يتلفت إلى خلاف ولا وفاق(٣).

وذهب بعض العلماء إلى أنه كان بغدادي المذهب نظراً لأخـــذه عـــن أئمـــة البصريين والكوفيين إضافة إلى إقامته ببغداد، وتصدره للتدريس في مسجدها بعـــد وفاة شيخه أبي علي الفارسي(٤).

ومما أخذ فيه برأي البغداديين: إضافة أبتع إلى ألفاظ التوكيد يقول:"إنهم كمـــا أكدوا فقالوا : أجمعون أكتعون، أبصعون، أبتعون، ولم يعيدوا أجمعون ألبتـــة "(٥) يقول الرضي"(٦) أما اكتع وإخوانه فالبصريون جعلوا النهاية أبصع ومتصرفاته،ولم يذكروا أتبع، والبغداديون جعلوا النهاية أبتع وإخوانه فقـــالوا : أجمـــع، وأكتـــع، أبصع، أبتع"(٧).

---

(١) الخصائص ١/١٨٨.

(٢) المحتسب ١/١٠٨ – ١٠٩.

(٣) سر الصناعة ٢٩٤.

(٤) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني – حسام سعيد النعيمي ص ١٨.

(٥) الخصائص ١/٨٣.

(٦) هو محمد بن الحسن الرضي الاسترابازي توفي عام ٦٨٦هـ نحوي، عربي، من أهل استراباز، شـــرح كافية ابن الحاجب في النحو، والشافعية في الصرف – أعلام المورد – منير البعلبكي – إعداد رمـــزي البعلبكي – ط١ ١٩٩٢م، ص ٢٠٦.

(٧) شرح الرضي على الكافية – تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر – منشـــورات جامعـــة قـــار يـــونس ٢/٢٧٦.

وقال في المحتسب عند الاحتجاج بقراءة :﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرَحٌ﴾ [1] بفتح الراء : (وأنا أرى في هذا رأي البغداديين في أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثراً معتداً معتمداً، فلقد رأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم تحرك من ذلك ما لا يتحرك أبداً لولا حرف الحلق) [2].

وقال في الخصائص :"وهذا قد قاسه الكوفيون وإن كنا نحن لا نراه قياساً"[3].

بل نراه في بعض المواضع يهاجم البغداديين مثل قوله في الخصائص :"من ذلك قول البغداديين: إن الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره نحو: زيد مررت به، وأخوك أكرمته، فارتفاعه عندهم إنما هو لأن عائداً عاد عليه فارتفع بذلك العائد، وإسقاط هذا الدليل أن يقال لهم..." [4].

وفي المحتسب في قراءة: ﴿ويقولون ربنا﴾ [5] يهاجم مذهب الكوفيين ويناصر البصريين ويعبر عنهم بأصحابنا"[6].

من خلال هذه النصوص نستطيع أن نقول: إن ابن جني كان بصري المذهب، ويعدهم أصحابه ويهاجم غيرهم، ولكنه إذا أراد أن يأخذ برأي فريق آخر فهو يصرح بذلك دون أن ينسب نفسه إليهم، كما يفعل مع البصريين الذين يعبر عنهم ب"أصحابنا" فجاءت بحوثه اللغوية والنحوية والصرفية منضبطة النظام ومرتبطة جميعاً مع بعضها البعض، فهو كما رأينا يورد آراء العلماء من بصريين وكوفيين وبغداديين ويناقشها فسراً أو موجهاً أو ناقداً، وأحياناً كثيرة، مبرزاً رأياً جديداً، وذلك لحريته الواسعة في البحث، وسعة اطلاعه، وذكائه كما رأينا.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٠وهي قراءة محمد بن السميفع بفتح القاف والراء.

(٢) المحتسب ١٦٦/١ – ١٦٧.

(٣) الخصائص ٩/١.

(٤) نفسه ١٩٩/١.

(٥) سورة البقرة الآية ١٢٧ من قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا: والقراءة مما رواه ابن مجاهد عن ابن عباس في مصحف ابن مسعود، المحتسب ١٠٨/١.

(٦) المحتسب ١٠٨/١ – ١٠٩.

المبحث الثَّالث

منهج ابن جني في المحتسب واحتجاجه للقراءات الشاذة

المطلب الأول: تعريف :المحتسب ومذاهب العلماء في الاحتجاج للشاذ.

المطلب الثاني: أسباب تأليفه للمحتسب ومذهبه فيه .

المطلب الثالث: مصادر ابن جني في الاحتجاج.

المطلب الأول

تعريف بالمحتسب ومذاهب العلماء في الاحتجاج للقراءات

اسمه: (المحتسب في تبيين وجوده شواذ القراءات والإيضاح عنها)، وهو بهذا الاسم في النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٧٨) قراءات، وقد ذكره ياقوت باسم: (المحتسب في علل شواذ القراءات) [١] ولم يرد في الإجازة، لعل ابن جني ألفه بعد كتابة إجازته؛ لأنه من آخر مؤلفاته . ، وهو في جزأين يتناول ابن جني فيهما ما شذ عن القراء السبعة من قراءات.

وقبل أن نتحدث عن منهج ابن جني في الكتاب، لا بد أن نشير إلى مذاهب العلماء التي ساروا عليها في الاحتجاج للقراءات في كتبهم المؤلفة لذلك، فقد انقسم المحتجون للقراءات إلى فريقين:

فريق يسلك طريق القياس، وفريق يسلك طريق الرواية والأثر . الفريق الأول يجعل القراءة الصحيحة هي التي تخضع لمقاييس العربية، وما لم يوافق هذا المقياس فهو خطأ ولو كان مروياً وموافقاً لخط المصحف، وزعيم هذه المدرسة هو: أبو علي الفارسي كما يرى مؤلف كتاب : (بي علي الفارسي)[٢].

والفريق الثاني: يجعل القراءة صحيحة إذا وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وأن يصح سندها عن الرسول ﷺ.

وعالمنا ابن جني في كتابه المحتسب ممن نزعوا منزع الأثر، فالصحيح عنه ما صح سنده وله وجه من العربية، وهو يدافع عن القراءة ليوجد هذا الوجه ما دام السند صحيحاً، فهو يجعل القراءات على ضربين:

١/ ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه ابن مجاهد كتابه الموسوم بالقراءات السبع وهو بشهرته غنيٌّ عن تحديده.

---

(١) معجم الأدباء ١١٣/١٢.

(٢) كتاب أبي علي الفارسي – د. عبدالفتاح شلبي – ص :٤٢٩.

٢/ وضرب تعدى ذلك فسمي شاذاً، أي خارجاً عن قراءات القراء السبعة، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته وتعنف[١] بغيره فصاحته، وتمطوه قوي أسبابه، وترسو به قدم إعرابه[٢].

ثم يبين لنا لم اتجه إلى الاحتجاج بالشاذ بقوله: طغرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه، آخذ من سمة العربية مهلة ميدانه، لئلا يرى مرياً أن العدول عنه إنما هو غض منه، أو تهمة له"[٣].

فهو يرى أن هذا الشاذ يعكس لنا سمات العربية ، إضافة إلى أنه موثوق به لأنه يتصل بسنده إلى رسول الله ﷺ.

ومعاذ الله! وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى رسول الله ﷺ والله تعالى يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[٤] وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ، وآخذه : هو الآخذ به، فكيف يسوغ مع ذلك أن ترفضه وتجتنبه" [٥] ويقول في موضع آخر : "وليس لنا أن نتلقى قراءة رسول الله ﷺ إلا بقبولها والاعتراف بها" [٦].

فابن جني يرى أن الشاذ الذي خرج عن القراءات السبع موثوق به، لأنه يقوم على سند من الرواية من ناحية، ومساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه من ناحية أخرى، وهو يبين لنا أن الشاذ المعترف به لا يجوز القراءة به:" إلا أننا وإن لم

---

(١)عنف به ولامه، يريد أن فصاحته متفوقة تلوم غيره على تخلفه في مضمار الفصاحة – مقدمة المحتسب ٣٢/١.

(٢) مقدمة المحتسب ٣٢/١.

(٣) السابق والصفحة.

(٤) سورة الحشر رقم : ٧.

(٥) مقدمة المحتسب ٣٢/١ – ٣٣.

(٦) المحتسب ٣٠٦/٢.

نقرأ به في التلاوة مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية فإنا نعتقد قوة هذا المسمى شاذاً، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله وأراد منَّا العمل بموجبه" [١].

٣/ كما أنه يشير إلى القسم الثالث المردود من القراءات بقوله :"ضرب شذ عن القراءة، عارياً من الصنع ليس فيه إلا ما يتناوله الظاهر مما هذه سبيله فلا وجه للتشاغل به، وذلك لأن كتابنا هذا ليس موضوعاً على جميع كافة القراءات الشاذة عن قراءة السبعة، وإنما الغرض منه إبانة ما لطفت صفته وأغربت – أي :كانت غريبة – طريقته" [٢]. فيكون بهذا قد حكم حكماً عادلاً، وكما قال الدكتور شلبي:هو على حق فيما ذهب إليه فما دامت القراءة عن الرسول مسندة سواء أكانت من المجتمع عليه أم مما هو خارج عنه، وما دام لها وجه من العربية فلا معنى لردها لأن القراءة سنة متبعة،وليس للقياس مدخل فيما. هو معتمد على محض الرواية وخالص الآثار[٣].

فنرى ابن جني بذلك يخالف مذهب أستاذه الفارسي زعيم القياسيين، ويرد القراءة المروية، وإن خالفت وجه العربية، وهو الذي وافق أستاذه في أتباع منهج القياس ولا يحكم القياس والعقل، إلا فيما تثبت روايته، فيحاول بعد ذلك أن يتلمس له وجهاً لغوياً أو تخريجاً نحوياً[٤].

---

(١) المحتسب ٣٠٦/٢.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

(٣) أبو علي الفارسي – د. عبدالفتاح شلبي ص: ٣٣٥ – ٣٣٦.

(٤) انظر: المحتسب ٢٥٨/١، في تخريجه لقراءة ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ فقرأ الحسن (سأوريكم) سورة الأعراف الآية ١٤٥ .

المطلب الثاني

أسباب تأليف ابن جني المحتسب، ومنهجه فيه

أولاً: أسباب تأليف المحتسب.

يذكر ابن جني أن من أسباب تأليفه لكتاب المحتسب: أنه وجد العلماء قبله منصرفين عن هذه القراءات الشاذة، فلم يضعوا للحجاج كتاباً فيه، ولا أولوه طرفاً من القول عليه، وإنما ذكروه مروياً مسلماً، مجموعاً، أو متفرقاً، وربما اعتزموا الحرف منه فقالوا القول المقنع فيه . فأما أن يفردوا له كتاباً مقصوراً عليه، أو يتجردوا للانتصار له، ويوضحوا أسراره وعلله، فلا يعلمه [1].

على أن ابن جني دفعته الأمانة العلمية حتى لا يظنَّ أحدُ أن هذا العَلْمَ لم يرد على خاطر نحوي قبله إلى أن يقول:"علي أن أبا – رحمه الله – قد كان وقتاً قد حدث نفسه بعمله، وهم أن يضع يده منه ويبدأ به، واعترضت خوالج هذا الدهر دونه وحالت كبواته بينه وبينه"[2].

من هنا يتضح لنا أن هناك عدة أسباب دفعت ابن جني إلى تأليف هذا الكتاب يمكن إجمالها فيما يأتي :

١/ رغبته في الدفاع عن هذا النوع من القراءات الشاذة وإعادة الثقة به؛ لأنه لا يقل درجة عن المجتمع عليه، كما صرَّح بنفسه، ودافعه إلى ذلك: الخوف من الله تعالى والتقرب إليه كما ذكر في المقدمة[3].

وعنوان الكتاب يشهد بذلك، ويشير محققو المحتسب:"إلى أنه إنما سَّماه بهذا الاسم لأنه كان في أخريات أيامه، فهو يتخشع به لله ويبتغي الوسيلة"[4].

٢/ رغبته في تأليف كتاب لم يسبقه أحد في منهجه إليه كما ذكر في المقدمة، وهذا لا يعني أنَّ أحداً لم يسبقه في تأليف كتاب في الاحتجاج للقراءات الشاذة، لأن

---

(١) المحتسب ٣٤/١.

(٢) السابق والصفحة .

(٣) السابق والصفحة.

(٤) مقدمة المحتسب ٣٤٨.

ابن جني نفسه يشير إلى اعتماده على جهود ابن مجاهد في توجيه الشواذ مما يعني أن ابن مجاهد قد سبقه للاحتجاج لها في كتاب مستقل، جعلــه ابــن جنــي أحــد مصادره في المحتسب.

٣/ إضافة إلى هذه الأسباب مجتمعة، نجد مقدرة ابن جني العلمية في جميــع نواحي اللغة التي حاول أن يلخصها في كتاب يتقرب به إلى الله سبحانه وتعــالى: وكأنه أراد به أن يكون خلاصة لجهوده اللغوية المتنوعة يدل علــى ذلــك كثــرة إحالته فيه على مؤلفاته الأخرى المتقدمة.

ثانياً: منهجه في الكتاب:

ذكرت في أسباب تأليف ابن جني للمحتسب أن ابن جني قد ذكر في مقدمتــه أن هناك من سبقه في الحديث عن هذه القراءات الشاذة أمثال ابن مجاهد فكان من الطبيعي أن ينقل عن كتاب ابن مجاهد إلا أنني وبعد تتبعي للمواضع التي ذكر فيها آراء ابن مجاهد فقد وجدته ينقل عنه، ولكن ليس لمجرد النقل؛ بل لمناقشــة هــذا المنقول وبيان صحته أو فساده، فنجده تارة يخطئ ابن مجاهد وتارة يضعف رأيه، وتارة يؤيده فيما ذهب إليه.

من ذلك قوله في تخريجه لقراءة قتادة" [١]وإنْ منها"[٢] مخففــة . قــال ابــن مجاهد : لا أعرف لتحقيق النون معنى.

قال أبو الفتح هذا الذي أنكره مجاهد صحيح وأخذ يبين وجه التخفيف في إن المكسورة[٣].

ويقول في موضع آخر (هذا الذي أنكره ابن مجاهد لا وجه له) [٤] وغير ذلك الكثير من المواضع التي يخطئ فيها ابن مجاهد[٥].

---

(١) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر يقال أبو عمرو ،وأبو عثمان ما روى له البخاري والنسائي . وابن ماجة ، مات بالمدينة سنة :٢٣هــ تهذيب الكمال – يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن الحجاج المــزي – تحقيق د. شاكر عواد معروف ط١، ١٤٠٠هــ ١٩٨٠م، مؤسسة الرسالة بيوت ٥٢٢/٢٣.

(٢) سورة البقرة : ٧٤.

(٣) المحتسب ٩١/١.

(٤) المرجع السابق ص ٩٥/١.

(٥) المسابق ١١٢/١، ١٣٠وغيرهما من المواضع .

من خلال ذلك يتضح لنا أن ابن جني لم ينقل لمجرد النقل، بل ينقل ليناقش ويستنبط. وهو في تخريجه يعتمد على كتاب ابن مجاهد في رواية القراءات الشاذة، وقد أشار إلى قوة ابن مجاهد في الرواية وأنه يعتبر إماماً فيها[١].

أما المنهج الذي اتبعه في المحتسب فيمكنني تلخيصه في الآتي:

أولاً: استهل الكتاب بمقدمة بين فيها منهجه في الكتاب، وجهود سابقيه في هذا الميدان ومصادره التي اعتمد عليها.

ثانياً: رتب القراءات بحسب ترتيب المصحف، فبدأ بسورة الفاتحة وختم بسورة الناس، وأورد القراءات مرتبة حسب مواقعها في كل سورة . فيثبت أسماء القراء قبل ذكر القراءة، وهو عادة يرتب أسماءهم حسب تقدمهم مثل تخريجه لقراءة :﴿ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ [٢].

ذكر ابن جني أن فيها سبع لغات أوردها مرتباً قرائها بحسب تقدمهم فذكر أولاً ابن أبي إسحق (ت١١٧هـ) وبعده مسلم بن جندب (ت١٣٠هـ) ثم الأعرج[٣] (١١٧هـ)... ثم ذكر أنه قد روى عن الأعرج ... [٤].

ثالثاً: اتبع طريقة العرض، فبذكر القراءة وأقوال العلماء فيها ثم يناقشها ويثبت ما يريد بالبراهين والشواهد من القرآن والحديث الشريف وأقوال العرب شعراً ونثراً، وسيأتي تفصيل ذلك والتمثيل له في مصادره.

رابعاً: يورد أقوال العلماء السابقين له ويناقشهم بلطف وأدب، ويرد عليهم وأحياناً يغلط ما ذهبوا إليه، ويميل إلى الاعتذار إذا أحسَّ بالهجوم مثل قوله في تخريجه لقراءة.﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[٥] بالنصب.

---

(١) مقدمة المحتسب ٣٢/١.

(٢) سورة الفاتحة : ٧.

(٣) الأعرج هو عبدالرحمن بن هرمز ، أبو داوود المدني أخذ عن أبي هريرة وروى عنه نافع مات سنة ١١٧هـ، طبقات القراء – لابن الجزري ٣٨١/١ والقراءة لسعيد بن جبير وآخرين.

(٤) المحتسب ٤٣/١ – ٤٤ .

(٥) سورة هود : ٧٨.

قال أبو الفتح : ذكر سيبويه هذه القراءة وضعفها [١] ... إلا أنه يرى أن لهذه القراءة وجهاً صحيحاً ويبينه ... ثم يذكر أن ما ذهب إليه سيبويه فاسد [٢] ... وغير ذلك من المواضع التي يخطئ فيها العلماء.

خامساً: نجده في احتجاجه يورد أصولاً لغوية مهمة مما أرسى دعائمه في كتبه الأخرى من القضايا، والمسائل اللغوية، ككتاب الخصائص، وسر الصناعة، والمنصف وغيرها.

ويعرض للكثير من القضايا، والمسائل اللغوية، (الصوتية، والصرفية والنحوية، والدلالية) والعروضية والبلاغية وهو لا يلتزم ترتيباً معيناً في إيراد هذه القضايا فقد يشرح في موضع واحد مسألة نحوية، وينتقل منها إلى أخرى صرفية، أو صوتية أو دلالية، ثم يعود ثانية إلى أخرى نحوية. فنجده بذلك يضمن لنا كتابه (المحتسب) أسرار العربية، وألوانها، التي تناولها في كتبه الأخرى . وقد وجدت في أثناء دراستي الكثير من الموضوعات الصرفية [٣]، والنحوية [٤]، والبلاغية[٥] والأدبية والنقدية [٦] الخارجة عن إطار بحثي هذا. ووجدت لابن جني آراء دقيقة فيها تحتاج دراستها إلى بحوث مستقلة، أرجو أن تكون إشارتي لها هنا مفتاحاً للباحثين لدراستها والتنقيب فيها.

سادساً: أسلوب ابن جني في المحتسب لتصف بالوضوح التام، لأنه كما ذكر في المقدمة، تعمَّد مخالفة أستاذه الفارسي في كتابه (الحُجَّة)، الذي وصفه بالإطالة والغموض فجفاه القُرَّاء[٧] ،فحاول ابن جني قدر الإمكان أن يتجنب الإطالة

---

(١) الكتاب ٣٩٧/١.

(٢) المحتسب ٣٢٥/١ – ٣٢٦.

(٣) ١٢٢/١– ١٣٤ – ١٣٩ – ١٩٠.

(٤) المحتسب ٥١/١ – ١٠٣ – ١٢٥ – ١٦١ – ١٦٤ – ١٩٢ وغيرها.

(٥) ١٦٨/١ – ١٧٦ – ١٩٤ – ٣٨/٢ – ١٨٤ .

(٦) ١٠٥/١ – ٢٣١ – جواز الاحتجاج بشعر المولدين في المعنى.

(٧) مقدمة المحتسب ٣٤/١.

والإسهاب، فكان يكرر التنبيه على ذلك[١]. بيد أنا نجده يطيل أحياناً إذا اقتضته الضرورة إلى ذلك، ونجده ينبه أحياناً إلى أن في هذا الموضع إطالة[٢] وإن كان الغالب علي أسلوبه الاختصار، وسهولة العبارة فنجده أحياناً يكتفي في تخريجه بتفسير الشيء بذكر ضده، كما في قوله تعالى:﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [٣] حيث قال: الذُّلّ في الدابة : ضد الصعوبة، والذُّل في الإنسان هو ضد العز[٤].

---

(١) السابق ١/١٩٧، ٢٦٤.

(٢) السابق والصفحة .

(٣) سورة الإسراء، الآية ٢٤، وهي قراءة ابن عباس وعروة بن الزبير.

(٤) المحتسب ٢/١٨.

المطلب الثّالث

مصادر ابن جني في احتجاجه للشواذ

١- الاحتجاج في القراءات :

الكشف عن وجوه القراءة في اللغة، أو النحو، أو الصرف، باستخدام أساليب لغوية مختلفة، وشواهد من القرآن، والحديث، والشعر، واللغات، ولا يـراد بـذلك توثيق القراءة، أو إثبات قاعدة نحوية، كما في أصول النحو؛ لأن القراءة سنة ثابتة صحيحة في غربيتها، والغاية من الاحتجاج لها، الكشف عن الوجـوه اللغويـة لا إثباتها[١].

وابن جني في احتجاجه لم يكن بدعاً بين العلماء؛ وإنما سلك سـبيل غيـره، فاحتج بالقراءات المتواترة، كقراءة حفص وغيره، وأحـتج بالشـعر، والأمثـال، ولغات العرب، وأقوالهم، وتميز عن غيره باستغلاله للقياس ،واعتماده على بعض الآثار الثقافية التي نضجت في عهده.

وقد استطاع ابن جني أن يؤلف بين الأساليب اللغوية المختلفة وبـين وجـوه الشواذ، فجاءت مواد المحتسب وحدة لغوية منسجمة يقوى بعضـها بعضـاً. أمـا مصادره التي اتكأ عليها فهي :

١/ القراءات المتواترة وخاصة:

أولاً: قراءة حفص عن عاصم:

فقد اعتمد عليها ابن جني اعتماداً واضحاً في تخريجه للشواذ وحمل أغلـب وجوهها عليها، فهو قد يستدل بقراءة حفص للمعنى الذي يذهب إليه، ومـن ذلـك استشهاده بقراءة﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾[٢] فقد ذهب فيها إلى زيادة (لا) ثم قال : قسط إذا جار وأقسط إذا عدل[٣] قال تعالى:﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [٤] .

---

(١) القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي – محمود أحمد صغيرون ص ٢٠٥.

(٢) سورة النساء الآية : (٣) وهي قراءة الأعمش وقراءة الجماعة بضم التاء.

(٣) المحتسب ١/١٨٠.

(٤) سورة الجن : ١٥.

ومع اعتماده على قراءة حفص لم يغفل القـراءات المتـواترة الأخـرى[١]، والقراءة المشهورة عند ابن جني حجة للقراءة الشاذة[٢] وكأنه يريد أن يشير إلـى العلاقة القوية بينهما.

ثانياً: القراءات الشاذة:

اتخذ ابن جني من بعضها ركناً من أركان احتجاجه، بعضها قراءات توافـق المصحف وبعضها تخالفه. فثقته بالقراءة الشاذة، لا تقل عن المشهورة، كما أشـار في المقدمة[٣].

ثالثاً: الحديث النبوي الشريف:

استدل ابن جني بعدد من الأحاديث على بعض الوجوه واهتدى بها إلى بعض المعاني في مختلف القضايا اللغوية[٤] ،والنحوية[٥] ،والصـرفية[٦] ،والبلاغيـة[٧] وهو لا يصرح أحياناً بأن ما يورده حديث، إذ قد يورده على أنـه قـول مـأثور، خاصة وأنه يستشهد بالحديث على المعنى فقط، كقوله : ومنه قولهم :"خير المـال سكة مأبورة أو مهرة مأمورة"[٨] مما جعل أحد علماء اللغة المحدثين يذهب إلى أن ابن جني لم يستشهد بأكثر من سبعة أحاديث في كتابه مع أنها في المحتسب ثمانية عشر حديثاً، ولعله لم يعتد بالأحاديث الواردة بالمعنى[٩].

---

(١) المحتسب ١/٢٣٠، ٢/٤٩، ٢١١، ٦٠، ١/٣٦٠.

(٢) المحتسب ١/٦٤، ٧١، ١٠٣، ١٦٥، ٢/١٤، ٢٥٥.

(٣) مقدمة المحتسب ١/٣٤.

(٤) السابق ١/٨٦، ٨٨، ٩١، ١٨٦، ١٩٥، ٣٥١، ٣٦٠، ٢/١٦، ١٧، ٤٥، ١١٨ .

(٥) السابق ٢/٣٣ .

(٦) ١/٣٤٣، ٢/٢٠٤، ٣٣٢.

(٧) ١/٢٩٦، ٢/٣٦١.

(٨) حديث شريف ورد في الجامع الصغير ٣/٤٩١بلفظ (خير مال المرء مهره مـأمورة أو سـكة مـأبورة أخرجه أحمـد والطبرانـي عـن سـويد المحتسـب ٢/١٦، ومهـرة مـأمورة أي مكثـرة النسـل. والمابورة:المصلحة الملقحة من النحل ومعنى ذلك خير المال نتاج أو زرع اللسان مادة (سـلك) ، خيـر مالك المرء له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة رقم الحديث ١٥٨٨٣ حديث سويد بن هبيرة عن النبـي ﷺ مسند الإمام أحمد بن حنبل – لأحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني – د.ط د.ت مؤسسة قرطبة القاهرة.

(٩) الاحتجاج للقراءات الشاذة – محمد أحمد صغيرون – ص ٢١٤.

رابعاً: الشعر العربي:

أما الشعر فقد كان من مصادر ابن جني المهمة في الاحتجاج للشواذ، فقد استدلَّ منه بحوالي خمسمائة وثمانية وسبعين بيتاً، كرر بعضها في بعض المسائل، ونلاحظ أن الشعر قد تفوق على القراءات عدداً، ولكنه لم يتقدمها قيمة فهو يؤثر القراءة ويقدمها على الشعر[١]. ونادراً ما كان يقدم الشعر على القرآن[٢]. وهو لا يكتفي من الشعر بالشاهد الواحد، فقد يورد اثنين[٣] ،أو ثلاثة[٤] ،أو أربعة[٥] وقد يستدل بشعر المولدين في تفسير المعنى لأنه يرى أن المعاني لا يرفعها تقدم ولا يزرى بها تأخر[٦]، فأستشهد بشعر أبي تمام[٧] ، والمتنبي[٨].

خامساً: لغات العرب وأقوالهم:

وتعتبر من المصادر المهمة التي احتج بها، فكان أحياناً يحدد مستواها بأنها لغة أو لغية ويحمل بعضها على قول العرب أو قول بعضهم[٩].

أما أقوال العرب فقد يستأنس ليؤكد بها ما يذهب إليه، وأحياناً يقيس عليها[١٠].

وأحياناً يقدمها على الشعر[١١].

---

(١) انظر المحتسب ٩١/١، ٩٢، ١٠٨، ١١٥، ١٢٥، ١٨٠، ٢٠/٢، ٤٩، ٩٦، ١٤٥، ١٧٩، ١٨٤، ٣٠٣ وغيرها من المواضع .

(٢) المحتسب ٢٨٢/٢، ٥٠/١، ٣٣٩ – ١٦٥/٢، ٢٥٠.

(٣) السابق ٤١/١، ٤٥، ٣٢٦

(٤) ٤٧/١، ١١٢، ١٣٧، ١٦٥.

(٥) ٧٦/١، ٨٦/ ١٢٨/ ١٨٤.

(٦) المحتسب ٢٣/١.

(٧) المحتسب ١٢٨/١.

(٨) ٤٢/١، ١٩/٢، ٢١٠.

(٩) المحتسب ٣٩/١ – ١٨/٢، ٣٩، ٤٢، ٢٨٨.

(١٠) المرجع السابق ٢٣٤/١.

(١١) السابق ٢٤/٢، ٢١٠/١.

وهو يذكر أحياناً أسماء من يحتج بأقوالهم كالحجاج بن يوسف[١] ويشير إلى فصاحته[٢].

أما المثل، وهو "نظام نثري خاص يجري في مخالفته لمألوف النثر مجــرى الشعر"[٣] فقد استعان به ابن جني في تخريجـــه للشـــواذ كقـــول العـــرب:(أشـــتد مخنوق)[٤]. وغير ذلك الكثير من المواضع التي يستشهد فيها بالأمثال[٥].

---

(١) هو الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولد سنة ٤٠هـ، من أشهر عمال بني أمية ، ويعتبر من أمراء المنـــابر تولى ولاية العراق ، وأشتهر بالقسوة في حكمه – أعلام المورد ص : ١٧٠ .

(٢) المحتسب ٢٤/٢.

(٣) الكتاب – سيبويه ٢٣١/٢.

(٤) افتد مخنوق : أي يا مخنوق ، مثل يضرب لكل مشفوق عليه مضطر ويروى : (افتدي) مجمع الأمثـــال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، د. ط، ١٩٦٢م ، دار مكتبة الحياة بيروت.

(٥) كقول العرب (أصبح ليلاً) و (اطرق كراً) وغيـــر ذلـــك المحتســـب– ٨١/١، ٤١/٢ ، ٧٠، ٧٨، ٨١، ١٣٨، ١٧٣ ، ١٨٤..

الفصل الثَّاني

القضايا الصَّوتية في المحتسب

المبحث الأوَّل : **القوانين الصَّوتية وتطور الأصوات**.

المبحث الثَّاني : **ظاهرة المماثلة الصَّوتية**.

المبحث الثَّالث : **ظاهرة المخالفة الصَّوتية** .

المبحث الرَّابع : **ظاهرة الهمز**.

المبحث الأوّل

القوانين الصوتية وتطور الأصوات

إن اللغة، أي لغة، عبارة عن مجموعة من الأصوات، تتصل مع بعضها البعض، وتأتلف نسقاً معيناً، لتعبر عن الأفكار الإنسانية[١]، والأصوات التي تتكون منه اللغات هي جمع مفردها (صوت).

والصوت لغة[٢]:

الجرس ، معرف مذكر، والجمع أصوات . وقد صات يصّوت ، صوتاً ، وأصات وصوَّت به : نادي.

وصائت :معناه صائح

وهذه الأصوات التي تؤلف الكلام الإنساني تختلف من لغة إلي أخرى، ويطلق عليها في علم اللغة الحديث اسم (لفونيماث) [٣].

وهو في اصطلاح علماء اللغة المحدثين :

أثر سمعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة أعضاء النطق، ويظهر هذا الأثر في صورة ذبذبات صوتية ملائمة لما يصاحبها من حركات أعضاء النطق المختلفة . فيتطلب نطق الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة، تحتاج من المتكلم بذل مجهود ما[٤].

وليس كل صوت من أصوات هذه المجموعة الكلامية صالحاً لأن يجاور أي صوت آخر، وإنما هناك عوامل معينة تحدد وروده في موقع بعينه أو عدم وروده، من ذلك مخرج الصوت وصفاته. وذلك لأن كل صوت من الأصوات لا ينتج مستقلاً بمفرده وإنما يتأثر نطقه بالأصوات السابقة عليه أو اللاحقة له، وهو ما

---

(١) طبيعة اللغة أنها (أصوات) هذا ما اتفق عليه علماء اللغة القدماء والمحدثون – انظر الخصائص (لابن جني) ٣٣/١.

(٢) اللسان مادة صوت.

(٣) التنوعات اللغوية د. عبدالقادر عبدالجليل ط١ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، دار صفاء الأردن – ص : ١٤٧.

(٤) علم الأصوات – كمال بشر – د.ط ٢٠٠٠م، دار غريب للطباعة والنشر ص: ١١٩.

يعرف في قوانين اللغات ب(الانسجام الصوتي) بين أصوات اللغة حتى يتوفر للناطقين بها أكبر قدر من السهولة وأعلى حد من الوضوح السمعي[١].

وأصوات اللغة العربية كغيرها من الأصوات في أية لغة إنسانية، لها خصائص ومميزات حين تأتلف مع بعضها البعض، لتشكل المقاطع التي تتكون منها وحدات اللغة[٢]، لذلك فقد حرصت اللغة العربية على أن يتكون نسيج كلماتها من أصوات متباعدة المخارج، ليتمكن المرء من نطق الكلمة بسهولة ويسر، دون أن تختلط الأصوات ببعضها ؛ فالتباعد بين مخارج الأصوات يؤمن نوعاً من التنوع الموسيقي، وتظهر معه الأصوات على حقيقتها[٣].

وقد أحس عالمنا ابن جني بذلك ونبه إليه بقوله : "وإذا اختلفت أحوال الحروف حسن التأليف"[٤] وهو يعلل لنا ذلك بما يمكن أن نسميه الآن بالوضوح السمعي إذ يقول في سر الصناعة.

" إن الصوت إذا انتحي مخرج حرف فأجرس[٥] فيه ثم أريد نقله عنه فالأخلق بالحال أن يعتمد به مخرج حرف يبعد عنه، ليختلف الصديان فيعذبا بتراخيهما، فأما أن ينقل عنه إلى مخرج يجاوره، وصدىً يناسبه، ففيه من الكلفة ما في نقد الدينار من الدينار[٦] وهذا أمر واضح غير مشكل، فلذلك حسن تأليف ما تباعد من الحروف[٧].

ويوضح الدكتور تمام حسان ذلك بقوله :(من الواضح أن النظام اللغوي والاستعمال السياقي، يحرصان – في اللغة العربية الفصحى على التقاء المتخالفين

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة – د. فوزي الشايب، د.ط ٢٠٠٤م – عالم الكتب الحديث ص: ١٥.

(٢) التنوعات اللغوية – د. عبد القادر عبدالجليل ص : ١٤٩.

(٣) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة – د. فوزي الشايب ص : ١٥.

(٤) الخصائص ٥٧/١.

(٥) جرس الأصوات، الجرس : مصدر الصوت و أجرس علا صوته، أجرس الشيء إذا سمع صوته (اللسان مادة (جرس).

(٦) يقصد أن التمييز بين الحروف المتشابهة مشكل .

(٧) سر الصناعة ٨/٦/٢.

... ويكرهان التنافر والتماثل ... لأن بناء الكلمة من أصوات متقاربة المخارج سينشأ عنه ثقل في النطق وإجهاد لأعضائه(١).

وقد أشار إلى ذلك علماء البلاغة عند حديثهم عن فصاحة الكلمة، فذكروا أن من شروط فصاحتها أن يكون تأليفها من أصوات متباعدة(٢). وحرصاً من العربية فصاحة كلمتها وسلامة نسجها صاغت كلماتها من أصوات متباعدة المخارج لتؤمن أكبر قدر من السهولة في النطق؛ فإذا دعت الصياغة القالبية أو السياق الصوتي إلى تجاور الأصوات المتقاربة، أو المتجانسة في المخارج أو الصفات في الكلمة الواحدة، كصياغة افتعل مما فاؤه أحد أصوات الأطباق(٣) أو أحد الأصوات المجهورة (٤) الآتية (د.ذ، ر، ز) فإنه في هذه الحالة سيجتمع صوتان متجاوران هما: فاء الكلمة وهي صوت لثوى، مطبق، مجهور)

وتاء الافتعال وهي صوت لثوي، مهموس) فهذا التقارب في المخرج والتنافر في الصفات سيترتب عليه ثقل في النطق وإجهاد لأعضائه فيحدث صراع بين الأصوات المتقاربة.

ويؤثر بعضها في بعض، فهي كما يشبهها أحد علماء اللغة المحدثين شبيهة بالعناصر الكيمائية في المختبر، أو المواد المشحونة بالكهرباء فتجاور مادتين من هذه المواد يحدث بينهما تجاذباً إذا كانتا مختلفتين في شحنتيهما، ويحدث بينهما تنافراً إذا كانتا متفقتين(٥).

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها د.تمام حسان ط١ ١٩٧٣– الهيئة المصرية العامة للكتاب – ص : ٢٦٣.

(٢) سر الفصاحة – لأبي محمد عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي – شرح وتصحيح د. عبدالمتعال الصفيدي د. ط ١٩٦٩م القاهرة ص : ٥٤.

(٣) أصوات الأطباق في العربية هي (ص، ض، ط، ظ) وفي حال النطق بها يرتفع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك ويتأخر قليلاً نحو الجدار الخلفي للحلق أي يكون اللسان مقعراً من وسطه – علم الأصوات كمال بشر، ص ٢٥٠.

(٤) الصوت المهجور هو: الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان حال النطق به وهي : ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي، أ، علم الأصوات – كمال بشر ص : ١٧٤.

(٥) أثر القوانين الصوتية – د. فوزي الشايب، ص : ١٩.

أما التفاعل بين أصوات اللغة فيحدث إذا تقاربت في المخارج أو الصفات، وهذا التفاعل هو المسئول الأول عن جميع التغيرات الصوتية التي تحدث للأصوات والصيغ من خلال مجاورتها لبعضها البعض في الكلام المتصل، وهو ما شغل به الباحثون قديماً وحديثاً؛ فدرس علماؤنا القدماء أوجه هذه التطورات وعالجوها تحت أبواب مختلفة كالإدغام(١) الذي تناوله ابن جني في كتابه الخصائص(٢) وعرَّفه بأنه :"تقريب الصوت من الصوت" وهو نوعان : أصغر وأكبر.

أما الأكبر فهو على ضربين

أحدهما : أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عليها الإدغام فيدغم الأول في الآخر نحو قطَّع وشدَّ .

الثاني : أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه مثل:

ودّ من وتدٍ .

وامَّحي : من انمحي

واصَّبر: من اصتبر.

أما الإدغام الأصغر فهو (تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك) (٣).

ويدرج لنا تحت هذا النوع الكثير من التغيرات والتبدلات الصوتية التي تحدث للكثير من الأصوات والصيغ في اللغة العربية ويعلل لها، مثل: الإمالة وإبدال تاء الافتعال حرفاً يجانس الفاء؛ والإتباع؛ وتقريب السين من الحرف

---

(١) فقد تناوله سيبويه في الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ــ تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ط٣- ١٤٠٨هــ ١٩٨٨م مكتبة الخانجي ، القاهرة ٤٠٧/٢، ٤٤٥/٤.

(٢) ١٣٩/١.

(٣) الخصائص ١٤١/٢.

المستعلي إذا وقعت قبله بقلبها صاداً، وتقريب الصوت مع حروف الحلــق نحــو شعير ورغيف(١). ومن التقريب أيضاً حذف الحركة بتقريبها من السكون(٢).

وهذا النوع من التقريب بين الحروف هو ما يسميه المحــدثون ب(المماثلــة الصوتية).وسيأتي الحديث عنها مفصلاً في المبحث القادم(٣).

وكذلك نجدهم يعللون لبعض صور المخالفة على أسس صوتية، فيبينون لنــا أن ثقل النطق هو المسئول عن التخلص من أحد المثلين المتشابهين بقول ســيبويه :(اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم) (٤).

وكذلك نجد ابن جني يتناولها في الخصائص ويمثل لها بعدة أمثلة (٥).

وسيأتي الحديث عنها لاحقاً بإذن الله(٦)..

والذي يهمنا في هذا المبحث أن نشير إلى أن علماءنا القدماء بصورة عامة، وعالمنا ابن جني بصورة خاصة، قد تناولوا هذه التغيرات والتطورات الصــوتية للأصوات والصيغ العربية، ووضعوا لها القوانين العامــة التــي تؤكــد وعــيهم وإدراكهم لهذه الظواهر الصوتية وتعليلاتها – وإن كان علم اللغة الحديث قد أخــذ عليهم بعض المآخذ في هذا الجانب(٧).إلا أنني أجد لهم العذر وذلك لأنهم درســوا هذه اللغة دراسة وصفية معتمدين على فترة زمنية محــددة، وهــذا النــوع مــن الدراسات يحتاج إلى منهج تاريخي ومقارن،وهي مناهج لــم تعرفهــا الدراســات اللغوية حتى عند الغربيين إلا حديثاً إضافة إلى الوسائل العلمية الحديثة (٨).

---

(١) الخصائص ٢/١٤١ – ١٤٣.

(٢) السابق والصفحة

(٣) ص ٨٧ – ١٣٣.

(٤) الكتاب ٤/٤١٧.

(٥) الخصائص ٢/٩٠ – ٩١.

(٦) انظر المبحث الثالث ص ١٣٤ – ١٥٤.

(٧) أنظر أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة – د.فوزي الشايب ص: ٢٠ – ٣٣. (٧)

(٨) انظر علم اللغة – د. على عبدالواحد وافي – ط ١١- ٢٠٠٦م – دار نهضة مصر للطباعــة والنشــر والتوزيع ص: ٥٢.

أما أنواع هذه التطورات التي تحدث للأصوات والصيغ نتيجة مجاورتها لبعضها البعض في الكلام المتصل فهناك نوعان منها:

النوع الأول: تطورات مطلقة :

وهي تحدث لأي صوت من أصوات اللغة فيتحول إلى صوت آخر في جميع السياقات اللغوية،التي يرد فيها وتسمى بالتغيرات التاريخية[١].

النوع الثاني: تطورات مقيدة:

وهي التي تعيننا في هذا الفصل من دراستنا الصوتية، وهي تلك التطورات التي تحدث للأصوات نتيجة تحاورها في سياقات معينة وتسمى ب(التغيرات التركيبية)[٢] وهذا النوع من التطور تحكمه قوانين صوتية بعضها عام يقع على كل اللغات ؛ وبعضها خاص لنحصر على لغتنا العربية وحدها .

أما القوانين الصوتية العامة فقد حصرها أحد علماء اللغة المحدثين[٣] في قانونين هما:

القانون الأول: قانون الأقوى (Law of the stronger)الذي صاغه عالم الأصوات الفرنسي (موريس قوامونت) ويقرر بموجبه أن الصوتين المتجاورين في السياق يتبادلان التأثير والتأثر والصوت الأقوى هو الذي يتغلب في النهاية على الأضعف[٤].

القانون الثاني: هو قانون (الجهد الأقل) أو الاقتصاد في الجهد:

(Effort or economy of effort principle of least)

وقد نادى به وتبناه (أندرية مارتيني) [٥].

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه – د. رمضان عبدالتواب – د. ط ١٩٨١م مكتبة الخانجي (القاهرة) ودار الرفاعي (الرياض) – ص ١٧.

(٢) السابق : التطور اللغوي مظاهره وعلله – رمضان عبدالتواب ص ١٨.

(٣) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة – د. فوزي الشايب ص: ٦١.

(٤) Malm Berg , B phonetics , new york ١٩٦٣. P . ١٠٠. نقلاً عن أثر القوانين الصوتية د. فوزي السايب ص ٦١.

(٥) السابق ص ١٠٥.

ويهدف هذا القانون إلى تحقيق حد أعلى من الأثر، بحد أدنـي مـن الجهـد والطاقة. فهذان القانونان العامان هما المسئولان مسئولية مباشرة عـن كـل مـا يصيب الأصوات والصيغ العربية من تطور كما سنرى.

والغاية من عمل هذين القانونين في اللغة هو تيسير النطق وتسهيله، بتخليص اللغة من بعض السياقات الصوتية والصياغات التي يكره ويسـتثقل تتابعها،وهـذه الحقيقة يؤكدها معظم اللغويين المحدثين[١].

هذا ويرتبط عمل كل من هذين القانونين بعمل الآخر في كثير من الأحيـان فيشتركان في ظاهرة لغوية واحدة؛ فيكون عمل أحدهما مقدمة لعمل الآخر، وقـد ينفرد أحدهما بالعمل دون الآخر في بعض الأحيان[٢].

أما الأثر الذي يحدثه هذان القانونان الصوتيان في اللغة، والنتيجة المترتبـة على عملهما فيها فيتمثل في ظاهرتين صوتيتين بارزتين هما :

١/ ظاهرة المماثلة الصوتية Assimilation

٢/ ظاهرة المخالفة الصوتية Dissimilation.

فظاهرتا المماثلة والمخالفة الصوتيات إذا ليسـتا قـانونين صـوتيين علـى الحقيقة، وإنما هما الأثر المباشر لعمل القوانين الصوتية، والنتيجة المترتبة علـى عملها؛ وذلك لأن عملها يؤدي بشكل عام إلى واحد من اثنين.

الأول: أن تقرب بين الصوتين المتجاورين، كلياً أو جزئياً، فتتحقـق بـذلك ظاهرة المماثلة .

الثاني: أن تفرق بين الصوتين المتماثلين، فتتحقق بذلك ظاهرة المخالفة[٣].

فالمماثلة والمخالفة إذن أهم وأبرز ثمرة لعمل القوانين الصوتية، بيـد أنهمـا ليستا كل عمل القوانين الصوتية،لأن هناك حالات لعمل لا تكون نتيجتهـا مماثلـة

---

(١) دراسة الصوت اللغوي – أحمد مختار عمر– ط١ – ١٩٦٨م الكويت ص ك ٣٢١.

(٢) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة د. فوزي الشايب – ص: ٦٥.

(٣) السابق ص : ٦٧.

ولا مخالفة كتخفيف الهمزة (إما تحذفهما، أو تسهيلها، أو قلبها، أو نقل حركتها) وسيأتي الحديث عن ذلك في مبحث قادم.

ولأنها ثمرة عمل الاقتصاد في الجهد ولكنها لا تتبع ظاهرة المماثلة ولا المخالفة لذلك سيأتي الحديث عنها نهاية الحديث عن ظاهرة المخالفة الصوتية .

هذا ومن خلال وقوفي على قراءات المحتسب، وبعد اطلاعي على القراءات التي خرجها ابن جني تخريجاً صوتياً، فإنني وجدت أن أكثر التغيرات الصوتية التي اعتمد عليها في تخريجه هي أثر من آثار عمل هذين القانونين، ووجدت لابن جني فيها تعليلات صوتية بعضها يتفق مع تعليلات علم اللغة الحديث وبعضها يختلف قليلاً أو كثيراً. فعملت على جمع هذه الظواهر الصوتية في الأطر التالية:

أولاً : ظاهرة المماثلة الصوتية .

ثانياً : ظاهرة المخالفة الصوتية .

ثالثاً : ظاهرة الهمز.

المبحث الثاني

ظاهرة المماثلة الصوتية

المطلب الأول : **تعريف المماثلة وموقف علمائنا القدماء منها** .

المطلب الثاني : **المماثلة بين الصوامت** .

المطلب الثالث : **المماثلة بين الصوائت** .

المطلب الرابع : **المماثلة بين الصوامت والصوائت**.

المطلب الأول

تعريف المماثلة وموقف علمائنا القدماء منها

أولاً : تعريف المماثلة (Assimilation):

والمماثلة في اللغة لا تكون إلا في المتفقين، فتقول لونه كلونه، وطعمه كطعمه، فإذا قيل هو مثله، فمعناه أنه يسدُّ مسده والمِثْلُ الشبه

والمماثلة لغة: مأخوذة من كلمة : مثل،ويقال مِثْلهُ ومَثَلَه كما يقال شِبهه وشَبَهُهُ، والمثل: الشبه .

والمثل الحديث نفسه، تمثل : إذا أنشد بيتاً ثم آخر [١].

والمماثلة في علم اللغة الحديث:

هي تماثل يحدث بين الأصوات المتجاورة، بحيث يفقد الصوت بعض خصائصه النطقية أو يكتسب بعض خصائص صوت مجاور [٢].

فينقلب إلى جنس الصوت الذي تأثر به، أو إلى صوت مقارب له في الصفة [٣].

وهي بهذا المفهوم ظاهرة عامة في اللغات جميعاً، ويمكن أن تسمى بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة [٤].لأن الأصوات في تماثلها تهدف إلى نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات .

فإذا اجتمع في الكلام صوتان من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين، وكان أحدهما مجهوراً، والآخر مهموساً، مثلاً حدث بينهما شدٌّ وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر إليه ويجعله يتماثل معه في صفاته [٥].

---

(١) لسان العرب – مادة (مثل).

(٢) اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استيتية – د. ط ٢٠٠٥م – عالم الكتب الحديث ص: ٩٣.

(٣) أصوات اللغة – محمود عكاشة ط٢ ١٤٢٨م – ٢٠٠٧م – الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي – مكتبة دار المعرفة ص ٨١،

(٤) الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس ص : ١٤٥.

(٥) أصوات اللغة – د. محمود عكاشة – ص : ٨١. الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس ط٤ ١٩٩٩م مكتبة الانجلو المصرية ص : ١٤٥.

ثانياً: موقف علمائنا القدماء منها وأنواعها:

تناول علماؤنا القدماء ظاهرة المماثلة الصوتية وأشاروا إليها في كتبهم بأسماء مختلفة، وهي وإن كانت إشارات سريعة – إلا أنها تدل على فهمهم الدقيق لأصوات لغتهم.

فقد تناول سيبويه في أكثر من موضع من كتابه ما يحدث من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض وسماها "التقريب"(١) كما تناول أيضاً أقصى ما يصل إليه الصوت في تأثيره وهو فناؤه في الصوت الآخر المجاور له بإدغامه فيه، فتحدث عن الإدغام(٢) وكذلك أشار إلى ما يمكن أن نسميه الآن بالمماثلة بين الحركات في باب الإمالة(٣).

وقد بينت في المبحث السابق أن المماثلة الصوتية هي وليدة عمل القانونين الصوتيين (قانون الأقوى، وقانون الاقتصاد في الجهد . وهي – كما رأينا – الأثر المباشر لعملها معاً.

والمماثلة في اللغة العربية تختلف أنواعها بحسب الأصوات التي تحدث بينها فهي يمكن أن تحدث بين ثلاثة أنواع من الأصوات هي :

الأصوات الصامتة

الأصوات الصائتة

والصوامت والصوائت معاً(٤).

---

(١) كتاب سيبويه ٤/٤٧٧.

(٢) الكتاب – ٤/٤٣١ – ١٤٤.

(٣) السابق ٤/١١٧ – ١٤٤.

(٤) وهي هنا مقسمة حسب التقسيم الرئيسي للأصوات وهو تقسيمها بحسب كيفية مرور الهواء إلى قسمين رئيسيين هما: –

الأصوات الصامتة Consonants وهي الأصوات المجهورة أو المهموسة، التي يحدث عند النطق بها اعتراض في مجرى الهواء، كلياً أو جزئياً، وهي ما سمي في اللغة العربية (بالحروف) وسماها بعضهم (الأصوات الساكنة)أما الأصوات الصائتة VOWELS فهي الأصوات المجهورة التي يمر معها الهواء حراً طليقاً خلال الحلق والفم دون أن يعترضه عارض وهي في اللغة العربية نسمى الحركات وسماها بعضهم المصوتات الخصائص ١/١٢٤ – ١٢٥ – علم الأصوات – كمال بشر ص ١٤٩ – ١٦٣.

وعلى ذلك يمكننا تقسيم المماثلة إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي :

الأول : المماثلة بين الصوامت

الثاني : المماثلة بين الصوائت .

الثالث : المماثلة بين الصوامت والصوائت وسيأتي الحديث عن كل واحـــدة من هذه الأنواع في مطلب منفصل.

المطلب الثاني

المماثلة بين الصوامت

أولاً: تعريف الصامت Consonant :

تنقسم أصوات أي لغة إلى قسمين رئيسيين هما الأصوات الصامتة أو ما يعرف في اللغة العربية بالحروف. والأصوات الصائتة أو الحركات .

وينبني هذا التقسيم على معيارين مهمين هما:

١/ وضع الوترين الصوتيين.

٢/ كيفية مرور الهواء من جهاز النطق الإنساني فبالنظر إلى هذين المعيارين: قسمت الأصوات إلى صامتة وصائتة:

وعلى ذلك عرف الصوت الصامت بأنه "الصوت المجهور أو المهموس، الذي يحدث أثناء النطق به اعتراض كلي،أو جزئي،في مجرى الهواء في الفم"[١].

وقد سميَّ علماؤنا القدماء هذه الأصوات الصامتة ب(الحروف) واهتموا بها اهتماماً خاصاً دون الصائتة (الحركات)، فوصفوا لنا مخارجها وصفاتها المختلفة .

بل إنهم وضعوا لها رموزاً خاصة مستقلة دون الحركات القصيرة .

أما عددها :

فقد روى عن الخليل أن: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً، منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومدارج"[٢]. ثم يرتب هذه الحروف من حيث المخرج من الداخل فجاء ترتيبه كالآتي:-

(ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن ف ب، فهذه الحروف الصحاح[٣].

---

(١) علم الأصوات – كمال بشر – ص : ١٤٩.

(٢) مقدمة العين ٥٧/١ .

(٣) معجم العين – للخليل بن أحمد ٦٥/١.

فنلاحظ هنا أن تقسيمه للأصوات العربية تقسيم صوتي في الأساس، اعتمد في ترتيبه توزيع الحروف على مدارجها وبيان مخارجها .

أما عالمنا ابن جني، فقد وصف لنا الأصوات العربية، بنوعيها الصامتة والصائتة، وصفاً دقيقاً، بل إنه يضع لها أول كتاب متخصص في علم الأصوات العربية هو كتابه (سر صناعة الإعراب) كما ذكرت في آثاره العلمية.

فنجده يميز لنا أهم الخواص التي تتميز بها الأصوات الصامتة من حيث كيفية مرور الهواء. حال النطق بها، فيذكر لنا أن الهواء قد يقف وقوفاً تاماً وهو حال نطق الأصوات التي تسمى حديثاً الوقفات الانفجارية، أو أن يمر الهواء محدثاً حقيقاً وسماه (صويتاً) وهو حال نطق الأصوات المعروفة بـ(احتكاكية)(١).

من هذا التصور البارع نلاحظ أن ابن جني قد أدرك خاصة الأصوات الصامتة وهي أنَّ هوائها قد يقف وقوفاً تاماً أو لا يقف .

فالمماثلة بين الصوامت هنا تعنى: أن يتجاور صوتان صامتان بينهما اختلاف في المخرج، أو في الصفات فيقلب أحدهما إلى صوت آخر، لتتم المماثلة بين الصوتين المتخالفين.

ثانياً: أقسام المماثلة بين الصوامت

وهي تنقسم إلى أقسام متعددة تبعاً للأسس التالية:

أولاً : مدى المماثلة بين الصامتين المعنيين .

ثانياً : موقع الصامت المتأثر بالنسبة للمؤثر.

ثالثاً : الاتصال بينهما أو عدم الاتصال،

وعلى الأساس الأول فإنه أما أن يتطابق الصوتان تمام المطابقة، فيقلب أحدهما إلى الآخر، وهو ما يسمى (الإدغام) وتسمى المماثلة في هذه الحالة (مماثلة كلية) أو لا تتم المطابقة بين الصوتين، فيقرب أحدهما من الآخر، فتسمى المماثلة في هذه الحالة (مماثلة جزئية)

---

(١) مقدمة سر الصناعة ص ٧.

أما الأساس الثاني وهو موقع الصامت المؤثر من المتأثر . فإن كان الصوت المؤثر سابقاً للصـوت المتـأثر فالمماثلـة تسـمى (مقبلـة).أو (تـأثر تقـدمي (Progressive) فهي إذن تأثر الصوت الثاني بالأول.

أما إذا تقدم الصوت المتأثر على الصوت المؤثر فالمماثلة تسمى (مدبرة) أو (تأثر رجعي) (Regressive) فهي إذن تأثر الصوت الأوّل بالثاني.

أما بالنسبة للأساس الثالث وهو الاتصال وعدمه، فإذا اتصل الصـوتان فـي السياق اتصالاً مباشراً فالمماثلة في هذه الحالة تسمى مماثلة متصلة:

أما إذا كان الصوتان منفصلين، فالمماثلة عندئذٍ تسمى (منفصلة)

وعن طريق تركيب هذه الأسس مع بعضها البعض فإننا نحصل على ثمانيـة أشكال لظاهرة المماثلة الصوتية:

الأول : مماثلة كلية مقبلة متصلة.

الثاني : مماثلة كلية مقبلة منفصلة .

الثالث : مماثلة كلية مدبرة متصلة .

الرابع : مماثلة كلية مدبرة منفصلة .

الخامس: مماثلة جزئية مقبلة متصلة.

السادس : مماثلة جزئية مقبلة منفصلة.

السابع : مماثلة جزئية مدبرة متصلة.

الثامن : مماثلة جزئية مدبرة منفصلة[١].

أولاً : المماثلة الكلية المقبلة المتصلة:

ومن أمثلة هذا النوع من المماثلة مماثلة التاء لما قبلها سواء أكانت التاء تـاء الفاعل أو غيرها نحو:

تأثر التاء في فعلت، بالطاء قبلها، فتصبح (طاء)، كقولهم في: أحطت : أحطُّ.

---

(١) وقد ذكر د. فوزي الشايب هذه الأنواع الثمانية وأورد لها أمثلة مفصلة في كتابه : أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة وستكتفي الباحثة في هذا الموضع بمثال أو مثالين لكل نوع منها ثم تورد القراءات التـي خرجها ابن جني على ذلك النوع المعين من المماثلة.

وقولهم في خبطت : خبطٌّ.

وقولهم في ربطت : ربط .

والتفسير الصوتي لهذا الإبدال هو اختلافهما في الصفات، فالتاء : مرفقة،والطاء : مفخمة، والتاء : مفتوحة، والطاء : مطبقة: فتأثرت التاء بالطاء ، فأطبقت، فصارت طاء، ثم أدغمت الطاء في الطاء فالمماثلة كلية للإدغام ومقبله لتأثر الثاني بالأول، ومتصلة لتجاوز – الصوتين مباشرة دون فاصل.

ومن ذلك مماثلة التاء للصاد في نحو : لص وأصلها : لصت

فالذي حدث في هذه اللفظة أنه: قد تأثر الصوت الثاني وهو التاء، بالصوت الأول وهو الصاد، فهي مماثلة مقبلة . تأثراً كلياً حيث تم الإدغام ومتصلاً: لتجاور الصوتين، فصارت التاء طاء (لصط) ثم تأثرت الطاء بالصاد قبلها فصارت صاداً مثلها أي (لصص) ثم أدغمت الصاد في الصاد فصارت لصٌّ

لصت ← لصط ← لصص ← لصّ

وجاء في اللسان : لِصٌّ ولَصٌّ ولِصتٌ ولَصت[١].

وقد تناول ابن جني هذه اللفظة في (سر الصناعة) [٢] وجعل الصاد هي الأصل والتاء بدلاً منها فيكون تطورها التاريخي هو:

لصص ← لصط← لصص ← لصٌّ .

وتابعه صاحب اللسان، وذكر أن اللصَّ : لغة في اللصت، وأنهم أبدلوا من صاده : تاء[٣].

أما في المحتسب فقد خرج ابن جني على هذا النوع من المماثلة قراءة الجحدري : "أن يَصَّلَحا"بفتح الياء وتشديد الصاد وكسر اللام وقراءة الجماعة (يُصْلِحا) [٤] بضم الياء وسكون الصاد وكسر اللام من غير ألف، من أصلح.

---

(١) لسان العرب – لابن منظور – مادة (لصص) .

(٢) سر الصناعة ١٥٦/١.

(٣) لسان العرب – مادة ٠لصص) .

(٤) سورة النساء : ١٢٨.

قال أبو الفتح : أراد : يصطلحا، إلى: يفتعلا، فأثر الإدغام، فأبدل الطاء صاداً، ثم أدغم فيها الصاد التي هي فاء، فصارت (يصَّلحا) [١].

فالمماثلة هنا: كلية، لفناء الصوت الثاني في الأول (الإدغام) ، وهي مماثلة تقدميه، لتأثر الصوت الثاني (الطاء) بالأول وهو (الصاد) فأبدلت الطاء صاداً، وأدغمت فيها، وهي مماثلة متصلة؛ لاتصال الصوتين اتصالاً مباشراً.

ثانياً : المماثلة الكلية المقبلة المنفصلة:

وهي مثل النوع الأول من أنواع المماثلة من؛ حيث إن الصوت الثاني يتأثر بالصوت الأول تأثيراً كاملاً، إلا أنها منفصلة لوجود فاصل بين الصوتين المتأثرين وهذا النوع من المماثلة لا نجد له أمثلة كثيرة في اللغة العربية؛ لأن العربية لا تستسيغ هذا النوع من المماثلة ولا تميل إليه[٢].

ومن الأمثلة القليلة التي وردت في هذا النوع كلمة : أصيلال ← بدلاً أصيلان تصغير أصلان.

فتأثر الصوت الثاني وهو(النون) بالصوت الأول وهو اللام (مقبلة) والحركة الطويلة (الألف) تفصل بين الصوتين فقلبت النون (لاماً) لتماثل اللام الأولى.

والباحثة لم تجد في قراءات المحتسب مثالاً لهذا النوع من المماثلة.

ثالثاً: المماثلة الكلية المدبرة (التأثر الرجعي) المتصلة:

وهذا النوع من أنواع المماثلة هو الأكثر شيوعاً، ليس في العربية وحدها، بل في جميع اللغات يقول أحد علماء اللغة المحدثين .إن الصوت المشبه يسبق في أغلب الأحيان الصوت المشبه به، أي أن هناك في الواقع حالة تعجل، فالعقل باشتغاله ينطق صوتاً ما في داخل مجموعة صوتية قبل أوانه وينتج مرتين متتابعتين الحركات الصوتية التي يقتضيها هذا الصوت[٣].

---

(١) المحتسب ٢٠١/١.

(٢) أثر الفوانين الصوتية في بناء الكلمة – د. فوزي الشايب ص: ١٩٧.

(٣) أثر القوانين الصوتية – فوزي الشايب – ص : ١٩٩.

فهذا الحديث إشارة إلى كثرة شيوع المماثلة المدبرة وهي : تـأثر الصـوت الأول بالثاني، كما أنه تعليل لأسباب حدوثها في اللغات عموماً . وكذلك الحال في اللغة العربية فإنه يغلب عليها تأثر الصوت الأول بالثاني[1].

ومن صور هذا النوع من المماثلة في اللغة العربية تأثر تاء الافتعـال بمـا بعدها، إذا كان ما بعدها أحد أصوات الأطباق أو أحد الأصوات الآتيـة (د، ذ، ر، ز، س، ث)، مع مراعاة الأصل في بناء (افتعل) وهو (اتفعل) فعند بناء (افتعـل) وهو (تفعل) فعند بناء (أفتعل) من (طلب):

فتكون في الأصل← (اتطلب).

فتتأثر التاء وهي مهموسة مفتوحة بالطاء وهي مطبقة فتصبح التـاء طـاء، (اتطلب) ثم تدغَم الطاء في الطاء ←أطّلب.

وعلى هذا النوع من المماثلة الكلية المدبرة المتصلة يمكننا أن نفسر تخـريج ابن جني للقراءات الآتية:

من ذلك قراءة (يَخطَّف) [2].

بنصب الياء والخاء والتشديد.

قال أبو الفتح: أصله يختطف، فآثر إدغام التاء في الطاء. ويبين لنا علة ذلك بقوله لأنهما من مخرج واحد، والتاء مهموسة، والطاء مجهورة[3] والمجهور أقوى صوتاً من المهموس وفي الإدغام هنا قوة في الحرف المدغم. وذلك أن الحرف إذا أدغم خفي فضعف، فإذا أدغم في حرف أقوى منه، استحال لفظ المدغم إلى لفـظ المدغم فيه، فقوي بقوته فكان في ذلك تدارك وتلافٍ لما جنى على الحرف المدغم فقلبت التاء طاء وأدغمت الطاء في الطاء فصارت (يخطِّف) [4].بفتح الياء وكسـر الخاء وكسر الصاد مشددة.

---

(١) في اللهجات العربية – إبراهيم أنيس ط٣ ٢٠٠٣م – مكتبة الانجلو المصرية ص : ٩٢. ودراسة الصوت اللغوي – أحمد مختار عمر – ص : ٣٣٣.

(٢) سورة البقرة : ٢٠.

(٣) الطاء مجهورة وصف القدماء لها، أما المحدثون فالطاء عندهم مهموسة – أصوات اللغة محمود عكاشـة ص ٤٧.

(٤) المحتسب ٥٩/١، ١٠٦.

ومن ذلك تخريجه لقراءة الحسن[1]: (يخصَّفان) [2] قال أبو الفتح: يخصَّــفان، أراد يختصفان: يفتعلان . من خصفت، فآثر إدغام التاء في الصاد، فأسكنها والخاء قبلها ساكنة، فكسرها لالتقاء الساكنين فصارت : يخصِّفان[3].

ومن مماثلة التاء للدال تخريجه لقراءة شهر بن حوشــب[4] : (يَعَــدُّون فــي السبت)[5]. بفتح الياء والعين وضم الدال مشددة.

قال أبو الفتح :أراد : يعتدون، فأسكن التاء ليدغمها في الدال، ونقل فتحتهــا إلى العين فصارت : يعَدُّون[6] .

ومما تأثرت فيه التاء بالدال بعدها قراءة رجل من أهل مكة:(مُرَدِّفين) [7].

قال : أصله مرتدفين:مفتعلين، فآثر إدغام التاء في الدال، فأسكنها وأدغمهــا في الدال،وحرَّك الراء لالتقاء الساكنين[8].

ومن ذلك قراءة الناس: (بلِ – أدّأرَك) [9] بتشديد الدال وفتح الراء وأصلها : تدارك، فقلبت التاء دالاً وأدغمت فيها[10].

أمّا تأثر تاء الافتعال بأصوات الأطباق، فمن ذلك تأثرها بالطاء كما في قراءة الحسن : (لا يَحطَّمنكم) [11]. بفتح الياء والحاء وتشديد الطاء والنون

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن أبو سعيد البصري.

(٢) سورة الأعراف : ٢٢.

(٣) المحتسب ٢٤٥/١.

(٤) هو أبو سعيد شهر بن حوشب الأشعري، الشامي، ثم البصري، تابعي مشهور، مات سنة ١٠٠هــ، وقيل غير ذلك طبقات القراء ٥١٥/١.

(٥) سورة الأعراف : ١٦٣، وقراءة الجماعة (يعدون) بفتح الياء وسكون العين فلا مماثلة فيها

(٦) المحتسب ٢٦٤/١.

(٧) سورة الأنفال : ٩.وقد نقل أبو الفتح الرواية عن الخليل .

(٨) المحتسب ٢٧٣/١.

(٩) سورة النمل : ٦٦.

(١٠) المحتسب ١٤٣/٢.

(١١) سورة النمل : ١٨.

فقد ذكر أبو الفتح أن الأصل فيها: (يحتطمنكم) : يفتعل من الحطـــام، وهـــو الكسر، وآثر إدغام التاء في الطاء، لقرب مخرجهمـــا، فأســـكنها وأبـــدلها طـــاء، وأدغمها في الطاء بعدها ونقل الفتحة من التاء إلى الحاء[1].

ومما تأثرت فيه الطاء بالصـــاد بعـــدها قـــراءة عاصـــم الجحـــدري : "أن يصَّلحا"[2].

قال أبو الفتح : أراد: يصطلحا، أي يفتعلا، فأبدلت الطاء صاداً وأدغمت فيها فصارت يصّلحا[3] وهو في هذا الموضع يوضح جواز مماثلة الطاء للصاد وعـــدم جواز مماثلة الصاد للطاء فلم يجز أن تبدل الصاد طاء لما فيها من امتداد الصفير، فالطاء والظاء حروف تدغم في الصاد ولا يدغم فيها[4].

وفي موضع آخر من المحتسب يبين عدم جواز مماثلة الصاد للطاء، واعتبر إدغام الصاد في الطاء لغة مزدولة وذلك لما فيها من الامتداد والفشو، فإنهـــا مـــن الحروف التي يدغم فيها ما يجاورها،ولا تدغم هي فيما يجاورها، وهي: (الشـــين، الضاد، الراء، الفاء، الميم) ويجمعها في اللفظ قولهم (ضم شـــفر)، وقـــد أخـــرج بعضهم الضاد وجمعها في قولهم (مشفر)، وذلك أنه قد حكي إدغام الضـــاد فـــي الطاء في قولهم : أضطجع: اطَّجع[5].

رابعاً: المماثلة الكلية المدبرة المنفصلة:

وهي مثلها مثل النوع الثاني من أنواع المماثلة وهو المماثلة الكليـــة المقبلـــة المتصلة) فلا نجد لها في الفصحي أمثلة كثيرة إلا بعض الصور النادرة للإبـــدال. مثل قولهم : لابل ، ولابن، حيث تاثر ولم أجد لهذا النوع من المماثلة مثالاً فـــي قراءات المحتسب.

---

(١) المحتسب ١٣٧/٢.

(٢) سورة النساء : ١٢٨.

(٣) المحتسب ٢٠١/١.

(٤) المحتسب ٢٠١/١.

(٥) المحتسب ١٠٦/١ – ١٠٧.

خامساً: المماثلة الجزئية المقبلة المتصلة:

وأبرز مثال تقدمه العربية على هذا النوع من المماثلة هو مماثلة التاء لما قبلها في صيغة (فعلت) كصياغة فعلت من فحص حاص وفاز، فيقولون فحصط وحصت وفزت(١).

ومما خرجه ابن جني على هذا النوع من المماثلة ما يروى عن الأعمش أنه قرأ: ﴿ فَشَرِّذْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾(٢) بالذال معجمة.

فذهب أبوالفتح إلى أن تكون الذال في (فَشَرِّذْ) بدلاً من الدال، ويستشهد بقولهم لحم خرادل وخراذل(٣) ويعلل لذلك بأنهما مجهوران ومتقاربان(٤).

سادساً: المماثلة الجزئية المقبلة (المنفصلة):

وهذا النوع من المماثلة لا توجد له أمثلة كثيرة في الفصحى منها ما ذكره ابن جني في سر الصناعة من أنه يقال : وقيذاً ووقيظاً، فهو يرى أن الذال هي الأصل لأنها أعم تصرفاً ووردت الموقوذة بالذال(٥) وإلى ذلك يذهب صاحب اللسان إلى أن الأصل في ذلك هو الذال ووقذني بالذال أي : كسرني وهدني(٦).

والذي حدث هنا : هو أن الذال تأثرت بالصوت المفخم قبلها وهو القاف ففخمت بجعلها ظاء(٧)، ومثلها حنذي وخنظي،وجاء في اللسان : رجل خنظيان

---

(١) شرح الشافية للرضي ٢٢٧/٣.

(٢) سورة الأنفال : ٥٧.

(٣) لحم خرادل وخراذل : مقطع مفرق، اللحم قطعة وخرقة وفيه خردل وخرذل اللسان مادة خردل.

(٤) المحتسب ٢٨٠/١.

(٥) سر الصناعة ٢٣٣/١ – ٢٢٨.

(٦) اللسان – مادة (وقذ) و(قظ) .

(٧) الأصوات المنفخمة في اللغة العربية هي : أصوات الأطباق (ص، ض، ط، ظ) وهي مفخمة بطبيعتها في أي سياق تقع فيه، يضاف إليها أصوات تكتسب تفخيمها من السياق هي (ق، غ، خ) وسماها القدماء حروف الاستعلاء .

وخنزيان، أي فحَّاش كثير الشر[١] وذكر الزبيدي[٢] أن العامة على عهــده كانــت تقول في معربد: معربض ، فيفخمون الدال تحت تأثير الراء[٣].

وفي قراءات المحتسب مما خرجه ابن جني على هذا النوع من المماثلة فتأثر فيه الصوت الثاني بالأول :

قراءة أبي العالية : ﴿رِجْس الشَّيْطَانِ﴾[٤].

قال أبو الفتح : الرجس في القرآن العذاب كالرجز، ... وقــراءة الجماعــة (رجز الشيطان) معناه كمعنى : رجس الشيطان . وقد سمي ابن جني هذا النــوع من المماثلة بتزاحم الحروف المتقاربة[٥].

والذي حدث في رجس من رجز:

أن تأثرت السين المهموسة بالراء قبلها فقلبت إلى نظيرها المجهــور وهــو الزاى.

سابعاً: المماثلة الجزئية المدبرة المتصلة:

وأمثلة هذا النوع من المماثلة في اللغة العربية كثيرة، وهي أن يتأثر الصوت الأول بالثاني تأثراً جزئياً، من غير إدغام يكون هناك، ويتصل الصوتان المتأثران اتصالاً مباشراً منها على سبيل المثال :

تأثر التاء في (افتعل) المنقلبة عن (اتفعل) بالصوت والمفخم بعــدها نحــون صياغة (اتفعل) من (صبر) على النحو التالي:

صبر اتصبر اطصبر (قلب مكاني) اصطبر.

---

(١) اللسان مادة (وقظ).

(٢) الزبيدي هو أبوبكر محمد بن الحسن بن عبدالله بن مذحج الزبيدي، الأشبيلي، النحوي، صاحب طبقــات النحويين مات سنة ٣٧٩هــ أخذ العربية عن أبي على القالي، وصنف مختصر العين وأبنيه سيبويه، وما يلحن فيه عوام الأندلس بغية الوعاة – للسيوطي ٨٤/١ – ٨٥.

(٣) لحن العامة – لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي تحقيق: عبدالعزيز مطر – ط٢، القاهرة ١٩٨١– ص : ٢٣١.التطور اللغوي – رمضان عبدالتواب ص : ٢٨.

(٤) سورة الأنفال : ١١.

(٥) المحتسب ٢٧٥/١.

فالمماثلة هنا جزئية مدبرة، سببها : تتابع التاء المرققة بصوت الصاد المفخم بعدها فتطبق التاء فتقلب طاء، ويعلل ابن جني لذلك بقوله : (والعلة في أن لم ينطق بتاء افتعل على الأصل، إذا كانت الفاء أحد حروف الأطباق، أنهم أرادوا تجبيس الصوت وأن يكون العمل من وجه واحد بتقريب حرف من حرف[١].

وكذلك إذا كانت الفاء من (افتعل) دالاً أو ذالاً أو زاياً . فتقلب التاء دالاً، وهذا قانون عام في اللغة العربية وهو (أنه لا يتجاور صوت مجهور مع نظيره المهموس، فالدال لا تجاور التاء، والزاي لا تجاور السين، والذال لا تجاور الثاء، فإذا اقتضت صيغة من الصيغ أن يتجاور صوت مهجور مع نظيره المهموس مجاورة مباشرة، وجب أن تقلب أحدهما بحيث يصبح الصوتان أما مهموسين وإما مجهورين[٢].

أما المماثلة الجزئية المدبرة المتصلة في غير افتعل فمنها تأثر السين بالصوت المفخم بعدها فتفخم . فقد فخمت في (بصطه) من قوله تعالى:﴿ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ [٣]

وكذلك تتأثر السين بالدال بعدها فتجهر نحو: أصدق: أزدق.

والعرب تقول في التصدير :التزدير وفي أصدرت : أزدرت، وفي يسدل ثوبه : يزدل ثوبه[٤].

ومما خرجه ابن جني على ذلك قراءة رويت عن النبي ﷺ : ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾[٥] باصقات بدل باسقات قال : الأصل السين، وإنما الصاد بدل منها

---

(١) المنصف ٣٢٤/٢٣ – ٣٢٥.

(٢) الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس – ص : ١٤٩.

(٣) سورة الأعراف : ٦٩.

(٤) الكتاب – سبيويه – ٤٧٨/٤– ٤٧٩.

(٥) سورة ق : ١٠.

لاستعلاء القاف، فأبدلت السين صاداً لتقرب من القاف ؛ لما في الصاد من الاستعلاء ونحو قولهم في سقر : صقر.

وفي السقر: الصقر . وروي عن الأصمعي قوله : اختلف رجلان من العرب في السقر، فقال أحدهما : بالصاد، وقال الآخر : بالسين، فتراضيا بأول من يقدم عليهما، فإذا راكب، فأخبراه ورجعا إليه، فقال : ليس كما قلت، ولا كما قلت وإنما هو الزقر... ثم يذكر ابن جني العلة الصوتية لهذا الإبدال بقوله : وذلك أن السين مهموسة، والقاف مجهورة فأبدل السين زاياً وهي مجهورة، والزاي أخت السين كما أن الصاد أختها، ويشير إلى أن هذا التقريب بين الحروف باب طويل منقاد وهو في فصل الإدغام وما أصنعه وألطفه وأطرفه(١).

ثامناً: المماثلة الجزئية المدبرة المنفصلة:

وهي تأثر الصوت الأول بالثاني تأثراً جزئياً: يفصل بين الصوتين المتماثلين فاصل . وذلك كتأثر السين بالأصوات المفخمة بعدها فتفخم بأن تصبح صاداً . وذلك كما قال ابن جني : أن حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سفالها إلى تعاليهن والصاد مستعلية وهي أخت السين في المخرج(٢) وذلك في تخريجه لقراءة يحي بن عمارة: ﴿وَأَصْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (٣).

قال: أصله السين إلا أنها أبدلت للعين بعدها صاداً كما قالوا في سالغ(٤)، صالغ . وفي سفر، صفر، .. وميّه قولهم في سطر: صطر، وفي سويق : صويق.

وحكى يونس عنهم في السوق : الصوق(٥).

---

(١) المحتسب ٢/٢٨٣.

(٢) المحتسب ٢/١٦٨.

(٣) سورة لقمان : ٢٠.

(٤) سالغ ولد البقرة في السنة السادسة، والشاة سالغ إذا اسقطت السن التي خلف السديس فهي صانغ – اللسان مادة (سلغ).

(٥) المحتسب ٢/١٦٨.

ومن ذلك تخريجه لقراءة الحسن: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ﴾[1].

قال : قد قالوا : صفقت الباب، وسفقته، والصاد أعلى ... وروي عن الحسن أيضاً صفقاً[2].

هذه هي الأنواع الثمانية للماثلة بين الصوامت نظراً إليها من اعتبارات مختلفة، وهي كما رأينا منها ما هو شائع الاستعمال في جميع اللغات كالنوع الأول وهو: المماثلة الكلية المقبلة المنفصلة . والنوع الثالث وهو:(المماثلة الكلية المدبرة المتصلة). والنوع السابع وهو(المماثلة الجزئية المدبرة المتصلة).

ومنها ما هو قليل الاستعمال، فلا نكاد نجد له أمثلة في الفصحى سوى مثال أو مثالين وبعض الأمثلة من اللهجات العامية التي وردت في كتب اللهجات وكتب التصحيح اللغوي.

وقد رأينا ابن جني يتناول هذه الأنواع في كتبه المختلفة بصورة عامة شارحاً ومستشهداً ومعللاً ؛ أما المحتسب بصورة خاصة فنجده يخرج الكثير من القراءات الشاذة على هذه الأنواع المختلفة للمماثلة الصوتية ويجد لها تعليلات مختلفة كما رأينا.

---

(١) سورة الصافات : ٩٣.

(٢) المحتسب ٢/٢٢١.

المطلب الثَّالث

المماثلة بين الصَّوائت

أولاً: تعريف الصوائت (Vowels):

وتسمى في اصطلاح بعض العلماء ب (الحركات)، وهي الأصــوات التــي يحدث عند النطق بها أن يمر الهواء (الــنفس) حــراً طليقــاً، دون أن يعترضــه عارض، فهي (الأصوات المجهورة التي لا يعترض الهواء أثناء خروجها عضــو من أعضاء النطق في الحلق، أو الفم، أو الشفتين[1] لذلك فهي عند القدماء هوائية، تنطق من الجوف، في الهواء، ليس لها حيز تنسب إليه[2].

ويفرق لنا ابن جني بين الأصوات الصامتة والصائتة على أســاس مــرور الصوت، فيسمى الصامت حرفاً، ويقول عنه : اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً[3].

معنى ذلك أن الحرف عند ابن جني هو الصوت الصامت الذي يحدث بسبب اعتراض في مجرى الهواء كما رأينا في التعريف.

أما الصائت فيقول عنه : فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا ينقطع الصــوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتداً حتى ينفذ ... والحروف التي اتســعت مخارجها ثلاثة ألف ثم الياء، ثم الواو[4].

فنجده بهذا النص يحدد لنا أنواع الصوائت، وهي في اللغــة العربيــة عنــد المحدثين نوعان :

١/ صوائت أو حركات قصيرة short vowels وهــي: الضــمة والفتحــة والكسرة.

---

(١) أصوات اللغة – محمود عكاشة – ص : ٥٧.

(٢) العين – للجليل بن أحمد الفراهيدي – تحقيق : مهدي المخزومي والسامرائي ٥٧/١.

(٣) سر الصناعة لابن جني ٦/١.

(٤) المحتسب ١٢٥/١ – ١٢٧.

٢/ حركات طويلة: long vowels، وهي: والواو والياء.

والحركات القصيرة عند القدماء أبعاض الحركات الطويلة يقول ابن جني : أعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ... فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء،والضمة بعض الواو(١).

وهذا المفهوم عن الحركات لا يختلف عن مفهوم علماء الأصوات المحدثين، إذ إنهم يرون أن الصفة المميزة لنطق الحركات تقوم على كيفية مرور الهواء(٢).

وعلى هذا الأساس عرفوا الحركات بأنها: الصوت المجهور الذي يحدث في أثناء النطق به أن يمر الهواء حراً طليقاً دون أن يتفجر أو يحتك(٣).

ثانياً: مخرج الصوائت وأنواعها:

وصف ابن جني مخرج الحركات الطويلة فقال: إنك تجد الفم والحلق في الأحوال مختلف الأشكال، أما الألف، فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر. وأما الياء فنجد معها الأضراس سفلاً وعلواً قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، ونفاج الحنك عن ظهر اللسان مجرى الصوت متصعداً هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال، وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة، اختلف الصدى المنبعث من الصدر(٤).

فنجد ابن جني في هذا النص يبين أن سبب اختلاف الصوائت يرجع إلى اختلاف مخارجها، ويؤكد على دور الوضع أو الهيئة التي يكون عليها الحلق واللسان والشفتان في تشكيلها،وقد بذل ما في وسعه ليحدد مخرج كل حركة من حيث وضع اللسان داخل الفم (أمام – وسط – خلف)، ومن حيث درجة ارتفاع اللسان داخل تجويف الفم (ضيقه – نصف ضيقه – مفتوحة – نصف مفتوحة).

---

(١) سر الصناعة ١٧/١.

(٢) الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس ص: ٢٧.

(٣) علم الأصوات – كمال بشر – ص: ١٥١.

(٤) سر الصناعة ٨/١.

وهذا بالضبط ما وصل إليه علم اللغة الحديث في وصف مخارج هذه الأصوات فقد وضع المحدثون من علماء الأصوات مقاييس عامة مشهورة تقاس بها الأصوات الصائتة تسمى ب(المقاييس العامة لأصوات اللين) أو الحركات المعيارية(cardinal vowels) قام بوضعها عالم الأصوات الإنجليزي دانيال جونز، بالنظر إلى عضوين من أعضاء النطق هما : اللسان والشفتان فاللسان نظر إليه باعتبارين :

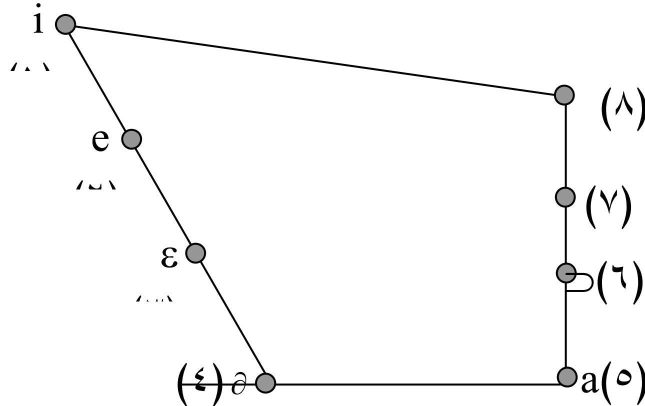
الأول: باعتبار وضعه مع الحنك الأعلى من حيث الارتفاع والانخفاض وبهذا الاعتبار وصف الحركات بأنها ضيقة، ومتسعة، ونصف ضيقة، ونصف متسعة.

الثاني: باعتبار الجزء الصاعد من اللسان، فوصف الحركات بأنها: أمامية، وخلفية .

وباعتبار الشفتين قسمها إلى مضمومة وغير مضمومة. وبهذه الاعتبارات توصل جونز إلى وضع ثماني حركات معيارية ترسم بطريقة الكتابة الصوتية الدولية كالآتي:

i- e - ε - ∂ - a- ⊃ - o - μ

وهي حركات لا تنسب إلى لغة معينة وإنما هي معايير عامة تقاس عليها حركات أي لغة[1] وهذه الحركات تمثل عادة بالشكل الهندسي الآتي:



(١) علم الأصوات – كمال بشر– ص ٢٢٥.

إلى جانب هذه الحركات الثماني الأساسية، اكتشف أن هناك حركات غامضة الصفة غير واضحة، من أهمها الحركة، رقم تسعة (∂). وبجانب هذه الحركات التسع الأساسية تقابلها تسع حركات أخرى بتغيير وضع الشفاة ولكن علماء الأصوات في دراستهم لهذه المعايير اقتصروا على هذه الأصوات التسعة الأساسية وهي : –

١/ الحركة المعيارية (١) = i

ومعها يرتفع مقدم اللسان تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد ممكن، ويقابلها في العربية الكسرة المرفقة، فإذا ارتفع اللسان أكثر من ذلك نتج عنه حفيف مسموع، وتكون لنا صوت آخر هو الياء، فهي أصوات أمامية ضيقة منفرجة الشفتين.

٢/ الحركة المعيارية رقم (٢) = e

ومعها ينخفض الجزء الأمامي من اللسان إلى قاع الفم، فهي حركة أمامية وهي حركات نصف ضيقة، ويقابلها في العربية الكسرة المفخمة، طويلة أو قصيرة.

٣/ الحركة المعيارية رقم (٣) = ε

حركة أمامية نصف متسعة ينخفض معها الجزء الأمامي من اللسان إلى قاع الفم وتقابلها في اللغة العربية الفتحة الممالة في نحو (مجريها ومرسيها).

٤/ الحركة المعيارية رقم (٤) = ∂

حركة أمامية متسعة، ينخفض معها اللسان إلى قاع الفم إلى أقصى درجة فتتسع المسافة بين اللسان والحنك الأعلى، وتقابلها في العربية الفتحة المرققة.

٥/ الحركة المعيارية رقم (٥) a =∂

ومعها يرتفع الجزء الخلفي من اللسان تجاه الحنك الأعلى ويكون معها اللسان منخفضاً في قاع الفم، فتتسع المسافة بينه وبين الحنك الأعلى، فهي حركات خلفية متسعة ويكون الشفتان معها في وضع محايد، وتقابلها في العربية الفتحة المفخمة.

٦/ الحركة المعيارية السادسة = ⊃

فهي حركة خلفية نصف متسعة، تتضم معها الشفتان ضماً خفيفـــاً، وتقابلهـــا الضمة المفخمة .

٧/ المعيارية رقم (٧) = O

هي حركة خلفية نصف ضيقة، يرتفع معها الجزء الخلفي من اللسان، تجـــاه الحنك اللين ويقابلها في العربية الضمة المفخمة.

٨/ المعيارية رقم (٨) = µ

يرتفع الجزء الخلفي من اللسان تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة ممكنـــة وهي تشبه في العربية الضمة المرققة(١).

وهذه الحركات طويلة وقصيرة تختلف من حيث الخفة والثقل، فيرى علماؤنا القدماء أن الفتحة أخفّ الحركات ، ثم الكسرة والضمة أثقلهـــا، يقـــول ســـيبويه : "ويقولون في فَخذ، فخْذ، وفي رُسُل : رُسْل، ولا يخففون الجَمَل لأنّ الفتحة أخـــفّ عليهم من الضمة والكسرة" (٢) والألف أخفّ الحركات الطويلة تليها الياء وأثقلهـــا الواو(٣). وعلى ضوء معيار الخفة والثقل بين الحركات ترى العرب فـــي نطقهـــم يتحولون من الأثقل إلى الأخفّ فيفرون من الياء والواو إلى الألـــف نحـــو قـــولهم رُضَا ونُهي(٤) .

وكذلك تكره العرب اجتماع حركتين ثقيلتين، فيميلون إلى التسكين طلباً للخفة فيقولون في الرُسُل والطُنُب، والعُنُق: الرّسْل، والطُنْب، والعُنُق. وكـــذلك كرهـــوا الكسرتين كقولهم إبْل في إبِل(٥).

---

(١) علم الأصوات – كمال بشر – ص : ٢٣٠.

(٢) الكتاب ١٦٧/٤.

(٣) السابق ١٧/٤.

(٤) السابق ١٨٧/٤.

(٥) الكتاب ١١٤/٤ – ١١٥.

فهذا الانتقال في النطق من الأثقل إلى الأخف يشكل ظاهرة فونولوجية يمكن تفسيرها ب(قانون الجهد الأقل) وقد عبر عنه القدماء بالمصطلحات الآتية: -

الخفَّة والتخفيف والاستحفاف[١] وقد حاولوا تعليل ذلك وبيان أسبابه منه ما نقله السيوطي عن الخليل : من أن أسباب ثقل الضمة أن المتكلم يتكبد جهداً كبيراً في نطقها، فالضمة تحتاج حركة الشفتين والفكين مثل الواو ويضيف ممر الهواء فيبذل المتكلم طاقة في الأداء[٢] .وهذا ما وصل إليه المحدثون ؛ فالفتحة أخف الحركات القصيرة؛ لأنها تنتج من ارتفاع أول اللسان إلى الحنك الأعلى، وذلك لا يحتاج جهداً عضلياً كبيراً ؛ أما الضمة فهي أثقل الحركات؛ لأن آخر اللسان يرتفع في المنطقة الخلفية تجاه الحنك الأعلى، وارتفاع مؤخرة اللسان يحتاج إلى جهد عضلي أكبر من الجهد المبذول في حالة رفع وسط اللسان أو أوله[٣].

إذن الثقل في هذه الأصوات هو الذي يفسر لنا حذفها أو قلبها أو نقل حركتها. . ومجاورة هذه الحركات مع حركات تشاكلها يجعلها أكثر ثقلاً في النطق ؛ فالضمة تستثقل على الواو، والكسرة تستثقل على الياء، فتنقل حركة الحرف إلى السابق قبله فيغلب أو يحذف، وهذا ما يفسر لنا حدوث المماثلة بين هذا النوع من الأصوات (الصائتة) إذا ما جاورت بعضها بعضاً.

ويظهر ذلك من خلال عدة مظاهر صوتية تناولها القدماء وأشاروا إليها في كتبهم بأسماء مختلفة، معظمها يعزوه العلماء إلى اختلاف اللهجات منها ما هو مقبول لديهم ومنها ما رفضوه وأشاروا إلى رفضه بأسماء مختلفة، كقولهم: لغة رديئة[٤] أو مرذولة أو قبيحة[٥] أو منكرة أو غلط[٦] .وكما ذكر أحد العلماء

---

(١) الكتاب ١٦٦/١، ٢١٠، ٢١١/٢، ٤٩٩/٣ – ٣٤٤ – ١١٤ – ١١٣، ٣٤١ – ٣٦١.

(٢) الأشباه والنظائر ١٨٠/١.

(٣) أصوات اللغة – محمود عكاشة ص: ٦٢ – ٦٣.

(٤) الكتاب ١٩٧/٤.

(٥) معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة – الأخفش الأوسط تحقيق : فائز فارس – ط٢ ١٩٨١م ، الكويت ٢٨/١.

(٦) المقتضب للمبرد ٢٦٩/١.

المحدثين فإن لهؤلاء العلماء النحاة أن يصنعوا هذه اللهجات بما شاءوا وهم يضعون أو يأخذون منها قواعدهم النحوية فإن هذا لن يغير من حقيقة الأمر شيئاً من أنها كانت لهجةً لبعض العرب قديماً ... وأن هؤلاء الناس مالوا إلى المماثلة بين الحركات في هذه المواقع، وهي عند المتكلمين بها غاية الحسن ومنتهي الفصاحة[1].

ثالثاً: مظاهر المماثلة بين الحركات:

التي تناولها القدماء في كتبهم وأشاروا إلى أنها ظواهر لهجية أو لغات.

١/ ظاهرة الوهم وهو عبارة عن كسر هاء الضمير مثل:

مِنهُم ← مِنهِم

مِنهُ ← مِنهِ .

وقد نسبها العلماء إلى بعض القبائل. وحكم عليها بعضهم بالرداءة[2].

٢/ ومن صور المماثلة بين الحركات ظاهرة (الوكم) وهي لهجة لبعض بني بكر بن وائل وهي: كسر كاف المخاطب للكسرة قبلها، فيقولون: بِكِم وعلِيكِم[3] ووصفها بعض العلماء بالرداءة وأنها قبيحة ومنكرة.

٣/ ومن أكثر مظاهر المماثلة بين الحركات دوراناً في الكلام العربي واعتمد عليها ابن جني في تخريجه للكثير من القراءات، وهو: (حذف الحركة للتخفيف بإسكانها) وأكثر ذلك في المضموم لثقل الضمة ويليه حذف الكسرة.

أما في المحتسب فقد خرج ابن جني الكثير من القراءات على هذا النوع من المماثلة بين الحركات.

---

(١) أثر القوانين الصوتية – د. فوزي الشايب ص: ٢٤٤.

(٢) الكتاب ١٩٧/٤.

(٣) السابق والصفحة.

١/ مما خرجه على ظاهرة الوهم، أي : كسر هاء الضمير، اختلاف القــراء في قراءة كلمة (عليهِم) من قوله تعالى:﴿ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ [١] فــذكر أن فيهــا ســبع قراءات هي:

عليهمُو : بضم الميم وإشباعها.

وعليهُمُ : بضم الميم دون إشباع .

وعليهُمْ : بسكون الميم وضم الهاء،

وعليهِمْي : بكسر الهاء وسكون الميم .

وعليهِمْ : بكسر الهاء وسكون الميم .

عليهِمو : بكسر الهاء واو بعد الميم.

عليهِمُ مكسورة الهاء مضمومة الميم من غير واو.

وزاد عليها الأخفش[٢] ثلاثة أوجه، فصار الجميع عشرة أوجه وهي:-

عليهُمِي : بضم الهاء وكسر الميم بعدها ياء.

وعليهُمِ : بضم الهاء وكسر الميم دون ياء.

عليهِمِ : بكسر الهاء والميم دون ياء[٣].

٢/ ومما خرجه على كسر حرف المضارعة.وهو ما عرف (بالتلتلة) قــراءة يحي ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ﴾[٤] (بِيلمون كما تِيلمون) .

قال أبو الفتح :العرف في نحو هذا أن من قال : أنت تئمن وتئلــف وأيلــف، فكسر حرف المضارعة في نحو هذا – إذا صار إلى الياء فتحها ألبتة ولا يقــول استثقالاً الكسرة في الياء[٥].

---

(١) سورة الفاتحة : ٧.

(٢) الأخفش الأوسط بغية الوعاة ٢٥٨ مات سنة ٢١٠هـ .

(٣) المحتسب ٤٣/١ – ٤٤ – ٤٥.

(٤) سورة النساء : ١٠٤.

(٥) المحتسب ١٩٨/١.

فهو هنا يذكر لنا ما يكسر من أحرف المضارعة وهو التاء، والهمزة، أما الياء فلا يكسر، ويذكر أن علة ذلك هو أن الكسرة ثقيلة في الياء.

ومن ذلك قراءة يحي وآخرين عن حمزة :﴿ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ (١)

قال : هذه لغة تميم، أن تكسر أول مضارع ما ثاني ماضيه مكسور، نحو علمت : تعلَم وأنا إعلم وهي تِعلم، ونحن نِركب، وثَقُّل الكسرة في الياء نحو يعلم ويركب استثقالاً للكسرة في الياء ... وكذلك (فتمِسكم النار) (٢).

٣/ ومما خرجه على حذف الحركة بإسكانها وهو كما ذكره من أكثر مظاهر المماثلة بين الحركات دوراناً، وقد خرَّج ابن جني عليه الكثير من القراءات في المحتسب.

والحركة المحذوفة قد تكون ضمة وهي الأكثر لثقل الضمة ويليه حذف الكسرة.أما الفتحة فيذكر ابن جني أنها لا تحذف كما تحذف الضمة وعلة ذلك خفة الفتحة(٣).

أولاً: حذف الضمة: وهو أما أن يكون من الاسم، أو من الفعل:

فمن الأسماء التي حذفت فيها الضمة تخفيفاً كلمة (حُرْم) في قراءة الحسن وآخرين : (وأنتم حُرْم) (٤) بإسكان الراء.

فيشير أبو الفتح إلى أن هذه اللغة تميمية، ويستشهد لذلك بأمثلة من كلام العرب فيقولون: في رُسُل: رُسْل، وفي كتُب : كتْب، وفي دجاج ك بُيُضٌ(٥):دجاج بُيْضٌ(٦).

---

(١) سورة هود : ١١٣.

(٢) المحتسب ٣٣٠/١.

(٣) المحتسب ٢٧٤/١.

(٤) سورة المائدة : ١.

(٥) جمع بيوض، وصف من باضت الدجاجة ونحوها اللسان مادة (بيض).

(٦) المحتسب ٢٠٥/١.

وهو في هذه القراءة يعلل لإسكان (حُرْم) بقوله : إن في الراء تكريراً، فكادت تكون الراء الساكنة لما فيها من التكرير، في حكم المتحركة: لزيادة الصوت بالتكرير نحواً من زيادته بالحركة[١].

ولعمري فإني لأجد في هذا التعليل الصوتي من ابن جني، إشارةً إلى معرفته الدقيقة بصفات الأصوات، معرفة لا تقل عن معامل الصوتيات الحديثة.

ومن الأسماء التي حذفت فيها الضمة تخفيفاً كلمة : (الحُبْك) مضمومة الحاء ساكنة الباء في قراءة الحسن : ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الْحُبُكِ﴾[٢]، بسكون الباء وضم الحاء.

قال أبو الفتح : فأما (الحُبْك) فمخفف من (الحُبُك) وهي لغة بني تميم ويستشهد لذلك ب : رُسْل وعُمْرٌ في رُسُل وعُمُرُ[٣].

وكذلك كلمة (جُدْرٌ) بضم الجيم وتسكين الدال في قراءة أبي رجاء وأبي حية : ﴿أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ﴾[٤] بسكون الدال في (جُدْر).

فقال: هذه مخففة من جُدُر جمع جدار[٥].

أما الأفعال التي حذفت فيها الضمة تخفيفاً، ما رواه عن لغة أهل تميم من قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾[٦] و﴿وَيَلْعَنُهُمُ﴾[٧] فيرى أبو الفتح أن حذف الضمة هنا علته توالى الحركات مع الضمات، فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركة الأعراب . ويستشهد على صحة ذلك بقراءة صحيحة وهي قراءة أبي عمرو : ﴿فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ﴾[٨].بسكون الهمزة في (بارئكم). وحكي عن أبي زيد :﴿ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ

---

(١) المحتسب ٢٠٥/١.

(٢) سورة الذاريات : ٧ وقراءة الجماعة (الحُبُك بضم الحاء والباء).

(٣) المحتسب ٢٨٧/٢.

(٤) سورة الحشر : ١٤.

(٥) المحتسب ٣١٦/٢.

(٦) سورة البقرة : ١٢٩.

(٧) سورة البقرة : ١٥٩.

(٨) سورة البقرة : ٥٤. النشر في القراءات العشر ٢١٢/٢.

﴿يَكْتُبُونَ﴾[1] بسكون اللام. ويستشهد على حذف الضمة من الأفعال للتخفيف بعدة أمثلة من الشعر العربي الفصيح[2].

ومما أسكن تخفيفاً من الأفعال قراءة الحسن وآخرين :﴿ وَنَذَرُهُمْ﴾ [3] بجزم الراء. فأسكن المرفوع هنا تخفيفاً ويستشهد لذلك أيضاً بقراءة صحيحة وهي قراءة أبي عمرو ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾[4] بإسكان الراء.

وهو يحس أن الحذف في (يشعركم) أفضل من (يذرْهم) لأن فيه خروجاً من كسر إلى ضم وفي يذْرهم خروج من فتح إلى ضم[5].

ومما أسكن فيه المرفوع استثقالاً للضمة، الفعل المضارع في قراءة الحسن: ﴿يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾[6] ساكنة الثاء".

قال: ينبغي أن يكون هذا مما يسكن استثقالاً للضمة ويستشهد لتسكين الفعل المضارع المرفوع بقول الشاعر:

سيروا بني العم فالأهواز مُنزِلكُم * ونَهْرُ تيري ولا تعرفكم العرب[7]

يريد (تعرفكم) [8].

ثانياً: حذف الكسرة: وكما حذفوا الضمة تخفيفاً، كذلك حذفوا الكسرة من ذلك حذف الكسرة من اللام الجارة في قراءة الحسن : ﴿وَلِتَصْغَى ... وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ﴾[9]. بجزم اللام في جميع ذلك.

---

(١) سورة الزخرف : ٨٠.

(٢) انظر المحتسب ١٠٩/١ – ١١٠ – ١١١.

(٣) سورة الأنعام : ١١٠.

(٤) سورة الأنعام : ١٠٩.

(٥) المحتسب ٢٢٧/١.

(٦) سورة طه : ١١٣.

(٧) البيت لجرير في هجاء بني عم الفرزدق .

(٨) المحتسب ١١٠/٢، المحتسب ٥٩/١.

(٩) سورة الأنعام من آية :١١٣.

قال أبوالفتح : هذه اللام هي الجارة، أي لام كي، وإسكانها قوي في القياس شاذ في الاستعمال ؛ وذلك لأن هذا الإسكان إنما كثر عنهم في لام الأمر تخفيفاً لثقل الكسرة فيها[1].

ويشير في هذا الموضع إلى أن الحركة أقوى من السكون، ويذكر أن العرب إذا حذفوا الحركة أنابوا بعض الحروف عنها، وعاقبوا بينهما،وذلك نحو الجواري والغواشي . فكأن لام كي على هذا إذا أسكنت معاقبة لأن، ثم يشير إلى أن الأمر موضع إيجاز واستغناء[2].

ومن الأسماء التي حذفت فيها الكسرة كلمة (الحِبْك) في قراءة الحسن: ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الْحُبُكِ﴾[3].

بكسر الحاء وسكون الباء.

قال: إنه مخففٌ من الحِبِكِ[4].

ثالثاً: حذف الفتحة:

أمَّا حذف الفتحة للتخفيف فقد ذكر ابن جني في تخريجه لقراءة ابن محيصن : ﴿أَمَنَةً نُّعَاساً﴾[5] بسكون الميم، أنه لا يجوز أن يكون مخففاً من (أمَنَة) كقراءة الجماعة من قبل أن المفتوح لا يسكن لخفة الفتحة، وما ورد من ذلك في الشعر فهو شاذٌ[6].

إلا أنه في قراءات أخرى أجاز حذف الفتحة تخفيفاً في موضع النصب تشبيهاً لها بالألف.

من ذلك قراءة جعفر بن محمد : ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾[7] فذهب إلى أنه أسكن الياء من أهاليكم تشبهاً لها بالألف[8].

---

(١) المحتسب ٢٢٨/١.

(٢) المحتسب ٢٢٨/١.

(٣) سورة الزاريات : ٧.

(٤) المحتسب ٢٨٧/٢.

(٥) سورة آل عمران : ١٥٤.

(٦) المحتسب ٢٧٤/١.

(٧) سورة المائدة : ٨٩.

(٨) المحتسب ٢١٨/١.

ومن ذلك ماروواه عن أبي عمرو قراءة ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾[١] بسكون الياء.

قال: الذي يعمل عليه في هذا أنه أراد (ثانَي – اثنين) إلا أنه أسكن الياء تشبيهاً لها بالألف، وذهب إلى أن ذلك قد كثر عنهم جداً ... ومنه قولهم في النثر: لا أكلمك حبري دهر[٢] وذكر أن شواهد تسكين هذه الياء في موضع النصب فاش في الشعر والنثر، وذكر لذلك عدة أمثلة لذلك ساغ حمل تلك القراءة عليه[٣].

ومما خرجه على سكون الياء في موضع النصب قراءة طلحة بن سليمان : (أن يحي الموتى) [٤] فينقل عن أبي العباس [المبرد]: أن إسكان هذه الياء في موضع النصب من أحسن الضرورات، ويذكر لذلك الشواهد من الشعر والنثر[٥].

وكما حذفوا الفتحة من الياء تشبيهاً لها بالألف تخفيفاً حذفت فتحة المضارع من الواو في موضع النصب إلا أنه يشير إلى أن حذفها من الواو قليل.

وأصل السكون في هذا إنما هو للألف لأنها لا تحرك أبداً ... ثم شبهت الياء بالألف لقربها، فجاء عنهم مجيئا كالمستمر ... ثم شبهت الواو في ذلك بالياء... وعلى ذلك ينبغي أن تحمل قراءة الحسن: "أو يعفوْ الذي" بالسكون إلا أنه مع ذكره ذلك يرى أن إثبات الفتحة في هذه الواو أعرب من حذفها[٦] فيشير إلى أن الفعل يعفو منصوب لكونه معطوفاً على يعفو في قوله إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده.

نلاحظ من خلال القراءات السابقة، أن حذف الحركة سواء كانت الضمة أو الكسرة أو الفتحة للتخفيف، إنما الغرض منه تيسير النطق اختياراً لقانون الجهد الأقل، والفتحة أخفها تليها الكسرة وأثقلها الضمة . لذلك نجد أن حذف الضمة

---

(١) سورة التوبة : ٤٠.

(٢) أي مدة الدهر والمثل.

(٣) المحتسب ٢٨٩/١ – ٢٩٠.

(٤) سورة القيامة ٥٠.

(٥) المحتسب ١٧/٢.

(٦) المحتسب ١٢٥/١ – ١٢٧.

لثقلها بإسكانها كثير وقد ورد في الأسماء والأفعال وعليه خرج ابن جنـــي الكثيـــر من القراءات .

وكذلك حذفوا الكسرة من الأسماء ومن لام الجر.

أما حذف الفتحة تخفيفاً فنجده لا يجيز إسكان المفتوح من قبل أن المفتوح لا يسكن ؛لخفة الفتحة إلا أننا نجده يجيز ذلك إذا كان الحرف المفتـــوح يـــاء أو واواً تشبيهاً لهما بالألف لأنها لا تحرك أبداً، ثم شبهت الياء بالألف لقربها ثـــم شـــبهت الواو في ذلك بالياء.

والحقيقة أن نطق الحركة مع الألف والواو والياء يتطلب من المتكلم بذل جهد أكبر في نطق الصائت القصير مع الصائت الطويل، واختياراً لقانون الجهد الأقـــل يلجأ المتكلم إلى حذف الصائت القصير.

هذا عن المماثلة بين الصوائت في اللغة العربية وحذف عامةً وما خرَّجه ابن جني على ذلك من قراءات المحتسب بصورة خاصة.

وكما تتأثر الصوامت وتؤثر في بعضها البعض، كما رأينـــا فـــي المطلـــب السابق.

وكما تتأثر الصوائت وتؤثر في بعضها البعض فنجد الصوامت والصـــوائت يؤثران ويتأثران في بعضهما البعض، وهذا ما سيأتي الحديث عنه فـــي المطلـــب القادم.

المطلب الرابع

المماثلة بين الصوامت والصوائت

وسيأتي الحديث عن ذلك من جانبين:

الجانب الأول : أثر الصوائت في الصوامت .

الجانب الثاني : أثر الصوامت في الصوائت .

أولاً: أثر الصوائت في الصوامت :

ويقصد بالمماثلة بين الصوائت والصوامت هنا، هو معرفة تأثير الصـوائت في الصوامت عن طريق تغيير مخارجها، أو التعديل في صفاتها أو الاثنين معـاً: فالصامت قد يتقدم مخرجه أو يتأخر، تبعاً لنوع الحركة المجاورة له، فالسين فـي (سِن) أكثر أمامية منها في (سَل) وفيهما معاً أكثر أمامية من السين في (سُـم) [(١)] فنجد أنَّ صوت السين الصامت قد تغير مخرجه تبعاً للحركة التي معه.

ومن أوضح مظاهر تأثير الحركات في الصوائت ظاهرتان صوتيتان هما:_

١- ظاهرة التحنيك أو التغوير: Palatalisation وهو ما يعرف عند القدماء بظاهرتي الكشكشة والكسكسة .

٢- ظاهرتا الترقيق والتفخيم في بعض الصوامت بحسب الحركـات التـي تكتنفها .

أما الظاهرة الأولى وهي ظاهرة: التحنيك أو (التغوير) فلأن الباحثة لم تجـد لها نماذج في قراءات المحتسب، فسأكتفي في هذا الموضع بتعريفها فقط إذ إنهـا ظاهرة صوتية عامة تشترك فيها معظم اللغات الحية، وهي موجودة فـي اللغـات السامية عامة وتتضح آثارها في اللهجات العربية القديمة فيمـا يعـرف بظـاهرة الكشكشة والكسكسة، التي نسبها سيبويه إلى ناس كثير من تميم وناس من أسد[(٢)].

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة – أد. فوزي الشايب – ص ٢٤٥.

(٢) الكتاب سيبويه ٢١٤/١ – ٢١٦.

وهي كما وصفها القدماء : إبدال كاف المؤنث المكسورة شيناً في الكشكشة وسيناً في الكسكسة أو إضافتها إليها عند الوقف، بغرض بيان الحركة. ويعلل سيبويه لهذه الظاهرة بأنهم جعلوا مكانها، أي : الكاف أقرب ما يشبهها من الحروف إليها، لأنها مهموسة أي الشين كما أن الكاف مهموسة[١].

فيفهم من كلام سيبويه هذا أنَّ الشين استبدلت بالكاف . ويذهب بعضهم إلى أنَ الشين قد زيدت على الكاف[٢] وقد تحدث ابن جني عنها في أكثر من موضع، ونسبها إلى ربيعة في الوقف[٣] ونسب الكسكسة إلى هوازن، وذكر في موضع آخر أن من العرب من يجري الوصل مجرى الوقف[٤].

والذي عليه علم اللغة الحديث أن هذه ما هي إلا ظاهرة صوتية قوامها تحنبك الصوت الطبقي المهموس (الكاف) تحت تأثير الكسرة اللاحقة له . فيتحول إلى صوت عاري مزدوج، هو النظير المهموس للجيم العربية الفصيحة وهو تش (tŠ) في الكشكشة وتس (ts) في الكسكسة .

وعلة ذلك أن الكسرة تؤثر في الصوت الطبقي فتجذبه إلى الأمام قليلاً، فينقلب الصوت الطبقي إلى نظيره من أصوات وسط الحنك[٥].

ونلاحظ الآن انتشار هذه الظاهرة في اللهجات العربية الحديثة في الأرياف الفلسطينية والأردنية والسورية والخليج العربي فيقولون في:

سكر ← ستشر .

كبريت ← تشبريت[٦].

---

(١) الكتاب – سيبويه ٢١٤/١

(٢) السابق والصفحة.

(٣) الخصائص ١١/٢.

(٤) سر الصناعة ٢١٦/١.

(٥) انظر: في اللهجات العربية – إبراهيم أنيس – ص : ١٠٧ – ١٠٩.

(٦) فصول في فقه العربية – رمضان عبدالتواب ص ١٤٦.

والظاهرة الثانية :الناتجة من تأثير الحركات في الصوامت هي :

ظاهرة التفخيم والترقيق :

والتفخيم velarisation لغة: من فَخُم بالضم فخامة أي: صخُم، والتفخيم : التعظيم، وفخَّم الكلام عظَّمه والتفخيم في الحروف: ضد الإمالة[١].

واصطلاحاً معناه:

ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى قليلاً في اتجاه الطبق اللين وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي[٢].

فهو أثر سمعي ينتج من ارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الحنك، ورجوع اللسان إلى الخلف[٣].

ويقابل التفخيم في اللغة العربية الترقيق وتنقسم الأصوات الصامتة العربية من حيث التفخيم والترقيق إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

١/ أصوات مفخمة بطبيعتها تفخيماً كلياً، في أي سياق تقع فيه، فلا ترفق. وهي أصوات الإطباق (ص، ض، ط، ظ) وقد سبق ذكرها[٤].

٢/ أصوات ذات تفخيم جزئي، أي: تفخم في مواقع، وترقق في مواقع أخرى، أو يمكننا أن نقول: إن تفخيمها مكتسب بشروط، تكتسبه من السياق الذي تقع فيه. وهي أصوات (ق، غ، خ) وينسحب معها اللسان إلى الخلف، وترتفع مؤخرته تجاه أقصى الحنك. وقد سميت هذه الظاهرة بشبه التفخيم[٥].

---

(١) اللسان مادة (فخم) – ط بيروت.

(٢) أصوات اللغة – محمود عكاشة – ص : ٧٥.

(٣) علم الأصوات – كمال بشر – ص : ٣٩٤.

(٤) ص : من هذا الفصل

(٥) أصوات اللغة – محمود عكاشة ص : ٧٥ – ٧٦.

وقد نص علماء العربية على أنَّ هذه الأصوات الثلاثة يجب تفخيمها إذا ورد بعدها فتح أو ضم، نحو: قَتل – قَاتل – خَدع – خَادع، غَلب وغَالب . وترقق إذا اتبعت بكسر نحو يقِي وغِلَّ ونَخيل[١]

وهذه الأصوات الثلاثة مضمومة إلى أصوات الأطباق(ص، ض، ط، ظ) تسمى قديماً (حروف الاستعلاء)[٢] وفي مصطلح الاستعلاء إشارة إلى حال وضع اللسان مع هذه الأصوات إذ أن كل صوت مطبق مستعل، وليس كل مستعلٍ مطبق ومن ثم فقد يوصف الصوت المطبق بالصفتين، فيقال الصاد: (صوت مطبق مستعلٍ)[٣]. وهذه الأصوات السبعة تتفق في حدوث الأثر السمعي وهو : التفخيم، وتختلف من حيث واقعة والآثار النطقية الناتجة عن تجاوزه؛ (فحروف الأطباق مفخمة من أصل وضعها؛ بحيث إذا رققت انعدمت، وبقية حروف الاستعلاء مفخمة في مواقع معينة، وإذا رققت لا تنعدم ولكن يكون هناك خطأ في نطقها[٤].

٣/ القسم الثالث من الأصوات الصامتة العربية هي الأصوات المرققة في الأصل، ولكن قد يصيبها التفخيم من السياق فالباء في طاب غير الباء في تاب، حيث أصابها شيء من التفخيم لوجود الطاء قبلها، في حين أن الباء الثانية في تاب محتفظة بترقيقها على الأصل، فالتفخيم في طاب نتيجة التأثير والتأثر بين الأصوات المتجاورة: يقول ابن جني: "فإذا جاور الشيءُ الشئَ دخل في كثير من أحكامه لأجل المجاورة"[٥]

وفصل القول في ذلك بقوله: "إذا كان بعد السين غين أو فاء أو قاف أو طاء جاز قلبها صاداً . كما في قولهم : يساقون : يصاقون سقر : وصقر، وسخر : صخر، واسبغ : وأصبغ ، وسراط وصراط"[٦].

---

(١) علم الأصوات – كمال بشر – ص : ٤٠٢.

(٢) النشر ٢٠٢/١ – ٢٠٣.

(٣) السابق ص ٢١٤.

(٤) علم الأصوات : كمال بشر – ص : ٤٠٢.

(٥) المنصف لابن جني ٢/٢.

(٦) سر الصناعة ٢١٢/١.

ويستثنى من هذا الحكم العام صوتان، هما الراء واللام فلهما حالات خاصة من الترقيق والتفخيم فالراء: ترقق إذا وردت مكسورة مثل : رِجال – رِقَاب.

و إذا وردت ساكنة بعد كسر بشرط أن تكون الكسرة أصلية وألا يقع بعد الراء صوت استعلاء مثل : فِرْعَون – قِرْيَة – مَرِيَّة.

فإذا كانت الكسرة عارضة وجب تفخيمُ الراءِ كما في (اركعوا) وكذلك تفخم إذا وقع بعدها صوت من أصوات الاستعلاء السبعة السابقة.

فالراء إذن مفخمة إذا جاءت مفتوحة أو مضمومة أو سبقت بفتح أو ضم أو جاورها حرف استعلاء، سواء أكانت مكسورة أو مفتوحة أو مضمومة(١).

أما اللاَّم فالأصل فيها التَّرقيق، إلا أنَّ لها حالات خاصة من التفخيم، في لفظ الجلالة (الله) فهي تفخم بعد فتح أو ضم، وترقق بعد كسر، وكذلك تفخم اللام جوازاً إذا وقعت بعد حرف من حروف الإطباق، مفتوح، أو ساكن، نحو: الصلاة ويَصْلَي(٢).

ونخلص مما مضى من حديث عن التفخيم والترقيق أن الحركات لا توصف بتفخيم أو ترقيق بذاتها، وإنما يعود تفخيمها وترقيقها إلى الصوامت التي تكتنفها في السياق، والصوامت أيضاً من حيث التفخيم والترقيق لا تأتي منعزلة عن سياقها باستثناء أصوات الأطباق التي هي مفخمة بطبيعتها.

ومن الأمثلة التي ساقها اللغويون لحروف التفخيم:

الصاد والسين:

فقد روي أن بعض القبائل كانوا ينطقون السين صاداً بالتفخيم، وبعض القبائل الحضرية كانت ترقق الصاد فتنطقها سيناً مثل:

السآق ← الصاق

السقر ← الصقر

(١) علم الأصوات – كمال بشر – ٤٠٧.

(٢) السابق ٤٠٨.

وورد في اللسان : الصماخ : الأذن، و السماخ لغة فيه[١].

والسراط والصراط وجاء في اللسان . السراط : السبيل الواضح، والصراط لغة فيه، والسين هي الأصل[٢] وسفق الباب وصفقه[٣].

الطاء والتاء:

فقد أبدلت الطاء من التاء في صيغة (فعلت) إذا كانت بعد حرف من حروف الأطباق، وهي لغة تميم يقولون في فحصت : فحصط[٤].

ومما خرجه ابن جني على هذا النوع من المماثلة قراءة الحسن :﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَفْقاً بِالْيَمِينِ﴾ [٥].

قال : قالو: صفقت الباب وصفقته، والصاد أعلى، وروي عن الحسن : صفقاً[٦].

ومن ذلك ما يروي عن النبي: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾[٧].وباصقات[٨].

ثانياً: أثر الصوامت في الصوائت المجاورة لها:

الذي توصل إليه علماء اللغة المحدثون أن الصوامت تؤثر تأثيراً كبيراً في الصوائت المجاورة لها، فتغير من مخارجها، أو صفاتها، إلى أصوات تناسب طبيعتها، وهو أمر عام في اللغات السامية بصورة عامة وفي اللغة العربية بصورة خاصة[٩].

---

(١) اللسان مادة (صمخ).

(٢) اللسان مادة (سرط).

(٣) اللسان مادة (سفق).

(٤) المخصص – لابن سيدة ٢٧٠/١٣.

(٥) سورة الصافات : ٩٣.

(٦) المحتسب ٢٢١/٢.

(٧) سورة ق : ١٠.

(٨) المحتسب :٢٨٣/٢.

(٩) فقه اللغات السامية – بروكلمان – ص : ٥٣.

فمخرج الضمة في (مُدَّ) أكثر أمامية منه في (جُدَّ) وهي في (عُدَّ) أكثر خلفية منهما.

فنجد أن مخرج الحركة قد تأثر بمخرج الصامت الذي يتبعه.

والفتحة في (صَبر) مفخمة، وبين بين في (قَبر)، ومرققه في (سَبر)، فالتفخيم والترقيق في الفتحة هنا، مكتسب من الأصوات المجاورة لها، فهو ظاهرة تطريزية ناتجة عن السياق الصوتي(١).

وقد يمتد تأثير الصوامت على الحركات إلى أكثر من ذلك، فتتغير الحركة كلياً إلى حركة تناسب الصامت المجاور لها وذلك لأن كل صوت من الأصوات الصامتة تناسبه حركة معينة(٢).

وهذا النوع من التأثير الذي يحدث من الأصوات الصامتة على الصوائت التي تكتنفها، يفسر لنا ظاهرتين صوتيتين كبيرتين، وردتا في الكلام العربي الفصيح، واللهجات العربية القديمة وعليهما اختلفت القراءات القرآنية وهما:

١/ ظاهرة الإمالة والفتح.

٢/ ظاهرة فتح الحرف الحلقي.

أولاً: ظاهرة الإمالة:

١/تعريف الإمالة:

وهي لغة : من مادة (ميل) وهي العدول عن الشيء(٣).

ويقابلها الفتح وهو لغة: نقيض الإغلاق(٤).

وهما في اصطلاح علم اللغة الحديث: صوتان صائتان حددت مواقعهما من جهاز النطق الإنساني عندما تناولت المقاييس العامة لأصوات اللين يعنينا منا في

---

(١) أثر القوانين الصوتية – فوزي الشايب ص: ٢٥٨.

(٢) فالأصوات الأسنانية الصغيرة تناسبها الكسرة والأصوات الشفوية كالميم والباء تناسبها الضمة وكذلك الأصوات المفخمة المستعلية تناسبها الفتحة أثر القوانين الصوتية – فوزي الشايب ص : ٢٥٩ – ٢٦٠.

(٣) اللسان مادة (ميل).

(٤) اللسان مادة (فتح)

هذا الموضع الحركات التي تمثل الإمالة في صورها المختلفة وهي:

١/ الحركة المعيارية الثالثة = ε

وتمثل الفتحة الممالة في نحو: مجراها ومرساها وهي تمثل الإحالة الحقيقية.

٢/ الحركة المعيارية الثانية (e)

وتمثلها في العربية الكسرة المرفقة القصيرة والطويلة وهي تمثل لنا إمالة شديدة.

وعكس الإمالة الفتح، وهو عبارة عن فتح القاري لفيه، وهو فيما بعده ألف أظهر ويقال له التفخيم والنصب(١).

فاللسان مع الفتح – يكون مستوياً في قاع الفم كما هو الحال مع الحركات المتسعة(∂–a) الرابعة والخامسة، فإذا صعد نحو الحنك الأعلى، متجهاً نحو الحركات الضيقة: (i-μ) بدأ حينئذٍ الوضع المسمى بالإمالة . فالإمالة إذن : هي الوضع الذي يكون فيه اللسان بين الفتحة (المتسعة) والكسرة (الضيقة) .

والفرق بين صاحب الفتح والإمالة هو اختلاف في وضع اللسان ؛ إذ إنه في حال الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى(٢).

والإمالة عند ابن جني : (إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت(٣) ألا تراك قربت فتحة العين في عالم من كسرة اللام فيه بأن نحوت نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء(٤).

فالإمالة عنده في الأصل: نوع من الإنسجام الصوتي بين الحركات يؤدي إلى تغير في الألف، لأنَّ الألف لا يكون ما قبلها أبداً إلا مفتوحاً(٥).

---

(١) النشر – لابن الجزري ٢٩/٢.

(٢) في اللهجات العربية – إبراهيم أنيس ص: ٥٧.

(٣) سر الصناعة ٥٨/١.

(٤) الخصائص ١٤١/٢.

(٥) المحتسب ٢١٩/١.

أما أنواع الإمالة فهي نوعان:

الأول : أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبعدها ألف، كإمالة فتحة العين من عابد، لمكان الكسرة بعد الألف، والميل بالألف نحو الياء، فهي عند المحدثين صوت لين خالص يمثل المرحلة الثانية للصوت المركب الذي يسميه المحدثون DiphtLong وهي في حالة (i∂).

الثاني:

هو إمالة الألف نحو الواو، وهو ما أطلق عليه (التفخيم) في نحو ألف الصلاة والصلوَة، – الزكاة ← الزكوة.

فهي إمالة الفتحة نحو الضم في حالة (μ∂) وقد اعتنى القراء بالنوع الأول من الإحالة وهي الأكثر شيوعاً وانتشاراً بين القبائل العربية المشهورة[١].

وهناك نوعان آخران من الإمالة رواهما ابن جني هما:–

١/ الكسرة المشوبة بالضمة والتي سماها النحاة القدماء بالإشمام عند بناء الفعل الأجوف للمجهول مثل قبل وبيع.

٢/ الضمة المشوبة بالكسرة مثل (بُوع) [٢].

ثانياً: أسباب الإمالة:

أسباب الإمالة عند علمائنا القدماء عشرة أسباب ترجع إلى شيئين : كسرة أو ياء ومعنى ذلك أن سبب الإمالة هو شيء واحد : كسرة (طويلة أو قصيرة) وذلك لأن النطق بالكسرة أسهل على اللسان من الفتح كما يقول ابن الجزري :"أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع"[٣] وهذه السهولة التي أشار إليها ابن جزري عند الانحدار أكثر من الارتفاع هي مسألة عامة لا تقتصر على نطق الأصوات فقط لأن الانحدار من كل شيء (جبل أو

---

(١) في اللهجات العربية – إبراهيم أنيس – ص : ٥٨.

(٢) السابق والصفحة.

(٣) النشر ٣٢/٢ – ٣٥.

سلم) أسهل من الارتفاع فيه" فيتحقق لنا بذلك قانون الجهد الأقل لذلك نجد أن الإمالة تكون في الأحوال الآتية:

١/ إذا كانت هناك كسرة متقدمة يفصل بينها وبين الألف فاصل نحو إمالة كتاب وحساب.

٢/ إذا كانت هناك ياء متقدمة نحو أيامي والحياة.

٣/ إذا كانت هناك كسرة متأخرة نحو الناسِ – النارِ – عابِد.

٤/ إذا كانت هناك ياء متأخرة نحو مبايع.

٥/ إذا كانت هناك كسرة مقدرة في المحل المحال نحو خاف أصلها ← خَوِف.

٦/ إذا كانت هناك ياء مقدرة في المحل الممال نحو يخشى فاصل الألف هنا ياء.

٧/ إذا كانت هناك كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة نحو : طلب وزاد فالفاء من ذلك تكسر إذا اتصل بها الضمير المرفوع.

٨/ إمالة لأجل إمالة نحو: (رأيت عماداً) فأميلت الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى.

٩/ إمالة لأجل الشبه : (الحسنى) تشبيهاً لألفها بألف (الهدى).

١٠/ إمالة لأجل كثرة الاستعمال نحو(الناس).

فالذي نلاحظه من الأمثلة السابقة التي وردت في أسباب الإمالة أن الإمالة هي تأثير يحدث بين الأصوات الصامتة والصائتة نتيجة تجاورها في الكلام المتصل، وهي ناتجة من قانون الجهد الأقل؛ إذ إن النطق بالكسر أسهل في النطق من النطق بالفتح كما رأينا وبالتالي فإنه يوفر الكثير من الجهد المبذول في أثناء عملية النطق.

أما ابن جني في المحتسب فقد تحدث في أثناء تخريجه لبعض القراءات عن: موانع الإمالة وتحدث عن إمالة الألف، والإمالة والتفخيم في الحروف وتحدث كذلك عن حسن إمالة الأفعال دون الأسماء.

فذكر أن موانع الإمالة هي حروف الاستعلاء (ص+ ض+ ط+ ظ+ ع+ غ + خ) فهو في بعض المواضع من كتبه الأخرى بذكر أن حروف الاستعلاء هذه تمنع الإمالة[١].

إلا أنه عند تخريجه لقراءة (فاصطادوا) بإمالة الألف بعد الطاء وهي حرف استعلاء .فذكر أن الذي شجَّع على الإمالة هنا كون الألف منقلبة عن ياء الصيد وأضاف إلى ذلك أمر آخر وهو أن حروف الاستعلاء لا تمنع الإمالة في الفعل وإنما تمنعها في الاسم نحو : طالب وظالم.

أما في الفعل فلا،ألا تراهم كيف أمالوا طغى وقضى، وهناك حرفان مستعليان مفتوحان وسبب ذلك إيغال الأفعال في الاعتلال وأنها أقعد فيه من الأسماء[٢].

فهو هنا يذكر سببين للإمالة مع وجود حرف الاستعلاء وهما، الياء وكون الكلمة فعلاً وإلى ذلك أيضاً ذهب في تخريجه لقراءة أبي جعفر "مازكا"[٣] بالإمالة.

فذهب ابن جني إلى أنَ الأصل في زكا من الواو فأميلت ألفه من حيث كان فعلاً والأفعال أقعد في الاعتلال من الأسماء من حيث كانت كثيرة التصرف. ولو كان اسماً لم تتحسن إمالته حسنها في الفعل[٤].

ولكن هذا التعليل من ابن جني، كون الإمالة حسنة في الأفعال دون الأسماء، أمر يرفضه علم اللغة الحديث؛ وذلك أن الإمالة ظاهرة صوتية تناولت الأسماء والأفعال ولا يوجد مبرر لقبولها في الفعل لأنه فعل دون الاسم لأنه اسم، لأنَّ الأثر الصوتي الناتج من قولنا : طالب : علم لشخص، وقولنا : طالب في الأمر من طالب إذا وقفنا عليه[٥]

---

(١) سر الصناعة ٢١٨/١.

(٢) المحتسب ٢٠٥/١ – ٢٠٦.

(٣) سورة النور : ٢١.

(٤) المحتسب ١٠٥/٢.

(٥) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني – د. حسام سعيد الفيمي – ص ٢٠٧.

فإذا وقفنا عند حديث ابن جني السابق عن أسباب الإمالة والأسباب التي تمنعها فنجده لم يوفق في جعل الإمالة حسنة في الأفعال دون الأسماء، إلا أننا نجده قد وفق في ضبطه لموانع الإمالة مع حروف الاستعلاء، فهي تتناقض في خصائصها النطقية مع الكسرة إذ إن هذه الأصوات غاية في الاستعلاء والتفخيم، والكسرة غاية في الاستفال والترقيق، فأسباب الإمالة تقتضي خروج الفتحة عن حالها والميل بها نحو الكسر وحروف الاستعلاء هذه تقتضي بقاءها على أصلها كما ذكر الرضي في شرح الشافية[١].

ثانياً: من أثر الصوامت في الصوائت:

ظاهرة فتح الحرف الحلقي:

الحروف الحلقية عند القدماء تشمل الأصوات الحنجرية : الهمزة والهاء .

والحلقية : العين والجاء.

والطبقية :العين والخاء[٢].

أما التجارب الحديثة فتجعل الصوامت الحلقية هي الحنجرية : الهمزة والهاء والحلقية :العين والحاء ؛ أما الغين والخاء فهي أصوات أقصى حنكية[٣].

وقد سمى القدماء هذه الحروف جميعاً بالحروف الحلقية وهي تنحو بأجراس الحركات المجاورة لها نحو الفتحة ؛ لأن اللسان في نطق الحروف الحلقية يجذب إلى وراء مع بسط وتسطيح له، وهذا عين وصفه في نطق الفتحة.

والتفسير العلمي لهذه الظاهرة هو أنِّ تحريك الصوت الحلقي أخفّ من تسكينه إذ إنَّ كلَّ أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي، تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم، وليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم لهذا يناسبها أكثر الأصوات الصائتة اتساعاً وهو الفتحة[٤].

---

(١) شرح الشافية للرضي ١٤/٣.

(٢) والغين والخاء في علم اللغة الحديث من أقصى الحنك – علم الأصوات – كمال بشر ٢٧٨/١.

(٣) علم اللغة – محمود السعران ص ١٧١ – ١٩٥.

(٤) في اللهجات العربية في القراءات القرآنية – عبده الراجحي ص : ٣٥.

وقد اختلفت اللهجات العربية في الصوائت الحلقية بين إبقائها ساكنة وبين تحريكها بالفتحة.

وعلى أساس هذه الظاهرة فسروا مجئ فَعَلِ : يفِعل، وكذلك فسروا وجود بعض المزدوجات اللفظية في اللغة مثل : بَحْر، وبَحَر، ونهر : ونهْر.

بل إنَّ الصامت الحلقي يمتد أثره إلى الصامت الذي قبله فيحركه بالفتحة أيضاً.

ومما خرجه ابن جني على هذا النوع من المماثلة بين الصوامت والصوائت في المحتسب.

قراءة سهيل بن شعيب النهمي(١) : "جَهَرة"(٢) و"زَهَرَةَ "(٣) كل شيء في القرآن محركاً(٤) ومن ذلك قراءة طلحة: "الضَّأْنِ"(٥) بفتح الهمزة(٦).

وقراءة الحسن : "يَنَحِتُونَ "(٧) بفتح الحاء(٨) و"إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ"(٩) بفتح العين(١٠) وقراءة عيسى الثقفي :﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَناً عَلَى وَهَنٍ﴾ (١١) بفتح الهاء فيهما(١٢).

---

(١) سهل بن شعيب النهمي،كوفي عرض على عاصم وعلى أبي بكر بن عياش وروى عنه عبدالله بن حرملة – طبقات القراء – لابن الجزري ٣١٩/١.

(٢) سورة البقرة : ٥٥.

(٣) سورة طه : ١٣١.

(٤) المحتسب ٨٤/١.

(٥) سورة الأنعام : ١٤٣.

(٦) المحتسب ٢٣٤/١.

(٧) سورة الحجر : ٨٢.

(٨) المحتسب ٥/٢.

(٩) سورة الروم : ٥٦.

(١٠) المحتسب ١٦٦/٢.

(١١) سورة لقمان :١٤.

(١٢) المحتسب ١٦٧/٢.

وابن جني في تخريجه لهذه القراءات يأتي بأمثلة عديدة من كــلام العــرب ويذكر أن مذهب الكوفيين فيه أن يحرك الثاني لكونــه حرفــاً حلقيــاً، ومــذهب البصريين أن ذلك يحرك على أنه لغة فيه.

ويؤكد هنا مذهب البغداديين . والحق معهم وذلك أنَّ عامة عقيل تقول ذلــك ويروي عن الشجري أنه قال: أنا محَمُوم، بفتح الحاء، وسمع أحدهم يقول : تَغَــذو بفتح الغين، وليس في الكلام يفعَل.

وسمع جماعة منهم يقولون : اللَّحَم بفتح الحاء يريدون اللَّحْم(١).

وهذه المسألة تقودنا إلى قضية صوتية أخرى وهي قضية: المقطع الصــوتي وانتقال النبر من مقطع إلى آخر:

١ – اللَّحَم : # اَلْ/ل/حَ/مُ#

ص ح ص/ص ح/ ص ح/ ص ح

٢– اللَحْم : # أل/ لَحْ/مُ#

ص ح ص/ص ح ص/ ص ح

فتنتقل المقاطع الصوتية من أربعة مقاطع في قراءة (اللَّحَــم) إلــى : ثلاثــة مقاطع في قراءة (اللْحم) باختزال المقطع الثالث. ويتحول النبر من المقطع الثالــث إلى المقطع الثاني.

ومما جاء على فَعْل وفَعِل وثانية حرف حلقي : النَهْــر والنَهــرَ، والصَــخْر والصَّخَر، والنَعْل والنَعَل(٢).

واضح تماماً من كلام ابن جني في القراءات السابقة ومن الأمثلة التي ساقها لذلك أنَّ الفتح مع حروف الحلق قياس مطرد وهذا هو مذهب الكوفيين ومن ذهب مذهبهم كالبغداديين.

أما البصريون فذهبوا إلى أن ذلك لغة فيه، أي :أنه ليس قياساً مطرداً .

---

(١) المحتسب ٨٤/١.

(٢) المحتسب ٢٣٤/١.

وقد أكدت التجارب الحديثة أن هناك ارتباط وثيق بين النطق بحروف الحلق وبين الفتحة.

وكأنَّ ابن جني بحسِّه الصَّوتيُّ الدقيق قد أدرك هذه العلاقة فخالف في ذلك مذهب أصحابه البصريين وانحاز إلى رأي الكوفيين صراحة فيقول : "وما أرى القول بعد إلا معهم والحق إلا في أيديهم"[(١)].

ويؤكد موقفه هذا في موضع آخر بقوله : "وإني أرى فيه رأيهم، لا رأي أصحابنا"[(٢)].

نجد ابن جني قد فطن إلى أنَّ التحريك بالفتح مع هذه الأصوات فيه تحقيق لنوع من الانسجام بين الصامت والحركة بل إنه لا بد من الإتيان بالفتحة مع هذه الأصوات إذ يقول "حروف الحلق لا تحرك ساكناً ولا تسكن متحركاً بل لعمري أنه يراد منها الإتباع وتجانس الصوت، أما تسكين متحرك، أو تحريك ساكن، فلا يجب لها[(٣)].

بل ذهب ابن جني إلى أبعد من ذلك مع حروف الحلق فذهب إلى أن حروف الحلق هذه قد تؤثر في حركة الصامت الذي قبلها فيكون مفتوحاً لأجلها ويسببها وذلك في تخريجه لقراءة ابن السميفع "قَرَحٌ"[(٤)] بفتح القاف والراء، إذ ذهب أبو الفتح إلى أنَّ فتح الراء هنا لكون ما قبلها حرفاً حلقياً فيفتح ما قبلها كما تفتح نفسها فيما كان ساكناً من حروف الحلق[(٥)].

---

(١) المحتسب ١/٨٤.

(٢) المحتسب ٢/١٦٦.

(٣) المنصف – ٢/٣٠٧.

(٤) سورة آل عمران : ١٤٠.

(٥) المحتسب ١/١٦٧.

المبحث الثَّالث

ظاهرة المخالفة الصَّوتية

المطلب الأوَّل: تعريف المخالفة الصَّوتية .

المطلب الثَّاني : المخالفة بين الصَّوامت.

المطلب الثَّالث : المخالفة بين الصَّوائت .

المطلب الرَّابع : المخالفة بين الصوامت والصوائت .

المطلب الأول

تعريف المخالفة

المخالفة لغة:

هي المضاداة، وتَخَالفَ الأمران واختلفا، وكلُّ ما لم يتساوَ، فقد اختلف وتخالف(١).

وخَلْفٌ :نقيض قدام، وجلست خلف فلان: أي بعده(٢) ويقال : خالفته مخالفة وتخالف القوم واختلفوا : إذا ذهب كلُّ واحدٍ إلى خلافِ ما ذهب إليه الآخرً وهو ضد الاتفاق(٣).

المخالفة الصوتية في الاصطلاح الصوتي Dissimilation:

هي ضد المماثلة، وهي أن تشتمل الكلمة على صوتين متماثلين كلَّ المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر، لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين(٤). فهي إذن ضد الاتفاق الوارد في المعنى اللغوي، فقانون المخالفة يسير في عكس اتجاه قانون المماثلة،فإذا كان قانون المماثلة يحاول التقريب بين أصوات مختلفة، فإنَّ قانون المخالفة يعمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر.

وقد ذكرت في المبحث الأول من هذا الفصل أن المخالفة هي: أثر من آثار القوانين الصوتية المقيدة، التي تحكم التطورات الواقعة بين الأصوات نتيجة تجاورها في سياقات معينة؛ إذ إنها الأثر المباشر لقانون الاقتصاد في الجهد(٥).

---

(١) المخصص – لابن سيده – مادة خلف.

(٢) اللسان – مادة (خلف).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف : أحمد بن محمد بن على الصوفي – د.ط، دت المكتبة العلمية – بيروت – مادة (خلف).

(٤) الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس – ص: ١٦٩.

(٥) انظر ص : ٧٢.

إذن الهدف من المخالفة هو: تحقيق السهولة في النطق، وتوفير الجهد العضلي ؛ لأنَّ النطق بالصوت المشدد أصعب من النطق بصوتين متخالفين، فيتخلص المتكلم من أحد الصوتين المكررين بالمخالفة بينهما تخفيفاً[١].

وإلى ذلك يشير ابن جني في الخصائص بقوله"إن الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينه ولصيقه، ولذلك كانت الكتابة بالسواد في السواد خفيَّة، وكذلك سائر الألوان"[٢] وبنيه في موضع آخر إلى استثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما في نحو أمليت – وأصلها أمللت[٣].

وظاهرة المخالفة الصوتية هذه، هي ظاهرة عامة تشيع في معظم اللغات، وقد شاعت في كثير من اللغات السامية، وهي تطور تاريخي للأصوات، ويشير الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن أكثر الأمثلة التي حدثت فيها مخالفة، يتغير فيها أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت لين طويل – وهو الغالب، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين، لاسيما اللام والنون، ويعلل لذلك بقوله : إنَّ الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود يقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تسلتزم مجهوداً عضلياً كأصوات اللين وأشباهها[٤]. وهو يرى أن ذلك أقصى مراحل التيسير في الجهد العضلي، لذلك نجد أنَّ المخالفة لا تكاد تتم إلا حين يتجاور صوتان متماثلان من أصوات الإطباق أو الأصوات الرخوة ... وقد تكون في النادر من الأصوات الشديدة مثل : (أجَّاز) وروي فيها : أنجار[٥] ،وكذلك : أجَّاص روي أيضاً :

---

(١) أصوات اللغة – محمود عكاشة ص : ٩١.

(٢) الخصائص ٢/٢٢٧.

(٣) الخصائص ٢/٢٣١.

(٤) الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس – ص ١٧١.

(٥) ورد في اللسان الإجَّار : السطح، والإنجار بالنون لغة فيه والجمع أجاجير وأناجير وفي حديث الهجرة تلقى الناس رسول الله ﷺ في السوق وعلى الأجاجير والأناجير اللسان مادة(أجر).

أنجاص[١]. فالمخالفة تجري بين الحروف التي تحتاج إلى جهد عضلي . أمـــا إذا كان المثلان من الأصوات التي لا تحتاج إلى جهد عضلي في نطقهـــا، كتجـــاور اللامين أو النونيين فلا تحدث مخالفة إلا في النادر[٢].

والمخالفة في اللغة العربية تتم بين ثلاثة أنواع من الأصوات هي:-

- الصوامت.
- الصوائت.
- الصوائت والصوامت معاً.

(١) ورد في اللسان الإجَّاص والانجاص : نوع من الفاكهة معروف، وروي عن الجوهري أنه دخيل علـــى العربية لأن الجيم والصاد لا يجتمعان. اللسان مادة (أجص) .

(٢) الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس – ص ١٧٢.

المطلب الثَّاني

المخالفة بين الصَّوامت

تتمَّ المخالفة بين الصوامت بأن يتجاور صوتان صامتان، متماثلان، أو متشابهان، في أول الكلمة، أو في وسطها، أو في آخرها، فتلجأ اللغة إلى المخالفة بين الصوتين بإحدى طريقتين :

١/ المخالفة بحذف أحد الصوتين المتماثلين .

٢/ المخالفة بالزيادة، وذلك بإطالة حركة الصامت الأول؛ لأن في طول الحركة فاصلاً يخفف من ثقل تتابع المثلين في السياق.

أولاً : المخالفة بالحذف:

الحذف نوعان : حذف بتعويض،وحذف دون تعويض.

الحذف من حَذَفَ الشيء يَحْذِفُهَ حْذفاً أي: قطعه من طرفه، وحَذْفُ الشيء : إسقاطه(١).

العوض هو : البدل(٢).

والتعويض هنا يعنى إحلال صوت مكان صوت آخر مطلقاً.والحذف الذي نتناوله في هذا الموضع هو الحذف على مستوى الفونيمات.

والحذف من الكلمة قد يكون في بدايتها أو في وسطها أو آخرها.

والحذف قد يقع بين الأمثال أو بين المتقاربات .

فتتكون لنا بذلك ثمانية صور للمخالفة بالحذف تتمثل في:

١/ المخالفة بالحذف دون تعويض بين الأمثال، ويكون ذلك في: بداية الكلمة وفي وسطها وفي نهايتها فتتكون بذلك ثلاثة أنواع.

٢/ المخالفة بالحذف والتعويض ويكون التعويض

---

(١) اللسان مادة (حذف).

(٢) اللسان مادة (عوض).

١- تخفيف حركة المحذوف.

٢- مد حركة الصامت الأوَّل.

٣- مد الصامت التالي.

٤- التعويض بإحلال صامت آخر محل المحذوف.

هذه ثمانية صور للمخالفة بالحذف سأقوم بالتمثيل لكل واحدة مما سبق بأمثلة من اللغة العربية، ثم أتبع ذلك بالقراءات التي خرجها ابن جني على هذا النوع من المخالفة وقد وجدت أن بعض الأمثلة الواردة للمخالفة بالحذف تتمثل في صوت الهمزة، ورأيت العلماء في كتب اللهجات يعاملون هذا الصوت معاملة خاصة، فآثرت أن أتناوله في مبحث منفصل، يأتي بعد الحديث عن المخالفة فأخرجت من هذا المبحث الأمثلة والقراءات التي كانت المخالفة فيها نتيجة اجتماع همزتين.

أولاً: صور المخالفة بالحذف دون تعويض بين الأمثال: ويقع ذلك في بداية الكلمة أو في وسطها أو في آخرها.

١- المخالفة بالحذف دون تعويض: فمن صورها في بداية الكلمة : حذف التاء في صيغة تتفعل وتتفاعل وتتفعلل من ذلك حذف التاء في تلظىّ من قوله تعالى:﴿ ناراً تلظَّى﴾ [١].

فالأصل فيها (تتلظَّى) فحذفت التاء للمخالفة وأدغمت الظاء في الظاء فصارت ← تلظىَّ ومن ذلك : تصدَّى في قوله تعالى:﴿ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ [٢] فالأصل فيها : تتصدى، فحذفت التاء للمخالفة . وتلهى في قوله تعالى:﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [٣] وتميز من قوله تعالى :﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [٤] والأصل: تتميز.

---

(١) سورة الليل : ١٤.

(٢) سورة عبس : ٦.

(٣) سورة عبس : ١٠.

(٤) سورة الملك : ٨.

والأمثلة على مثل هذا الحذف كثيرة في القرآن وقد ذكر سيبويه أنهم زعموا أن أهل مكة لا يبينون التاءين[١].

ومما خرجه ابن جني على حذف التاء كراهة توالي المثالين قراءة السلميّ: "يَوَقَّدُ "[٢]

فيرى أبوالفتح أنَّ أصله يتوقد، فاجتمع حرفان زائدان في أوّل الفعل فهو يشبه ياء المضارعة هنا بتاء المضارعة فيكره اجتماع المثلين زائدين، فيحذف الثاني منهما طلباً للخفة[٣] .ويستشهد لذلك بقراءة من قرأ : ﴿ نُجّي الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] ، وهو يريد نُنْجِي المؤمنين ؛ فحذف النون الثانية لاجتماع المثلين[٥].

ومن ذلك ما روي عن أهل مكة ﴿وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ﴾[٦].قال أبوالفتح . أراد (وننزّل) : فحذف النون الثانية التي في فاء الفعل وشبَّهها بما حذف من أحد المثلين الزائدين نحو: (تفكرون وتطهرون، والأصل : تتفكرون وتتطهرون) [٧].

ومن صور المخالفة بالحذف دون تعويض في وسط الكلمة، وذلك إذا تتابع صامتان متماثلان في وسط الكلمة، فإن العربية قد تتخلص من أحدهما طلباً للخفة ومن أمثلة ذلك:

ظِلْتُ : والأصل فيها ظَلِلتُ.

استحيت: أصلها استحييت .

مِستُ : أصلها مسست[٨].

---

(١) الكتاب ٤/٤٤٠.

(٢) سورة النور : ٣٥.

(٣) المحتسب ٢/١١٠.

(٤) سورة يونس: ١٠٣ وهو هنا لا ينسب القراءة إلى قارئ .

(٥) المحتسب ٢/١١١.

(٦) سورة الفرقان : ٢٥.

(٧) المحتسب ٢/١٢٠ – ١٢١.

(٨) المحتسب ٢/٧٦.

ومن ذلك أيضاً اختزال المشدد نحو:

سَيْد : أصلها سيِّد بالتشديد.

وميْت : أصلها ميِّتَ.

وليْن : أصلها لَيَّن.

هيْن : أصلها : هيّن[1].

وهذا يقودنا إلى معرفة حقيقة الصوت المشدد، فإذا نظرنا إليه نظرة وصفية فسنجده كما وضحه د. رمضان عبدالتواب أنه صامت واحد طويل، وليس صوتين من جنس واحد، الأوّل ساكن والثاني متحرك[2] كما عرّفه نحاة العربية القدماء[3]. وهي نظرة معيارية إلى الوظيفة اللغوية التي يقوم بها الصوت المشدد.

وقد تنبه عالمنا ابن جني إلى هذه الفكرة وأشار إليها في قوله(الحرف لما كان مدغماً خفي، فنبا اللسان عنه وعن الآخر نبوة واحدة فجريا لذلك مجرى الحرف الواحد[4].

ونحن في هذا الموضع سننظر إلى الحرف المشدد كما نظر إليه علماؤنا نظرة معيارية بالنظر إلى الوظيفة التي يقوم بها وهي مقام الصامتين المتماثلين في حشو الكلام ونفسر اختزاله بأنه عملية مخالفة بين الأمثال في الحشو.

ومما خرجه ابن جني على هذا النوع من المخالفة بين المثلين في وسط الكلمة حذف التنوين من (سَابقٌ) فيمن قرأ ﴿وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [5] فإنه أراد بذلك: (سابقٌ النهار) فيذهب أحد علماء اللغة المحدثين إلى تفسير هذه القراءة على كونها مخالفة صوتية بين الأمثال المتتابعة في حشو السلسلة الكلامية لأن (سابقٌ)

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة / فوزي الشارب / ص ٣١٣.

(٢) فصول في فقه اللغة – رمضان عبدالتواب ، ص ٩٩.

(٣) عرَّف علماؤنا القدماء الصوت المرغم بأنه حرفان الأوّل منهما ساكن والثاني متحرك – العين – للخليل بن أحد الفراهيدي ٥٤/١.

(٤) الخصائص ٩٢/١.

(٥) سورة يس : ٤٠.

بالتنوين سينشأ عنها توالي النونات في الوصل Sābikinnahara فاتصلت نـــون التنوين بالنون المشددة بعدها في النهار، ولا يخفى ما في ذلك من ثقــل مخـــالف القارئ بين هذه الأمثال المتتابعة، بـــالتخلص مـــن التنـــوين فأصـــبحت القـــراءة Sābqkuinnahara طلباً للخفة[1].

ومما خرجه على اختزال المشدد قراءة الثقفي في" ﴿سَيْغاً﴾[2].

قال: ينبغي أن يكون (سَيْغ) هذا محذوفاً من سَيِّغ، كميْت ، وميِّت ، وهـــيْن، وهيِّن وكذلك قراءته (سَيغٌ شرابه) [3].

وقراءة أبي جعفر يزيد ﴿بَلْدَةً مَّيْتاً﴾[4] وقرئ (ميْت) وذلك أنه قد حذفت عينـــه فصار ميْت[5].

ومن صور المخالفة بالحذف بين الأمثال الحذف من آخر الكلمات وصـــوره عديدة في اللغة العربية منها:

* حذف نون الأفعال الخمسة ونون الإناث عند اتصال نون الوقاية أو نـــون التوكيد بالأفعال الخمسة، أو الأدوات الناسخة، وذلك فراراً من تتـــابع الأمثـــال[6]. من ذلك قولهم: لتضربانّ وأصلها :

لـــ + تضربانْ + نِ + نْ فتتابعت ثلاث نونات (نون التوكيد المشددة + نون الأفعال الخمسة) ، فحذفت نون الأفعال الخمسة للاقتصاد في الجهد وإلى ذلك ذهب سيبويه[7].

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة – د. فوزي الشايب ص ٣٠٨ – ٣٠٩.

(٢) سورة النحل : ٦٦ وقراءة الجماعة : سائغاً.

(٣) المحتسب .

(٤) سورة الزخرف : ١١.

(٥) المحتسب ٢/٢٥٣.

(٦) بحوث ومقالات في اللغة – رمضان عبدالتواب – ط١ ١٩٨٢م، مكتبـــة الخـــانجي، القـــاهرة، ومكتبـــة الرفاعي الرياض ص: ٣٣.

(٧) الكتاب ٣/٥١٩.

أما حذف نون الوقاية من الأفعال الناسخة فهو كثير حتى كاد يكـــون قياســـاً مطرداً[1].

* ومن صور المخالفة بين المثلين في آخر الكلمة اختزال المشدد باعتبار أن المشدد يشكل صوتين من حيث الوظيفة اللغوية كما رأينا فيحـــذف أحـــد المثلـــين تخفيفاً.

ومما خرجه ابن جني على هذا النوع من المخالفة قراءة أبـــي جعفـــر : ﴿إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ﴾[2] وقوله تعالى:﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [3] بتخفيف الياء في أماني.

فيرى أبو الفتح أنَّ الأصل في هذا، التثقيل ← أمـــانيٌّ ← جمـــع أمنيَّـــة ... ويرى أنَّ المحذوف من نحو هذا هو الياء الأولى التي هي نظيرة ياء المد مع عير الإدغام[4].

ومن ذلك قراءة الأعرج :﴿ لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ﴾ [5] حزم.

فيرى أبو الفتح أن الأصل ← تضارر، إلا أنه حذف إحدى الراءين تخفيفـــاً، وهو يرى أن المحذوفة هي الثانية لأنها أضعف وبتكريرها وقع الاستثقال[6] .

ومن ذلك قراءة : ﴿وَالدَّوَابُّ﴾[7] خفيفة الباء.

وهو يشير إلى أنّ حذف الباء للتخفيف قليل وضعيف قياساً وسماعاً، ولكنـــه يجد العذر في أنهم إذا كرهوا تضعيف الحرف، فقد يحذفون أحد المثلين، ويستشهد بأمثلة للحذف من وسط الكلمة[8].

---

(١) بحوث ومقالات في اللغة – رمضان عبدالتواب – ص : ٣٧ – ٣٨.

(٢) سورة البقرة : ٧٨.

(٣) سورة النساء : ١٢٣.

(٤) المحتسب ٩٤/١ – ٩٥.

(٥) سورة البقرة : ٢٣٣.

(٦) المحتسب ١٢٣/١.

(٧) سورة الحج : ١٨. قرأ ذلك الزهري

(٨)المحتسب ٧٦/٢ – ٢٠٠.

فيفهم من حديثه هنا أنَّ تخفيف الدوابْ للمخالفة بين المثلين في آخر الكلمة، جائز كما خففوا وسط الكلمة وأولها.

إذن حذف أحد المثلين للتخفيف دون تعويض كما رأينا، قد يقع في أول الكلمة، أو وسطها، أو آخرها، وهو سلوك عام لكل اللغات في العالم.

ثانياً: المخالفة بالحذف بين المتقاربات.

وهي أن يجتمع صوتان متقاربان في سياق صوتي واحد، والعربية تكره ذلك، كما تكره تتابع الأمثال، لأن عمل أعضاء النطق ضمن مخارج متقاربة جداً يجهدها ويثقل عليها. يقول الفارسي: (وقد كرهوا من اجتماع المتقاربة كما كرهوا من اجتماع الأمثال فيخففونها تارة بالإدغام، وتارة بالقلب، وتارة بالحذف) [(١)].

ومن صور المخالفة بالحذف بين المتقاربات:

١/ حذف التاء من استطاع ← اسطاع ← يسطيع قال تعالى:﴿ **فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ**﴾ [(٢)] فذكر الأخفش أنهم حذفوا التاء إذا جامعت الطاء لأنَّ مخرجهما واحد[(٣)].

٢/ حذف النون من (بني) في قولهم : بلعنبر وبلعجلان، بلحارث، في : بنى العنبر وبني العجلان، وبنى الحارث . ويفسر ابن جني ذلك بقوله : ثم يحذفون النون لأمرين:-

أحدهما : كثرة الاستعمال .

الآخر : مشابهة النون للام.

والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة أن في: (بني العنبر) تشكل مقطع طويل من آخر بني وأول العنبر (نيل niil) (ص ح ح ص)، وهذا مقطع مرفوض في الوصل فاختزلت الحركة الطويلة في هذا المقطع فتحول المقطع من طويل (نيل) إلى متوسط (نل)= (ص ح ص).

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي ١/١٥٥.

(٢) سورة الكهف : ٩٧.

(٣) معاني القرآن – لأبي الحسن سعيد الأخفش الأوسط ٢/٣٩٩.

أصلها niil (ص ح ح ص) فخالف بين المتقاربان بحذف النون← نــل nil (ص ح ص) لتصبح الصيغة (بلعنبر) .

ثالثاً: المخالفة بالحذف والتعويض

مما سبق من حديث عن المخالفة بين الأمثال والمتقاربات، اتضح لنا أن ذلك سنة من سنن العربية؛ لتقليل الثقل الناشئ عن تتابع الأمثال، وأنهم لا يعوضون إن كان المحذوف واضحاً كثير الاستعمال. يقــول الرضـــي :"لا يحـــذف إلا كثيــر الاستعمال، للتخفيف، وتكون الشهرة دالة على المحذوف"[(١)].

أما إذا أدَّى الحذف إلى اللبس، فإنهم يلجأون إلى التعويض عــن المحـــذوف ليدل عليه ولكون التعويض ب:

١/ تحقيق حركة المحذوف .

٢/ مد حركة الصامت السابق.

٣/ مد الصامت التالي.

٤/ إحلال صامت آخر مكان الصامت المحذوف.

والذي يعيننا هنا في هذا الموضع من الحديث عن المخالفة بين الصوامت هو الصورة الرابعة، وهي إحلال صامت مكان الصامت المحذوف، وذلك لأنّ الصور الثلاثة الأولى تتعلق بالهمزة وسيأتي الحديث عنها في المبحث القادم.

أمَّا الحذف والتعويض بصامت آخر وهي أن يلتقي المثلان متتابعان، فيخالف بينهما بصامت آخر، غالباً ما يكون من أشباه الصــوائت (semi vowels) [(٢)] أو أحد الأصوات المتوسطة أو المائعة القوية الإسماع[(٣)].

---

(١) شرح الكافية للرضي ١٤٧/١.

(٢) أشباه الصوائت هي أصوات صامتة من حيث الوظيفة الصوتية، ولكن طريقة نطقها تقربها من الأصوات الصائتة حيث يمر معها الهواء بشيء من الحرية لذلك أطلق عليها أنصاف الحركات (semi vowels)، فهي صوائت من حيث موضع النطق – وهي صوامت من حيث الوظيفة وكيفية النطــق ويمثلهــا فـــي العربية صوتان هما : الواو في (حوض) والياء في مثل (بيت) الأصوات اللغوية إبراهيم أنـــيس – ص ٤٠ وعلم الأصوات – كمال بشر – ص ٢٠٤.

(٣) هي عند القدماء الحروف التي بين الشديدة والرخوة مجموعة في كلمة (لم يروعنا) والذي يجمعها أنهــا متأرجحة في كيفية مرور الهواء، وهي عند المحدثين (اللام والنون والراء والميم وأنصاف الحركات) . علم الأصوات – كما بشر – ٢١٣.

فمن مظاهر التعويض : بالياء قولهم:

تطنيت ← وأصلها تطننت .

يتمطي ← وأصلها يتمطط.

قال تعالى:﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ (١) وقد نقل ابن جني عن أبي علي الفارسي. قول ابن الأعرابي: تلعيت من اللعاعة وأصلها : تلععت، فأبدلوا : من العين الآخرة ياء كما قالوا : تقصيت وتظنيت (٢) وتسربت أصلها : تسررت من السرِّ، ودسيت وأصلها : دسست، ومنه قوله تعالى:﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (٣).

* وأيضاً : يبدلون الياء ليخف الحرفان في الأدوات فقد ذكر اللغويون أنَّ أيما وإيما أصلها : أمَّا وإمَّا (٤).

* ويضاف إلى ما سبق من أمثلة ما جاء من الأفعال على وزن (فعلي) نحو: سلقي (٥)، وعنظي (٦)، وعنظي (٧).

فالأصل فيها : سلقق، وحنظظ، وعنظظ، وذكر صاحب اللسان أنهم قالوا: جعبيته فتجعبي يريدون فيه الياء كما قالوا سلقيته، سلق (٨).

ويدخل في هذا الباب أيضاً ما جاء من الأفعال على بناء (افعنلي) ومن الأسماء على بناء (فعنلي) نحو: حرنبي واحنبطي وأصلها : تحربب واحنبطط) ويؤكد ذلك وجود أقعنسس وأسحنكك وكلنددا) (٩)

---

(١) سورة القيامة : ٣٣.

(٢) سر الصناعة ٧٦٣/٢.

(٣) سورة الشمس : ١٠.

(٤) في (أمما) فقد روى النحويون أنه قد تبدل الميم الأولى ياء مع كسر الهمزة وفتحها، والفتح لغة قيس وتميم وأسد . الجني الداني في حروف المعاني – لابن أم قاسم المرادي تحقيق: د. فخر الدين قباوة، وأ. أحمد نديم فاضل ، ط١ ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ص ٥٢٧.

(٥) السلق: شديدة الصوت، وسلقي فلان بناء أي جعله مسلقياً ولم يجعله سكا – اللسان مادة (سكك) .

(٦) حنظي به أي: برد به واسمعه المكروه، اللسان مادة (حنظ) .

(٧) عنظي به هي لغة في حنظى، أي اسمعه المكروه اللسان مادة (غظ) .

(٨) اللسان مادة (جعبي).

(٩) أثر القوانين الصوتية : د. فوزي الشايب – ص ٣٥٤.

فخولف بين المثلين بحذف الثاني والتعويض عنه بالياء.

ومن مظاهر التعويض بالواو:

قولهم : الحيوان وأصلها ← حيبان، فخولف بين الياءين بحذف الثانية والتعويض عنها بالواو.

والقلب في هذه الحالة هو قلب من الأخفّ وهو الياء إلى الأثقل وهو الواو (وقد قلبوا الأخف إلى الأثقل ليخف اللفظ بزوال التضعيف)[1].

* أما التعويض بأحد الأصوات المتوسطة، فمن صور التعويض بالنون قولهم في:

لعلّ ← لعنَّ

ومنه قول الشاعر:

أَلَستُم عائِجينَ بِنا لَعَنّا * نَرى العَرَصاتِ أَو أَثَرَ الخِيامِ [2]

ويقال : لابن في ← لابل

وعلوان في ← عنوان[3].

ونحن في الدارجة نقول : فنجال في ← فنجان

أما في المحتسب فقد ذكر ابن جني أنهم يبدلون ليختلف الحرفان فيخفا . لقوله

يا لَيتَما أُمُّنا شالَت نَعامَتَها * يما إِلى جَنَّةٍ أَيما إِلى نارِ [4]

ويذكر في هذا الموضع عدة أمثلة من كلام العرب منها قولهم:

أجلوّاذ وهو المضاء والسرعة ← أجليواذ.

---

(١) المنصف لابن جني ١٥٧/٢.

(٢) البيت من قصيدة للفرزدق يمدح فيها هشام بن عبدالملك ويهجو جريراً، عرصات الديار: ساحاتها، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – لعبدالقادر بن عمر البغدادي – تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ط ٤ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، مطبعة المدني، ٢٢٢/٩.

(٣) سر الصناعة ٣٥/١.

(٤) البيت من بحر البسيط وهو للشاعر سَعْد بن قرط والشاهد فيه المخالفة في أمْمَا بإبدال أحد المثلين ياء ، خزانة الأدب ٨٦/١١.

وفي دوَّأن ← ديوان.

ويشير إلى أن ذلك واسع وكثير، وأنه قد سمع وشاع[1].

ومما خرجه على هذا النوع من المخالفة قراءة الحسن : ﴿لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾[2] الياء فأصلها : لا – إن لا فحذف همزة إن بقي ← (لئلا)

وحكى عن قطرب : (ليلاً) بكسر اللام وسكون الياء، فأصلها:

(لا – إن – لا) فحذفت همزة إن فبقى:

(لا – ن – لا) ← (لئلا) .

فأدغمت النون في اللام (للا) .

فاجتمعت ثلاث لامات، فتبدل الوسطى ياءً (ليلا) .

(لا – إن – لا) ← (لا ن لا)← (لنلا)← (للا) – (ليلا).

ثم يذكر لهذا النوع من المخالفة عدة أمثلة من كلام العرب فيقول:

كما أبدلوا راء قرّاط، ونون دنَّار، فقالوا : فيراط ودينار،وميم دمَّاس فقالوا : ديماس[3] وياء دبَّاج[4] فيمن قال : دماميس وديباج[5].

ومما خرجه على هذا النوع من المخالفة قراءة الحسن : ﴿أَيمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ [6] .

فالأصل في (أيما) هنا هو (أمما) فحذفت الميم الأولى، وعوض عنها بالياء[7].

فنلاحظ من الأمثلة السابقة أنَّ المخالفة بالحذف والتعويض بين الصوامت تكثر في الأصوات المشددة، باعتبار أنّ الصوت المشدد عبارة عن صامتين

---

(١) المحتسب ٤١/١.

(٢) سورة الحديد : ٢٩

(٣) الديماس والداموس وهو القبر، وقيل: هو سجن للحجاج بن يوسف اللسان مادة : (دمس).

(٤) الدباج والديباج ضرب من الثياب ويرى ابن جني أن أصل الباء وأبدلت الياء تحقيقاً اللسان (دبج)

(٥) المحتسب ٣١٤/٢

(٦) القصص : ٢٨

(٧) المحتسب ١٥٠/٢.

متتابعين من حيث الوظيفة اللغوية كما رأينا، وأن النطق بالصوت المشدد يحتاج إلى مجهود أكبر بسبب التوتر والاحتقان الناتجان عن نطقه لطول فترة انحباس الصوت وبقاء أعضاء النطق في مكان واحد، فيلجأ المتكلم إلى المخالفة بين الصوتين المتماثلين اقتصاداً في الجهد المبذول.

رابعاً: المخالفة بين الصوامت بالزيادة:

وذلك بإطالة حركة الصامت الأوّل ؛ ليكون في طول الحركة فاصل زمني يخفف من تتابع المثلين في السياق،فقد استخدمت العربية الحركات الطويلة حواجز تفصل بين الأمثال، وعلى ذلك يمكننا تفسير الكثير من الأبنية الصرفية مثل:

شملال وجِلباب وسنان، وعِنان، وصِنديد، ورِعديد، وسُحنون.

فنلاحظ أن الحركات الثلاث (الألف والواو والياء) قد فصلت بين الأمثال في الأوزان السابقة.

وعلى ذلك يمكننا تفسير إبقاء الحركة الطويلة عند النسبة إلى فعيل وفعيلة لاستثقالهم للتضعيف.

وغير ذلك الكثير من الأمثلة الصرفية التي احتفظت فيها العربية بالحركة الطويلة للفصل بين المتماثلين تخفيفاً.

وترى الباحثة أن تناولها في هذا الموضع يخرجنا من دائرة الدراسة الصوتية إلى الدراسة الصرفية، وهي دائرة يضيق المجال عن شرحها وتناولها بالتفصيل في هذا الموضع، إذ هو موضع حريّ بالدراسة والتمحيص، أرجو أن تكون أشارتي إليها هنا مفتاح لتناولها ودراستها.

المطلب الثالث

المخالفة بين الصوائت

إن المخالفة بين الأصوات، سواء أكانت صامتة، أو صائتة، أمر تلجأ إليه اللغة العربية لتؤمن تنوعاً موسيقياً ونوعاً من الخلاف، يقلل الجهد المبذول، أثناء عملية النطق.

وقد تناولت في المطلب السابق أساليب العربية في المخالفة بين الصوامت.

أما المخالفة بين الصوائت فلها عدة صور في العربية منها:

١/ المخالفة بين الفعل ومصدرة بتغيير الحركة في المصدر مثل:

أفعل ← إفعال والأصل ← أفعال[١] فكسر الهمزة في المصدر هنا مخالفة صوتية مع الحركة الطويلة بعدها.

٢/ فتح العين في كل مصدر من فِعِل وفُعِل، عند النسبة إليهما فتصبح في النسبة ← فَعَلِي نحو:

إبِل ← إبَلي

دُئل ← دُئَلِي.

والأصل في هذا أن يقال : إبلِي، دئلِي فتتابع هنا الأمثال : الكسرات والياء المشددة، فخولف بين الحركات طلباً للخفة، قال الرضي :"اعلم أن المنسوب إليه إذا كان على ثلاثة أحرف أوسطها مكسور. وجب فتحه في النسب مثل: نَمِرٌ ودُئِل وإبِل فتقول : نَمَرِي ودُئَلي وإبَلي"[٢].

٣/ ومن صور المخالفة بين الحركات حذف الحركة الطويلة بعد استبدالها فتحة طويلة عند النسبة إلى ما وزنه فعيلة نحو صحيفة، نقول فيها : صَحَفيٌّ وأصلها صحِيفيَ . فتتابعت الكسرات القصيرة والطويلة مع الياء المشددة فخولف بينهما كالآتي:

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – ص ٤٠٠.

(٢) شرح الكافية – للرضي ٢/ ٢٠.

فَعِيْلَةٌ ← فَعِيلِيٌّ ← فَعَالِيٌّ ← فَعَلِيٌّ.

وقد بقيت هذه الفتحة على حالها في بعض الأسماء فقالوا في النسبة إلى الحيرة وطئ : حاريٌّ وطائي[١].

٤/ وعلى أساس المخالفة بين الحركات يمكننا تفسير اختلاف فاء الكلمة في بعض الكلمات مثل:

مُصْحَفٌ ← في الأصل مَصْحَفٌ

مِشكاة ← أصلها مَشكاة

إبَراهيم ← في العبرية أصلها أبراهام

فتوالت ثلاث فتحات فخولف بينها بتحويل الفتحة الأولى والثانية إلى كسرة[٢].

٥/ وعلى أساس المخالفة بين الحركات نفسر وجود المزدوجات والمثلثات اللفظية حيث يرد اللفظ الواحد ببناءين أو ثلاثة نحو: فُواق (بضم الفاء) ورويت بفتحها وغِمار الناس وغَمارهم.

وخِمار: وخَمار وسَرار: وسِرار، وصَداق وصِداق، فالكسر في فِعال مخالفة بين الفتحة القصيرة على الفاء والفتحة الطويلة بعد العين.

أمَّا ابن جني في المحتسب فقد خرج عدداً من القراءات يمكننا تفسيرها على أساس المخالفة بين الحركات، منها ما أشار إليه على أنه مخالفة، ومنها ما ذهب في تخريجه إلى عدة تعليلات يفهم من خلالها، أو من خلال أمثلته التي ساقها للاستشهاد، أنها مخالفة صوتية بين الحركات.

ومن ذلك فتح همزة أَمِيٌّ في السنة وأصلها (أُميٌّ) بضم الهمزة في قراءة ابن رومي[٣] ﴿النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾[٤] فيرى أبوالفتح أنه يجوز أن يكون قد أراد (الأَميٌّ) بضم

(١) الكتاب ٣/٣٣٥.

(٢) فقه اللغات السامية – بروكلمان ص : ٤٩ – ٥٠.

(٣) هو عمر بن عبدالله، ابن رومي، ويقال: أبوعبدالله البصري، مقرئ، جليل، أخذ القراءة عن العباس بن الفضل وروى عنه محمد بن عبيد بن محيصن، طبقات القراء، ٢/٢١٨.

(٤) سورة الأعراف، ١٥٧.

الهمزة كقراءة الجماعة . ثم لحقه تغيير في النسب، كقولهم في الإضافة إلى أُميَّة: أمَوي ، وكقولهم في :

الدَّهر : دُهريٌّ.

الأمس : إمسي.

ويشير إلى أنه باب كبير وواسع(١).

فالذي حدث في أُمِيٌّ هو مخالفة بين الحركات ويتضح ذلك من الأمثلة التي ذكرها.

وفي تخريجه لقراءة الأعمش في كلمة:(عَشِرة) و(عَشَرة)(٢) بفتح الشين وكسرها.

فيشير إلى أن لغة الحجازين هي تحريك الثاني من نحو هذا، إذا كان مضموماً، أو مكسوراً، نحو رسُل وطُنُب وظرُف.

أمَّا بنو تميم فيسكنون الثاني من هذا ونحوه، نحو رُسْل وطُبْب وطُرْف ولكنهم في لفظ (عشرة) قد خالفت كل قبيلة معتاد لغتها وأخذت كل واحدة منهما لغة صاحبتها. فقال أهل الحجاز عَشْرة بالإسكان، وقال التميمون : عَشِرة بالكسرة(٣).

فالاختلاف بين الإسكان والضم هنا هو مخالفة بين الحركات فنجد ابن جني في تعليله هنا يذهب عدة مذاهب، ترى الباحثة أنه لو أشار إلى أنهم خرجوا عن مألوفهم في هذا الموضع للمخالفة الصوتية، تيسيراً للنطق، وتوفيراً للجهد، لكان يكفي.

والدليل على ذلك أنه استشهد في هذا الموضع الأول بمثال تتضح معه المخالفة بين الحركات، وهو حذفهم لياء حنيفة في النسب فقالوا :حنفي . ولكنه يعلل لذلك بقوله: إنهم لمَّا حذفوا هاء حنيفة للإضافة، فحذفوا معها الياء فقالوا :

---

(١) المحتسب ١/٢٦٠.

(٢) سورة الأعراف : ١٦٠.

(٣) المحتسب ١/٢٦٠ – ٢٦٢.

حنفي فنجد ابن جني بحسه وذوقه الصوتي الدقيق، يدرك العلاقة بين حذف الحركة في عشْرة، وحذف ياء حنيفة عند النسب، وإن لم يوفق في تعليله لذلك كما رأينا.

وعلى أساس المخالفة بين الحركات يمكن تفسير قراءة ابن مسعود :﴿الْكِبَرِ عِتِيّاً﴾ [١] بفتح العين . وقراءة :﴿صَلِيّاً﴾ [٢] بفتح الصاد .

فيذكر ابن جني أن ابن مجاهد قد أنكر ذلك، وأنه لا يعرف لهما في العربية أصلاً.

ويرى أبو الفتح أن أصلها مما جاء من المصادر على فعيل[٣] فالأصل في عَتيًّا وصليّا هو عُتًّيا وصُلُيًّا بضم الفاء . فحدثت مماثلة بين حركة الفاء والعين فصارت : عِتيًّا وصِلِيّا فتتابعت الكسرات فخولف بينها بفتح الفاء تخلصاً من تتابع الكسرات والياء المشددة بعدها[٤].

ومما يمكن تفسيره على أساس المخالفة بين الحركات قراءة السلمي﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[٥] بكسر الهمزة فهو في هذا الموضع لم يعلل لـ(إِيَّانَ) بالكسر، وتحدث عن اشتقاقها ووزنها الصرفي[٦] ولكنه في موضع آخر في تخريجه لقراءة السلمي أيضاً: ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[٧] يشير إلى أن الفتح والكسر لغتان[٨]. والتعليل الصوتي لذلك هو أنَّ كسر الهمزة في (إِيَّانَ) مخالفة صوتية مع الفتحة الطويلة بعدها.

(١) سورة مريم: ٨.

(٢) سورة مريم : ٧٠.

(٣) المحتسب ٣٩/٢.

(٤) أثل القوانين الصوتية في بناء الكلمة ص : ٣٩٢ – ٣٩٣.

(٥) سورة الأعراف : ١٨٧.

(٦) المحتسب ٢٦٨/١، ٩/٢.

(٧) سورة النحل : ٢١

(٨) المحتسب ٩/٢.

ومما يمكننا تفسيره على أساس المخالفة الصوتية تثليث لفظ(زَجاجة) وعليه يمكننا تفسير قراءة نصر بن عاصم﴿فِي زُجَاجَةٍ﴾[1] فقد نص ابن جني على أنَ الزُّجاجة فيها ثلاث لغات : زَجاجة بفتح الزاي وزُجاجة (بضمها) وزِجاجة بكسرها[2].

ويذكر لذلك عدة أمثلة من كلام العرب كنُعِامة وعُمِامة، بالضم والكسر مخالفة للفتحة الطويلة بعدها.

---

(١) سورة النور : ٣٥.

(٢) المحتسب ١٠٩/٢.

المبحث الرابع

ظاهرة الهمز

المطلب الأول : **تعريف الهمز والهمزة والنبر**

المطلب الثاني : **أحكام الهمزة.**

المطلب الأول

تعريف الهمز والنبر لغة واصطلاحاً

أولاً: الهمز لغة :

مثل الغمز، والضغط، ومنه: الهمز في الكلام، وهمزت الحرف فانهمز (١).

ثانياً : النبر لغة

النبر بالكلام : الهمز، ونبر الحرف : همزه

والنبر هو: ارتفاع الصوت(٢).

فالعلاقة واضحة بين الهمز والنبر في اللغة فالهمز : يعني :كيفية أداء الكلام، فإذا ضغط الناطق على صوت معين كان هذا الصوت مهموزاً.

إذن الهمزة ليست في الأصل علماً لهذا الصوت، وإنما هي وصف لكيفية نطقه، وهي لا تختص بصوت معين في الأصل، فأي صوت يضغط عليه الناطق كان هذا الصوت مهموزاً . ولكن غلبت هذه التسمية على الألف ؛ لأنها كانت أكثر الأصوات القديمة تعرضاً للضغط والهمز حين يتحرك فأطلقوا عليها تلك الصفة وسموها الهمزة فهي إذن لم تكن تختص بصوت معين في الأصل، ثم غلبت على هذا الصوت المعروف الذي كان يسمى ألفاً ونسميه الآن همزة القطع(٣).

الهمزة اصطلاحاً ومخرجها:

هي عند القدماء: "صوت شديد مجهور مخرجها أقصى الحلق"(٤).

وهي عند المحدثين: بعد البحث التجريبي : "صوت صامت حنجري وقفة انفجارية، لا هو بالمهموس، ولا هو بالمجهور"(٥).

---

(١) اللسان مادة (همز).

(٢) اللسان مادة (نبر).

(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د. عبدالصبور شاهين – د.ط – د.ت – مكتبة الخانجي القاهرة ص ١٧ – ٢٣.

(٤) سر الصناعة ٥٢/١ – ٥٩.

(٥) علم الأصوات – كمال بشر – ص ٢٨٨.

فهي صامت؛ لأن الهواء ينحبس معها انحباساً تاماً .

وحنجري : إذ إن مخرجها الحنجرة، بانطباق الوترين الصوتيين انطباقاً تاماً فلا يسمحان للهواء بالمرور من الحنجرة مدة انطباقهما، لذلك توصف بأنها وقفة، لانحباس الهواء معها . ثم ينفرج الوتران الصوتيان فيخرج الهواء فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً .

أما القول بأنها صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور فهو الرأي الراجح، إذ إن وضع الوترين الصوتيين حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود الجهر أو الهمس(١).

وهناك من الدارسين المحدثين من يرى أن الهمزة صوت مهموس؛ إذ إنَّ الوترين الصوتيين لا يتذبذبان معها؛ لأنهما يكونان على جانبي الحنجرة مسترخيين(٢).

ولعلهم في رأيهم هذا قد لاحظوا المرحلة الثانية من نطق الهمزة، وهي المرحلة التي تصاحب الانفجار فيكون الوتران في وضع الهمس وهم بذلك يكونون قد تجاوزوا المرحلة الأولى من نطق الهمزة،وهي مرحلة قطع النفس التي لأجلها.

سميت الهمزة، بهمزة القطع(٣):

أما آراء علماء العربية القدماء في وصف الهمزة فنجد فيها اضطراباً وخلطاً من جانبين:

الجانب الأول: يتعلق بمخرج الهمزة.

الجانب الثاني: يتعلق ببعض صفاتها.

---

(١) علم الأصوات كمال بشر ص ٢٨٨.

(٢) أصوات اللغة – محمود عكاشة ص ٥٢ – ٥٣ والأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس ص ٧٩.

(٣) علم الأصوات – كمال بشر ص ٢٨٩.

أما من حيث المخرج فقد وصفها بعضهم بأنها هوائية من الجوف، حيث جمعوها مع حروف المد[1] ووصفها معظمهم، ومنهم ابن جني بأنها: حلقية، ومخرجها من أقصى الحلق[2].

وهو في المحتسب يفرق بينها وبين ألف المد : ويرى أنها حرف صحيح حامل للحركة، وتشبيهها بالألف قول مّا غير أنه مخشوب لا صنعة فيه) [3] ويعلل لهم بعض المحدثين لذلك بأنهم ربما أطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل الحنجرة، خاصة وأنهم لم يذكروا الحنجرة مع أعضاء النطق[4]. ومع ذلك نجد لهم أقوالاً متناثرة في كتبهم تدل على إدراكهم بطبيعة نطقها يقول سيبويه"الهمزة نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجاً"[5].

أما الجانب الثاني وهو وصفهم للهمزة بأنها مجهورة ولعل السبب في ذلك أنهم كانوا ينطقونها متلوة بحركة، والحركة مجهورة فأثر جهر الحركة على نطق الهمزة والدليل على ذلك أنهم لم يذكروها مع حروف القلقلة وهي حروف باتفاقهم جميعاً- مجهورة[6].

من خلال عرضنا لصوت الهمزة من حيث المخرج والصفة، يتضح لنا أن عملية نطق الهمزة تحتاج إلى انحباس تام للهواء في الحنجرة، ثم عملية انفجار مفاجئ، وهما عمليتان تحتاجان إلى جهد عضلي كبير، لذلك نجد أن صوت الهمزة من أشق الأصوات . لذلك فهي من الأصوات التي دار حولها جدل كثير في كتب اللغات، واللهجات، وكتب القراءات، فأصبح الهمز خاصة من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقها (تميم وما جاورها).

---

(١) مقدمة معجم العين – الخليل بن أحمد – ٥٨/١ .

(٢) سر الصناعة ٤٥/١.

(٣) المحتسب ١٤٨/١.

(٤) علم الأصوات – كمال بشر ص ٢٩٢.

(٥) الكتاب سيبويه ١٦٧/٢.

(٦) حروف القلقلة مجموعة في كلمة (قطب جد).

أمّا تسهيل الهمز فكان خاصة حضرية امتازت به قبائل شمال الجزيرة من أهل الحجاز وهذيل ومكة[1].

ويتتبع الهمزة في كلام العرب، والقراءات القرآنية، ومن خلال تخريج ابن جني الصوتي لعدد من القراءات الشاذة في المحتسب، وجدت أن العرب قد سلكت عدة طرق لتخفيف الهمزة، والتخلص من الثقل الناتج عن نطقها، ووضعوا لها أحكاماً مختلفة سأقوم بتناولها مفصلة في المطلب القادم.

(١) مقدمة لسان العرب– لابن منظور ٢٢/١. مادة (همز) .

المطلب الثاني

أحكام الهمزة وطرق العرب في تخفيفها

ذكرت في المطلب السابق أنَّ الهمزة بطبيعة نطقها من أصعب الأصوات، التي تتطلب جهداً عضلياً سببه شدُّ الوترين الصوتيين وانطباقهما على بعضهما بإحكام، إلى جانب الاحتقان والتوتر الناشئين عن قطع النفس فترة من الزمن، إضافة إلى ضغط الرئتين على الهواء، ثم الانفتاح السريع للوترين الصوتيين، وقد لمح السلف من علمائنا هذه الخاصة التي تتميز بها الهمزة عند نطقها وأحسوا بذلك الجهد العضلي المبذول حين نطقها. فوصفوها بأنها "نبرة في الصدر تخرج باجتهاد"(١) وبسبب هذه الصعوبة في نطقها – مالت بعض اللهجات العربية القديمة إلى التخلص منها خاصة قريش والحجاز عامة كما رأينا .

والتخلص من الهمزة هو ظاهرة من ظواهر قانون الاقتصاد في الجهد، طلباً للخفة، وإيثاراً للسهولة في النطق(٢).

وقد سلكت العرب عدة طرق لتحقيق الهمزة يمكن حصرها في الآتي:

النقل – الإبدال – التسهيل – الحذف .

وقد ورد كل ذلك في القراءات الصحيحة والشاذة(٣).

أولاً: النقل:

وهو في الاصطلاح الصوتي في هذا الموضع من تحقيق الهمزة يعني:

"أن تأتي الهمزة متحركة بعد ساكن صحيح فإنها تحذف وتنقل حركتها إلى الساكن الصحيح قبلها سواءٌ أكانت حركتها فتحة أو كسرة أو ضمة(٤) نحو قوله

---

(١) الكتاب – سيبويه ٥٤٨/٣.

(٢) أثر القوانين الصوتية بناء الكلمة – د. فوزي الشايب ص: ٤٥٥.

(٣) المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية – د. محمد سالم الحسن – ط١ – ١٣٨٩هـ ١٩٧٨م المكتبة الأزهرية للتراث – ص ٨٥.

(٤) الكتاب ، سيبويه ٥٤٥/٣.

تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١] . فالذي يحدث هنا تخفيف للهمزة بحـذفها، وإلقـاء حركتها على الساكن قبلها، فيحذف مقطع صوتي مغلق من الكلمة كالآتي: "

قَ/دَ/ أفْ/ ل/حَ/ = ص ح/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح / ص ح

مكونة من خمسة مقاطع وبعد إسقاط الهمزة تصبح عنـدنا أربعـة مقـاطع بسقوط المقطع الثالث فتصير

قَ / دَفْ/ لَ/ حَ

ص ح / ص ح / ص ح / ص ح

وابن جني في المحتسب على هذا النوع من التخفيـف يخـرج عـدداً مـن القراءات الشاذة ويوضح القاعدة لحذف الهمزة تخفيفاً بقوله "يكون ذلـك إذا كـان الحرف الأول قبل الهمزة ساكناً صحيحاً، فإذا خففت الهمزة ألقيت حركتهـا علـى الساكن قبلها، فإذا كان قبل الهمزة حرف متحرك ؛ فلا يمكن إلقاء حركتها على ما قبلها وما ورد من اللغة في ذلك فهو شذوذ لا يقاس عليه"[٢].

ويذكر لهذا النوع من تخفيف الهمزة بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها عدة أمثلة من كلام العرب ويشير إلى أنها كثيرة وقوية[٣].

ووصف ابن جني حذف الهمزة بالكثرة في الاستعمال إلا أنه ضـعيف فـي القياس[٤]. وسماها بالحذف الجائز القياسي[٥].

---

(١) سورة المؤمنين : ١

(٢) المحتسب ٢٤١/١.

(٣) المحتسب ١٠١/١، ٢٠٩، ١٠/٢.

(٤) المحتسب ١٢٠/١.

(٥) المحتسب ٧٢/١، ٢٤١، ١٤٧/٢.

وذكر نوعاً آخر لهذا الحذف الجائز وهو حذف غير قياسي للتخفيف اعتباطاً وتعجرفاً، وخرَّج عليه عدداً من القراءات، إلا أنه أشار إلى ضعفها وأشار إلى أنه شاذٌّ ولا يقاس عليه.

فمما خرجه على الحذف القياسي:

*قراءة الحسن : "بَيْنَ الْمَرْ"[١] بفتح الميم وتخفيف الراء بلا همز[٢].

* قراءة بعضهم :﴿لَا اثْمَ عَلَيْهِ﴾ [٣] بحذف الهمزة من أثم[٤].

* قراءة أبي جعفر : ﴿جُزْءاً﴾[٥] بلا همز[٦].

* قراءته أيضاً : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾[٧] بحذف الهمزة أجل[٨].

* قراءة الحسن : ﴿سَوْءَاتِهِمَا﴾[٩]دون همز[١٠] .

*قراءة الزهري: ﴿جُزٌّ مَّقْسُوم﴾[١١]بحذف الهمزة من جزء[١٢].قراءته أيضاً: ﴿ دِفْءٌ﴾ [١٣] بحذف همزة دفءٌ[١٤]. وقراءته أيضاً: ﴿تَجْرُونَ﴾[١٥] بغير همز[١٦].

---

(١) سورة البقرة : ١٠٢.
(٢) المحتسب ١٠١/١.
(٣) سورة البقرة : ٢٠٣.
(٤) المحتسب ١٢٠/١.
(٥) سورة البقرة : ٢٦٠.
(٦) المحتسب ١٣٧/١.
(٧) سورة المائدة : ٣٢.
(٨) المحتسب ٢٠٩/١.
(٩) سورة الأعراف : ٢٠.
(١٠) المحتسب ٢٤٣/١.
(١١) سورة الحجر : ٤٤.
(١٢) المحتسب ٤/٢.
(١٣) سورة النحل : ٥.
(١٤) المحتسب ٧/٢.
(١٥) سورة النحل : ٥٣.
(١٦) المحتسب ١٠/٢.

* قراءة: ﴿لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾[1] فأصلها (لكن أنا) [2].

فالغرض من حذف الهمزة في هذه القراءات كما ذكر ابن جني هو التخفيف[3].

أمَّا القراءات التي خرجها ابن جني على حذف الهمزة اعتباطاً وتعجرفاً وذكر أنه ضعيف وشاذ ولا يقاس عليه ، ومن ذلك قراءة ﴿أَنِ ارْضِعِيهِ﴾ [4] بكسر النون ولا همز بعدها[5].

* قراءة ابن محيصن:﴿ جَاءتْهُ احْدَاهُمَا تَمْشِي﴾ [6] بإسقاط الهمزة[7].

* قراءة : ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلا اثْمَ عَلَيْهِ﴾[8].

وهو يرى أن هذا النوع من الحذف غير مقيس، ولا يقاس عليه والأصل في تخفيفها أن نجعل بين بين[9].

معنى هذا أن هناك نوعين لحذف الهمزة حذف قياسي للتخفيف، وحذف غير قياسي اعتباطاً وتعجرفاً، والأصل فيه أن نجعل الهمزة بين بين.

ثانياً: الإبدال:

وهو أن تقع الهمزة الساكنة بعد فتح أو ضم أو كسر، فتبدل الهمزة حرف مد من جنس حركة الحرف الذي قبلها[10] فإن كانت حركة الحرف الذي قبلها فتحة،

---

(١) سورة الكهف : ٣٨. والقراءة لأبي بن كعب، المحتسب ٢/٢٩.

(٢) السابق والصفحة .

(٣) السابق ١/٢٧٦.

(٤) سورة القصص : ٧. والقراءة لعمر بن عبدالواحد المحتسب ، ٢/١٤٧.

(٥) السابق والصفحة.

(٦) سورة القصص : ٢٥.

(٧) المحتسب ١/١٥٠.

(٨) سورة البقرة : ٢٠٣.

(٩) المحتسب ٢/١٢٠.

(١٠) الكتاب، سيبويه ٣/٥٤٢ – ٥٤٣.

تبدل الهمزة ألفاً، وإن كانت ضمة تبدل واواً ، وإن كانت كسرة تبدل ياء، والـذي يحدث هنا هو أحلال صوت صائت محل الهمزة مثل :

رأس ← راس

بئر ← بير.

يُؤمنون ← يُؤمنون.

والهمزة هنا إما أن تبدل ياءً أو ألفاً أو واواً.

أمَّا إبدال الهمزة ياء، والياء كما نعلم كسرة طويلة، والوجه الصوتي لذلك أن الهمزة كما رأينا في طريقة نطقها تتم بإغلاق الوترين الصوتيين إغلاقاً تاماً . ويكون اللسان في وضع مقارب لوضع الحركة، فإذا لم يتم قفل الوترين الصوتيين فسيكون الصوت الناتج حركة لا همزة لذلك تتحول الهمزة إلى حركة مناسبة للحركة التي قبلها(١).

ومما أبدلت فيه الهمزة ياء من قراءات المحتسب

* قراءة الحسن : (انبيهم)(٢) بلا همزة(٣).

* وقراءة : (بيامى النساء) (٤) بياءين(٥) .

* وقراءة ﴿بِعَذَابٍ بَيسٍ﴾(٦) بالياء(٧)

* وقراءة جعفر :﴿ إِنَّمَا النَّسِيُ﴾ (٨)مخففاً بغير همز(٩).

---

(١) القراءات القرآنية (بين العربية والأصوات اللغوية) منهج لساني معاصر – د. سمير شريف استيتيه د ط ٢٠٠٥م – عالم الكتب الحديث – ص : ٢٩.

(٢) سورة البقرة : ٣٣.

(٣) المحتسب ٦٦/١

(٤) سورة النساء: ١٢٧.

(٥) المحتسب ٢٠٠/١.

(٦) سورة الأعراف : ١٦٥. والقراءة رواها الضبي عن أبي عبدالله المدني.

(٧) المحتسب ٢٦٤/١.

(٨)سورة التوبة : ٣٧.

(٩)المحتسب ٢٨٧/١.

* وقراءة طلحة : ﴿وَرِياً﴾[١] خفيفة بلا همزة[٢].

* وقراءة أبي عبدالرحمن بن يزيد ﴿كَذَلِكَ نَجْزِيه﴾[٣] أصلها تجزئة[٤].

* وقراءة الزهري :﴿ الْخَاطِيُونَ﴾ [٥] بإثبات الياء ولا يهمز[٦].

أمَّا إبدال الهمزة ألفاً، فلم أجد له في قراءات المحتسب إلا قراءة الزهري : ﴿وَبَدَاَ خَلْقَ الْإِنسَانِ﴾[٧] بغير همز.

يرى ابن جني أن (بدا) بغير همز على البدل ولو أسندت الفعل إلى نفسك على البدل لقلت : بديت[٨] .

أما أبدال الهمزة واواً،فلم يخرج عليها إلا قراءة أنس بن مالك:﴿تسعة عشر﴾[٩] وطريقه أنه أراد : (تسعة أعشر) بالهمزة، فقلبت الهمزة واواً خالصة في اللفظ،لأنها مفتوحة وقبلها ضمة فجرت مجرى تخفيف جؤن:إذا قلت (جون)[١٠].

وقراءة الحجدري: ﴿شَطْوَهُ﴾[١١] بالواو.

فيقول : لن يخلو أن يكون لغة أو بدلاً من الهمزة[١٢].

هذا عن إبدال الهمزة حرف مدٍّ من جنس حركة الحرف الذي قبلها، هذا وقد ورد في بعض القراءات إبدالها هاء، والهاء كما وصفه ابن جني "حرف مهموس

---

(١) سورة مريم : ٧٤.

(٢) المحتسب ٤٤/٢

(٣) سورة الأنبياء : ٢٩

(٤) المحتسب ٦٢/٢

(٥) سورة الحاقة : ٣٧.

(٦) المحتسب ٣٢٩/٢.

(٧) سورة السجدة : ٧

(٨)المحتسب ٦٧/١

(٩) سورة المدثر : ٣٠.

(١٠) المحتسب ٣٤٩/٢- ٣٤٠.

(١١) سورة البقرة : ٩١.

(١٢)المحتسب ٢٧٧/١.

مهتوت ضعيف مخرجه أقصى الحلق[١] وهو عند المحدثين صوت رخو مهمــوس احتكاكي ومخرجها عند المحدثين هو الحنجرة[٢].

إذن فالهمزة والهاء مخرجهما واحد، إلا أنهما يختلفان فــي الصــفات، وقــد وردت في الكلام العربي ألفاظ وقع فيها ما ظاهره إبدال بينهما من ذلك:

أمواه ← أصلها أمواء.

آل ← أصلها أهل[٣].

وقد خرّج ابن جني قراءة من قرأ :﴿ هَاأَنتُمْ﴾ [٤] فأبدل همزة الاستفهام هــاء ويستشهد لذلك بقولهم : هرقت في أرقت، وهرحت الدابة في أرحتها، وهِن فعلــت في إن فعلت[٥].

ثالثاً: من أحكام العرب في تخفيف الهمزة :

التسهيل:

والتسهيل يكون عند التقاء همزتين سواء أكان ألتقاؤهما في كلمة واحــدة، أو في كلمتين فللعرب فيها وجهان:

أحدهما: أن تُحقق الهمزتان، كما في قراءة العامــة :﴿أأنــذرتهم﴾ [٦] وهــو الأصل كما ورد عن سيبويه[٧].

الثاني: أن تُحذف الهمزة الثانية، ويعوض عنها بمد حركة الهمــزة الأولــى، فإذا كانت الهمزة الأولى مفتوحة، فإنه يعوض عن الثانية بألف[٨] ومن أمثلة ذلــك في العربية:

---

(١) سر الصناعة ٥٢/١/ ٧٤.

(٢)الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس ص : ٧٧.

(٣) سر الصناعة ١١٣/١.

(٤) سورة آل عمران : ٦٦.

(٥)المحتسب ١٨١/١ – ١٨٢.

(٦) سورة يس : ١٠.

(٧)فقد قرأ الكوفيون بتحقيقها وسهلها ابن كثير وفصل بين الهمزتين بألف أبوعمرو وأبوجعفر النشر ٢٦٣/١.

(٨) القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية – د. سمير شريف استيتيه ص ٢٧، ٢٨.

١- بناء صيغة أفعل من الأسماء والأفعال مهموزة الفاء ففي الأسماء مثل : أأدم من الأدمة فتجتمع همزتان في بداية الكلمة، وهذا لا تجيزه العربية، فتبدل الثانية منهما أبداً، يقول سيبويه : "ليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا"(١) فتحذف الهمزةُ الثانية وتمد حركةُ الهمزة الأولى :

أأدم ← آدم.

٢- ومثلها تكسير فعل المهموز الفاء على أفعال مثل:

أثر ← أأثار ← آثار.

٣- أما في الأفعال فإذا بنينا المضارع على صيغة أفعل من الثلاثي مهموز الفاء مثل أخذ، سنحصل على أأخذ. فتحذف الهمزة الثانية ويعوض عنها بمد حركة الهمزة الأولى فتصبح آخذ.

وهذا النوع من التطور في صوت الهمزة من (؟) إلى(؟) هو ظاهرة سامية عامة موجودة في العبرية والآدمية أيضاً(٢) .

إذن التسهيل من الناحية الصوتية هو حذف الهمزة الثانية وإطالة حركة الأولى.

وعند علماء القراءات فإن التسهيل يعني أن تجعل الهمزة الثانية بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها(٣).

والتحليل الصوتي لذلك يتمثل في حذف الهمزة الثانية، لتسهيل عملية النطق لأن عملية النطق بهمزتين متتابعتين في الكلام المتصل شاقةٌ على جهاز النطق الإنساني، وذلك لصعوبة نطق الهمزة كما رأينا، أما إدخال الألف بينهما التي يذكرها علماؤنا فهي -كما رأينا- عبارةٌ عن إطالة حركة الهمزة الأولى.

وهذا الوجه من تسهيل الهمزة ورد عن العرب في استعمالات لغوية فصيحة فقد ورد أن أهل الحجاز يقولون : آنك ، آنت(٤).

---

(١) الكتاب – سيبويه ٣/ ٥٤٩.

(٢) فقه اللغات السامية – بروكلمان – ص ١٣٦.

(٣) الكتاب سيبويه ٥٥١/٣.

(٤) السابق والصفحة.

فتحولت الفتحة وهي حركة أمامية ضيقة إلى الألف، وهي حركة أمامية متسعة

أإ ← ص ح / ص ح

تتحول إلى :

آ ← ص ح ح

أمَّا ابن جني في المحتسب فقد خرَّج عدداً من القراءات على تسهيل الهمزة منها قراءة ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾(١). قُرئت (وآيدناه)

فذهب إلى أن أيدتك من الأيد، ونقل عن أبي على أن أصل آيدتك أأيدت، فانقلبت الهمزة الثانية ألفاً لاجتماع الهمزتين في كلمة واحدة، ويستشهد لذلك بآمن وآلف ومن الأسماء بآدم(٢).

* ومن ذلك قراء الحسن : ﴿بَيسٍ﴾ من قوله تعالى :﴿ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ (٣).

قال: وأمّا ﴿بَيسٍْ﴾ في وزن جَيْشٍ، ووجهه أنه أراد بَئسٍ، فخفف الهمزة فصارت بين بين، أي بين الهمزة والياء، فلما قاربت الياء ثقلت فيها الكسرة فاسكنها تخفيفاً فصارت في اللفظ ياء(٤).

* وقراءة الحسن :﴿ ثُمَّ سُولُوا الْفِتْنَةَ﴾ (٥) أصلها: سُئلوا، فسهلت الهمزة يجعلها بين وبين، وياء لأنها مكسورة فصارت سُيلوُا، فلما قاربت الياء وضعفت فيها الكسرة شابهت الياء الساكنة وقبلها ضمة فشابهت الواو(٦).

رابعاً: الحذف

وهو هنا يعنى إسقاط الهمزة دون تعويض، والغرض الصوتي لذلك هو التخفيف.

---

(١) سورة البقرة : ٨٧. والقراءة رواها ابن مجاهد عن أبي عمرو . تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري ص : ٢٠٨.

(٢) المحتسب ١/٩٥ – ٩٦.

(٣) سورة الأعراف : ١٦٥.

(٤) المحتسب ١/٦٦٤– ٦٦٦.

(٥) سورة الأحزاب : ١٤.

(٦) المحتسب ٢/١٧٨.

والعرب كما رأينا في ظاهرة المخالفة الصوتية تحـذف اقتصـاداً للجهـد، وتيسيراً للنطق ما هو دون الهمزة صعوبة، العربية تلتزم حذف إحدى الهمزتين إذا التقتا في مقطعين متواليين يقول سيبويه : (ليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا) [١]، وكما رأينا في المخالفة بين الصوامت فإنهم يستثقلون تكـرار المثلـين لثقلهما إذ إن الرجوع إلى المخرج بعد الانتقال عنه ثقيل على اللسان[٢].

وبهذا فقد حكم ابن جني في الخصائص على قراءة الكسائي "أئمة" بالشـذوذ لأنه جمع بين همزتين ، والهمزتان لا تلتقيان في كلمة واحدة .إلا أن تكونا عينين؛ نحو : سئّال وسئّار وجئّار ... أمّا التقاؤهما على التحقيق من كلمتـين فضـعيف عندنا وليس لحناً"[٣].

وإذا التقت همزتان وكانت الأولى فيهما همزة استفهام فابن جنـي يضـعف حذفها ويجعله أمر مختص بالضرورة الشعرية.

من ذلك قراءة من قرأ ﴿أَأنذَرْتَهُمْ﴾[٤] بهمزة واحدة من غير مد، فحذف همزة الاستفهام تخفيفاً لكراهة الهمزتين[٥].

* ومثلها قراءة ابن محيصن والزهري "﴿أَأَنـذَرْتَهُمْ﴾[٦] بهمـزة واحـدة... فحذف همزة الاستفهام تخفيفاً وهو يريدها ... ويستدل على ذلك ببقاء أم بعدها[٧].

* ومن ذلك قراءة يحي :﴿ أَذَا مِتْنَا﴾ [٨] بغير استفهام، فيذهب أبوالفتح إلـى أن ذلك محتمل أن يكون حذف همزة الاستفهام تخفيفاً[٩].

(١) الكتاب – سيبويه ٥٤٩/٤.

(٢) شرح الشافية للرضي ٢٣٨/٣.

(٣) الخصائص ١٤٣/٣.

(٤) سورة البقرة :٦.

(٥) المحتسب ٥٠/١.

(٦) سورة يس : ١٠.

(٧) المحتسب ٢٠٥/٢.

(٨) سورة ق : ٣.

(٩) المحتسب ٢٨٢/٢.

ومما خرجه على حذف الهمزة للمخالفة الصوتية قراءة الحسن :﴿ لِيَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [١] بلا همز. فحكي عن قطرب بكسر اللام وأنه أراد حذف الهمزة فبقي بعد ذلك (لِيْلا) فبقى بعد ذلك (لئلا) فأدغمت النون في اللام فصارت ← (للا) ، فاجتمعت اللامات، فتبدل الوسطى ياء للمخالفة بين الأمثال[٢].

وقراءة عيسى الثقفي :﴿ بِرَاءٌ﴾ [٣] فنقل عن الفراء أنه أراد : (بُرَاء) فحذف الهمزة التي هي لام تخفيفاً[٤].

ومن ذلك قراءة أبي جعفر:﴿ اسْتَغْفَرْتَ﴾ [٥] بالوصل. فحذف همزة الاستفهام وهو يريدها [٦].

ومن ذلك قراءة الحسن :﴿ إِسْرَايِيلَ﴾ [٧] بلا همز[٨].

وقراءة الزهري :﴿لَرَؤُوفٌ﴾ [٩] بلا همز[١٠].

فالتزام العربية حذف إحدى الهمزتين راجع إلى ثقل تتابعهما، ويعلل ذلك أحد العلماء المحدثين بقوله: إن الطبع لا ينفر من توالي المتخالفات، وإن كانت كلها مكروهة، كما ينفر من توالي المتماثلات المكروهة، إذ مجرد التوالي مكروه ... وكلٌّ كثير عدوٌ للطبيعة[١١].

---

(١) سورة الحديد : ٢٩.

(٢) المحتسب ٣١٣/٢.

(٣) سورة الممتحنة : ٤.

(٤) المحتسب ٣١٩/٢.

(٥) سورة المنافقون :٦.

(٦) المحتسب ٣٢٣/٢.

(٧) سورة البقرة : ٤٠.

(٨) المحتسب ٧٩/١ – ٨٠.

(٩) سورة البقرة: ١٤٣ .

(١٠) المحتسب ١١٤/١.

(١١) أثر القوانين الصوتية ، فوزي الشايب ، ص ٣٠١.

الفصل الثالث

القضايا الدلالية في المحتسب

المبحث الأول: نشأة علم للدلالة وأنواعها ونظرياتها.

المبحث الثاني: الدلالة الصوتية.

المبحث الثالث: الدلالة الصرفية.

المبحث الرابع: الدلالة النحوية .

المبحث الأول

نشأة علم الدلالة وأنواعها ونظرياتها

المطلب الأول: **التعريف بعلم الدلالة ونشأته .**

المطلب الثاني:**أنواع المعنى ونظرياته في علم اللغة الحديث .**

المطلب الثالث:**نظرية سياق الحال عند ابن جني .**

المطلب الرابع: **أنواع الدلالات.**

المطلب الأول

التعريف بعلم الدلالة ونشأته عند العرب

أولاً: الدلالة لغة:

من دلَّ يدلُّ ، إذا هدى وقد دلّه الطريق: دَلالة ودِلالة ودُلولة، والفتح أعلى، والجمع أدلة وأدلاء، والاسم: الدِّلالة والدَّلالة بالكسر والفتح(١) .

وعلم الدلالة اصطلاحاً:

أطلقت عليه عدة أسماء في اللغة الإنجليزية، أشهرها الآن Semantics:

وفي اللغة العربية يسميه بعضهم : (علم الدَّلالة) بفتح الدال وكسرها . وبعضهم يسميه (علم المعنى) ويعرف بأنه : العلم الذي يدرس المعنى، أو هو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الصوت حتى يكون قادراً على حمل المعنى(٢).

ثانياً: نشأته عند العرب:

بحث علماء العربية في موضوع علم الدلالة منذ نشأة الدراسات اللغوية، ويظهر لنا ذلك بصورة واضحة من خلال الرسائل التي جمعها العلماء لألفاظ اللغة في موضوعات مختلفة، وتطور هذه الرسائل إلى أن وصلت إلينا في صورتها المثلى في المعاجم . إضافة إلى بحوثٍ لغويةٍ مختلفة تناولوها في كتبهم تعد الآن من فروع علم الدلالة كالاشتقاق، والحقيقة والمجاز، والمشترك اللفظي، والمترادف والمتضاد(٣).

ويعتبر ابن جني من أوائل العلماء الذين أفصحوا عن هذا العلم وبينوا حدوده. فقد عقد في الخصائص باباً: (فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية) (٤).

---

(١) اللسان مادة (دلل) .

(٢) علم الدلالة – أحمد مختار عمر – ط ٥ ١٩٩٨، عالم الكتب – القاهرة ص :٥.

(٣) انظر تفصيل لهذه البحوث في المزهر للسيوطي والخصائص لابن جني.

(٤) الخصائص ٢٤٥/٣.

طلب فيه من علماء الشريعة فهم الألفاظ واستعمالاتها؛ لأن الجهل بها يؤدي إلى ضلال بعيد، يقول فيه: (لو أقام إنسان في خدمة هذا العلم ستين سنة حتى لا يحظى منه إلا بهذا الموضع، لما كان مغبوناً فيه ولا منتقص الحظ منه، ولا السعادة به) [1].

فنجده في هذا الباب يتحدث عن علم يكشف عن معاني الألفاظ ومجازاتها اللغوية، والأمثلة والشواهد التي ذكرها في هذا الباب من آيات وأحاديث تؤكد لنا أنه بذلك قد وضع النواة لما يعرف الآن عند الغربيين بعلم الدلالة أو (Semantics) فإذا تأملنا تلك الآيات والأحاديث التي ذكرها في هذا الموضع وذهب بعضهم إلى تفسيرها تفسيراً فاسداً فسنجد ابن جني خرجها جميعاً على المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه[2] وترى الباحثة أن في هذا الباب كثير من القضايا البلاغية التي يمكن للباحثين ربطها بعلم الدلالة الحديث، وإيجاد المعنى الدلالي على أساسها . وأرجو أن تكون إشارتي لها في هذا الموضع مفتاحاً للباحثين للخوض في هذا الباب الذي ذكر ابن جني أنه واسع. وبذلك يكون عالمنا قد جدد لنا علم الدلالة وبين لنا أهميته ؛ إذ إنه الطريق إلى الأمان الاجتماعي، والديني، واللغوي، لأن معرفة دلالة الألفاظ مما يحتاج إليه الإنسان في حياته للوصول إلى الطريق الصحيح في فهم اللغة ومعرفة أسرارها، بل إنه يساعد أيضاً في فهم قضايا النقد الأدبي.

لذلك فقد بحثه علماء العربية بمختلف طوائفهم، ولم تقتصرْ دراستهُ على علماء اللغة فقط بل فقد عَرَفه علماءُ الأصول، والفقه، والكلام، لاتصاله بكثير من المسائل الفقهية التي ذكرت في كتب الأصول في قسم خاص عرف بالمبادئ اللغوية . يشيرون فيه إلى أهمية سياق الحال في تقرير المعاني، بل يذهبون إلى أن أسباب الخلاف في تفسير الآيات القرآنية، هو عدم نظرهم للسياق الذي ترد فيه[3].

---

(١) الخصائص ١٥٣/٣.

(٢) السابق ٢٤٥/٣ – ٢٥٥.

(٣) دقائق التفسير – (الجامع لتفسير ابن تيمية) جمع وتحقيق : محمد السيد الجليند ط١ ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م دار الأنصار القاهرة ٦٧/١.

والمعنى عند الأصوليين متقدم على اللفظ، وما عنايتهم بالألفاظ إلا من أجل المعاني (فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد والمعنى هو المقصود)[1].

إذن فالَمْعنى بإجماع الأئمة هو المَعْنِيُّ وهو الهدف، ويؤيد ذلك ابن جني بقوله : "إن العرب كما تعنى بألفاظها، فتصلحها وتهذبها، فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدراً في نفوسها" [2].

(١) الموافقات في أصول الأحكام – للشاطبي تعليق : محمد الخضر حسين – تصحيح : محمد منير د.ط ١٣٤١هـ – المطبعة السلفية مصر ٥٧/٢.

(٢) الخصائص ٢١٥/١.

المطلب الثاني

أنواع المعنى ونظريات علم الدلالة الحديثة

أولاً: أنواع المعنى:

لا بد لنا قبل تحديد نظريات علم الدلالة ومجالاته، من الوقوف على أنواع المعنى التي أختلف العلماء في حصرها . ذكر بعضهم أن أهمها خمسة أنواع هي[1]:

١/ المعنى الأساسي أو المركزي :

ويسمى أيضاً بالمعنى التصوري أو الإدراكي، وهذا المعنى هو العامل الرئيسي في الاتصال اللغوي، وهو ممثل اللغة الأساسية،وهو المعنى المتصل بالوحدة المعجمية.

٢/ المعنى الإضافي أو الثانوي:

ويسمى بالمعنى التضميني، وهو معنى يملكه اللفظ إلى جانب معناه الأساسي، فهو معنى ليس ثابتاً، بل يتغير بتغير الزمن والظروف.

فإذا كانت كلمة امرأة في معناها الأساسي تعنى هذا الجنس المعين من الإنسان، فإن هناك صفات غير معيارية أخرى قابلة للتغيير تدل عليها هذه الكلمة إذا ذكرت هذه المعاني فإنه يتبادر إلى الذهن هذا الجنس مثل: الثرثرة – العاطفة – النعومة – الحياء وغيرها.

لذلك نجد أن بعض الكلمات قد ارتبطت ببعض المعاني مثل:

كلمة غنم تعنى ← الانقياد.

وكلمة فأر تعنى: الجبن .

وكلمة حمار تعنى: البلادة .

وكلمة نحلة تعنى: النشاط.

وغير ذلك من الألفاظ التي ارتبطت بمعانٍ إضافية في أذهان الناس.

---

(١) علم الدلالة – أحمد مختار عمر – ص ٣٦ – ٤١(بتصرف).

٣/ **المعنى الأسلوبي:**

وهو المعنى الذي يتكون نتيجة ظروف اجتماعية معينة وعوامل جغرافية محددة، يكشف عن مستويات متحدثي اللغة وثقافتهم المختلفة . مثل الكلمات التي تطلق على الزوجة في اللغة العربية الحديثة مثل: عقيلته – حرمه – زوجته – امرأته ومرته.

فكل كلمة من هذه الكلمات تدل على طبقة معينة ومستوى ثقافي مختلف عن الكلمات الأخرى.

٤/ **المعنى النفسي:**

وهو معنى فردي ذاتي يشير إلى ما تضمنته اللفظة من دلالات، ويرتبط قبول اللفظة أو رفضها بالحالة النفسية للمتكلم، فعبارة مثل (يا ولد) في لهجاتنا العامية تختلف دلالتها بحسب الظروف النفسية المحيطة بها فقد تعنى مجرد الزجر إذا كانت من أحد الوالدين لولدهما وقد تعنى الإعجاب إذا كانت من قرين لقرينه.

٥/ **المعنى الإيحائي:**

وهو معنى يتعلق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء، قد يكون صوتياً يؤخذ من أصوات الكلمة، أو صرفياً يتعلق بأوزان الكلمة، أو دلالياً يتعلق بالمعاني المجازية . ويتضح هذا المعنى في الكلمات ذات المعاني المكروه أو المحظورة أو الألفاظ الدالة على الموت أو قضاء الحاجة أو غيرها[(١)].

أما نظريات الدلالة في علم اللغة الحديث فقد اختلف العلماء حول تعريف المعنى نتيجة لاختلاف نظرتهم إلى المعنى حتى إن تعريفاتهم له وصلت إلى عشرين تعريفاً. ونتيجة لاختلافهم حول المعنى وتعريف اختلفت النظريات والمناهج التي تناولت المعنى فظهرت في العصر الحديث نظريات عدة تناولت المعنى منها النظرية الإشارية، والنظرية التصورية، والنظرية السلوكية، ونظرية السياق، والحقول الدلالية[(٢)].

وتكتفي الباحثة في هذا الموضع بالوقوف على نظرية (سياق الحال) كنموذج للنظريات الحديثة لتحديد موقف ابن جني منها في المطلب القادم إن شاء الله .

---

(١) هناك أنواع أخرى للمعنى ذكرها الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة ص: ٤٠ منها المعنى العاطفي والمعنى التنغيمي والمعنى الجملي أو العباري.

(٢) انظر: تفصيل هذه النظريات في كتاب علم الدلالة، أحمد مختار عمر ص ٥٣ – ١٤١.

المطلب الثالث

نظرية السياق في علم اللغة الحديث (Context of situation)

وموقف ابن جني منها

أولاً: نظرية السياق عند فيرث:

عُرف المنهج السياقي أو المنهج العملي في مدرسة لندن، وكان زعيم هذا الاتجاه (فيرث) : الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة(١) ، فهو يرى أن المعنى هو المحصلة النهائية لتحليل الحدث اللغوي(٢) .

ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو (استعمالها في اللغة) أي : الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤديه، فيصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة؛ أي وضعها في سياقات مختلفة(٣).

وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها . اللغوي منها وغير اللغوي: ومعنى الكلمة – على هذا – يتعدد تبعاً لتعدد السياق الذي ترد فيه . وقسموا السياق الذي ترد فيه الكلمة إلى أربع شعب يشمل:

١/ السياق اللغوي.

٢/ السياق العاطفي.

٣/ سياق الموقف.

٤/ السياق الثقافي.

أما السياق اللغوي فيمكن التمثيل له بكلمة يد في اللغة العربية التي يتنوع معناها بتنوع السياقات التي ترد فيها منها:

* أعطيته مالاً عن ظهر (يد) أي : تفضلاً.

* هم (يد) على من سواهم : إذا كان أمرهم واحداً.

* (يد) الريح: سلطانها.

---

(١) علم الدلالة – أحمد مختار عمر – ص ٦٨.

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب ، د. عبدالكريم مجاهد – د.ط – د.ت، دار الضياء للطباعة والنشر ص ١٥٨.

(٣) السابق ص ١٥٧.

* بايعته (يداً بيد) أي : نقداً.

* فلان طويل (اليد)، أي : لصاً.

* (يد) الرجل : جماعته وأنصاره وغير ذلك الكثير من المعاني التي تشير إليها كلمة يد تبعاً للسياق الذي ترد فيه[1].

أما السياق العاطفي، فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً.

فكلمة يكره في العربية غير كلمة يبغض، رغم اشتراكهما في أصل المعنى إلا أن كل كلمة تحدد درجة معينة من المعنى، وكذلك الكلمات التي تدل على الحب كالوله والتيه والعشق وغيرها، فكل واحدة تحدد درجة من درجاته.

أما سياق الموقف فيعنى الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، مثل استعمال كلمة (يرحمك الله) في مقام تشميت العاطس و (الله يرحمه) في مقام الترحم على الميت.

أما السياق الثقافي فيقتضي تحديد المحيط الثقافي، أو الاجتماعي، الذي تستخدم فيه الكلمة . مثل كلمة عقلتة التي تدل على الطبقة الاجتماعية الراقية في العربية بالنسبة للكلمات الأخرى كزوجته وامرأته كما أشرنا.

فنجد فيرث في نظريته هذه يحدد عدة مقولات يمكن أن تعتبر العناصر الأساسية لسياق حال الحدث اللغوي على المستوى الاجتماعي وهي:

١ – المظاهر الوثيقة الصلة بالمشاركين. وتمثل كلامهم وأفعالهم وسلوكهم .

٢ – الأشياء الوثيقة الصلة بالموقف .

٣– أثر الحدث الكلامي[2] .

وقد أيد هذا الاتجاه السياقي في تحليل المعنى من قبل علماء الانثروبولوجي وعلماء الفلسفة وعلماء النفس[3].

---

(١) اللسان مادة (يدي) وعلم الدلالة – أحمد مختار عمر ص : ٧٠.

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب – عبدالكريم مجاهد ص ١٥٨ – ١٥٩.

(٣) علم الدلالة – أحمد مختار عمر – ص ٧١.

ثانياً: السياق اللغوي عند ابن جني:

الآن وبعد أن تعرضت لموقف علم اللغة الحديث من نظريات علم الدلالة ومن بينها ما أطلق عليه المحدثون (سياق الحال)

ففيرث ينظر إلى سياق الحال كأي مستوى لغوي آخر من مستويات اللغة إن لم يكن أهمها . فنراه يحدد عدة عناصر أساسية لسياق حال الحدث اللغوي منها:

١/ المظاهر الوثيقة الصلة بالمشاركين (ولعله يقصد بالمشاركين المتكلم والسامع وملامحهم الظاهرة التي تعبر عن دواخلهم ويمكن أن تشمل:

* الحدث الكلامي الصادر عنهم.

* الحدث غير الكلامي عند المشاركين أي أفعالهم وتصرفاتهم أثناء الكلام.

* الأشياء الوثيقة الصلة بالموقف.

* وأثر الحدث الكلامي[(١)]. وهو بذلك يحدد الأسس الأساسية التي تقوم عليها نظريته في (سياق الحال) الذي يعتمد عليه كثيراً في تحديد المعنى الدلالي على مستويات اللغة المختلفة . بل أنه يطبق على الدارسة السياقية مصطلح (علم الدلالة) وكانَّ الدلالة هي معرفة عناصر سياق الحال.

وبينا أنه جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، ينبغي أن نشير إلى أن ابن جني كان على إدراك واضح بهذه الجوانب، وعرض لها في أكثر من موضع من كتبه، ولو قمنا بجمع آرائه المتناثرة هذه لأمكننا أن نخرج بما يمكن أن يسمى (بنظرية المعنى عند ابن جني) مقارنة بينها وبين ما توصل إليه المحدثون في هذا السياق من خلال نظرية فيرث الدلالية .

أما عالمنا ابن جني فيقول في ذلك:

"والذي يدل على أنهم قد أحسوا ما أحسسنا وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان:

أحدهما: حاضر معنا، والآخر : غائب عنا، إلا أنه مع أدني تأمل في حكم الحاضر، فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب

---

(١) مقال : (الدلالة عند ابن جني) لعبدالكريم مجاهد مجلة الداره – العدد الأول السنة التاسعة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م دار الملك عبدالعزيز الرفاعي ص ١٦٣.

ووجوههم، ويضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها من استخفافهم شـيئاً أو استثقاله وتقبله أو إنكاره، والأنس به أو الاستيحاش منه الرضا به أو التعجب مـن قائله، غير ذلك من الأحوال الشاهدة بالمقصود، بل الحالفة على ما في النفوس[1].

فكأنه يتوصل إلى معرفة ما قصدته العرب بما يشاهده من أحوال المتكلمين، أو يستعين بما نقله العلماء من أحوال المتكلمين الذين لم يحضر حديثهم.

وهذا الحديث من ابن جني إذا قارناه بالعناصر الأساسية لسياق الحال نجـده ينطبق على العنصر الثاني: الحدث غير الكلامي عند المشاركين . بل إن في كلام ابن جني كما يقول أحد علماء اللغة المحدثين أكثر وضوحاً وتفصيلاً، خاصة حين يقول:

"الأحوال الشاهدة بالقصود ؛ بل الحالفة على ما في النفـوس" فكـأن هـذه التصرفات التي تبدر والملامح التي تتشكل على الوجه، تصور ما فـي النفـوس تصويراً لا شك فيه، حتى كأنها شاهد يقسم على صدق قوله فلا يترك شبهة علـى ما يقول[2].

ويمضي ابن جني في توضيح أفكاره في هذا النص فنجـده يستشـهد بقـول الشاعر:

تقـول وصـكَّت وجههـا بيمينهـا * أبعلي هـذا بـالرحى المتقـاعس؟[3]

فإذا نظرنا إلى هذا الشاهد نجده يتضمن أمرين من سياق الحال:

الأول: الحدث الكلامي وهو استنكارها للأمر بقولها :(أبعلي هـذا بـالرمي المتقاعس؟

الثاني: الحدث غير الكلامي، وهو قول الشاعر : "صكَّت وجههـا بيمينهـا" فيرى ابن جني أنه قد علم بقوله: "وصكَّت وجهها" قوة إنكارها وتعاظم الصـورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها، ولو شـاهدتها لكنـت بهـا

---

(١) الخصائص ٢٤٥/١.

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب – عبدالكريم مجاهد – ص : ١٦٠.

(٣) البيت للشاعر نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي، المتقاعس : الذي يخرج صدره، ويدخل ظهره، وذلـك شكل من يطحن بالرحى . البيت في اللسان مادة (ردع) الخصائص ٢٤٥/١.

أعرف، بعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، فهذا الرأي من ابن جني هو ما عبَّر عنه فيرث ب:(أثر الحدث الكلامي وغير الكلامي) أي أن من سمع قولها مباشرة: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس ؟ وشاهدها في الوقت نفسه تصك وجهها بيدها، سيكون أشدّ تأثراً بحالها وأكثر معرفة بفعل هذين الحدثين[1].

أما العنصر الثالث من عناصر سياق الحال عند فيرث وهو: الإحاطة بالأشياء الوثيقة الصلة بالموقف الكلامي، فخير ما يمثله ويعبر عنه عند ابن جني استشهاده بقول الشاعر:

فقلنا لها قفي لنا قالت قاف[2]

يقول ابن جني : (لو نقل إلينا هذا الشاعر شيئاً آخر من جملة الحال فقال مع قوله : (قالت قاف) (وأمسكت بزمام بعيرها)، أو (عاجته علينا)، لكان أبين لما كانوا عليه، وأدلَّ على أنها أرادت وقفتُ، أو توقفتُ، دون أن يظن أنها أرادت : قفي لنا! أي، يقول : قفي لنا! متعجبة منه، وهو إذا شاهدها وقد وقفت علم أنَّ قولها (قاف) إجابة له، لا ردٌ لقوله وتعجب منه) [3].

ولا يخفى علينا ما بالإمساك بزمام البعير وشده من دلالة على الوقوف، بل إن ذلك أوضح دلالة على الرغبة في الوقوف . ويشبه أحد العلماء المحدثين هذه الصورة في أيامنا هذه برفع الكوابح اليدوية للسيارة وشدها، للدلالة على وقوفها وضمان عدم تحركها[4].

وابن جني يرى أن في إمساك زمام البعير– وهو الحدث غير الكلامي – قرينة يتضح معها موقفها ؛ إذ يدل على استجابتها، لا على تعجبها وإنكارها الذي قد يتبادر إلى الذهب من قولها (قاف) .

---

(١) الدلالة اللغوية عند العرب – عبدالكريم مجاهد ١٦٠ – ١٦١.

(٢) البيت للوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعجزه ولا تحسبينا قد نسينا الأيجاف، وقالت : (قاف) أي : أني واقفة أو وقفت، واستغنى بالحرف عن الجملة والإيجاف : سرعة السير، الخصائص ١/٣٠.

(٣) الخصائص ١/٢٤٦.

(٤) مقال الدلالة عند ابن جني – لعبدالكريم مجاهد مجلة الدارة – السنة التاسعة ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م – دار الملك عبدالعزيز الرفاعي العدد الأول، ص: ١٦٦.

وغير ذلك الكثير من المواضع التي تؤكد لنا إدراك ابن جني الواضح لسياق الحال، منها ما قرر فيه أن المعاني قد لا يتوصل إليها، إلا بالظروف المحيطة بها، ومن ثم لا ينبغي للغوي أن يكتفي بالسماع، بل ينبغي أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة، أي يحيط بظروف الكلام؛ ويضرب المثل بقول العرب: "رفع عقيرته" التي تعنى أنه رفع صوته، والحقيقة أنه لولا معرفة المناسبة أو السياق الذي قيلت فيه لما أمكننا أن نصل إلى المراد منها ؛ لأنه ليس لدلالة العقيرة الوضعية أو لاشتقاقها اللغوي، أي صلة برفع الصوت، فيرجع الفضل في إدراك دلالتها إلى السياق الذي قيلت فيه، وينقل لنا ابن جني في هذا الموضع قول ابن السراج : بأنه لو ذهبنا نشتق لقولهم (عقر) من معنى الصوت، لبعد الأمر جداً، وإنما هو أن رجلاً قطعت إحدى رجليه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال الناس : رفع عقيرته ؛ أي : رجله المقعورة) (١).

إذن (رفع عقيرته) لم تكتسب معنى (رفع صوته) من أصواتها المكونة لها، بل اكسبته من السياق الذي صاحبها.

وهو في موضع آخر يذهب إلى أبعد من ذلك ويرى أن الحال المشاهدة ؛أي الحدث غير الكلامي يمكن أن ينوب عن اللفظ، ويكون له تأثيره في بيان المعاني النحوية، التي تترتب عليها المعاني الدلالية، كقوله: "ومن ذلك ما أقيم من الأحوال المشاهدة مقام الأفعال الناصبة، نحو قولك إذا رأيت قادماً: خير مقدم، أي قدمت خير مقدم، فنابت الحال المشاهدة مناب الفعل الناصب" (٢).

وتأكيداً على شدة تعلقه واهتمامه بهذه الحال السياقية ينهي كلامه في صورة أمنية لو تحققت لأغنت عن كثير من الكلام، إذ يقول: "فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو، وابن أبي إسحق، ويونس وعيسى بن عمر، والخليل،وسيبويه، وأبو الحسن وأبو زيد، وخلف الأحمر والأصمعي، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين،وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات،

---

(١) الخصائص ٢٤٨/١.

(٢) السابق ٢٦٤/١ – ١٨٥.

فتضطر إلى قصود العرب، وغوامس ما في أنفسها، حتى لو حلف منهم حالف على غرض، دلته عليه إشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله، صادقاً فيه غير متهم الرأي والنحيزة والعقل"(١).

فهذا الكلام من ابن جني يوضح أن الحدث غير الكلامي، وما يصاحبه أبلغ عنده من العبارة، حتى لو شفعت هذه العبارة بأغلظ الأيمان(٢) .

بل إنني أحس من ذكره لهؤلاء العلماء بأنه يريد أن يقول: إن الخلاف الحادث بين العلماء في كثير من المسائل النحوية واللغوية سببه عدم المشاهدة للحدث الكلامي.

وغير ذلك الكثير من المواضع التي يتناول فيها ابن جني العوامل التي تؤثر في المعنى، والتي تؤكد لنا إدراكه الواضح لسياق الحال، بل أنه إدراك كفيل بأن يؤدي إلى دراسة دقيقة للمعنى .

ومما سبق يتضح لنا أن الأصالة في سياق الحال إنما هي لابن جني لأننا بعد مقارنة ما ورد عنه بعناصر سياق الحال التي أوردها (فيرث) في نظريته الدلالية، إذ لم نجد أدنى فرق بينهما سوى أن الأخير قد وضع لسياق الحال نظرية منظمة،، معطياً إياها الأهمية القصوى في بيان المعنى الدلالي.

وكما رأينا فإن الأسس والمقومات التي أقام عليها فيرث نظريته قد توفرت في كلام ابن جني من خلال تلك النماذج التي أوردتها، دون أن أحمل كلامه ما لا يطيق، ودون تعسف في تأويله، مع ملاحظة أنَّ ابن جني قد أورد ما أورده من ملاحظات في القرن الرابع الهجري معتمداً على الملاحظة والاستقراء.

---

(١) الخصائص ٢٨٤/١.

(٢)الدلالة اللغوية عند العرب – عبدالكريم مجاهد ص ١٦٣ – ١٦٤.

المطلب الرابع

أنواع الدلالات

كما رأينا في تعريف الدلالة والنظريات التي دارت حول تعريف المعنى فإنه لا بد من توفر أمور كثيرة يستعان بها للإحاطة بظروف هذا الكلام وملابساته، ولا يتم ذلك إلا بالوقوف على تلك الظروف والملابسات التي منها:

صلة المتكلم بالحديث، وصلته بالسامع ومعرفة الكثير من المعلومات المشتركة بينهما، والتي على أساسها يفهم أحدهما الآخر.

فلتكتمل عملية الفهم لا بد أولاً من الوقوف على تلك الظروف والملابسات التي تحيط بالنص اللغوي، ثم بعد ذلك نتساءل عن الدلالات التي يستخدمها السامع من هذا المنطوق لأنّ العبارة المنطوقة تتضمن أنواعاً من الدلالات وبما أنَّ الكلام سلوك اجتماعي، فالسياق يتعهد بالكشف عن المضامين الاجتماعية، والنفسية، بمشاركة النظم النحوية، والصرفية، والصوتية، وعلى ذلك قسم علماء اللغة المحدثين الدلالة إلى : صوتية، وصرفية، ونحوية، ومعجمية [(١)] :

١/ الدلالة الصوتية :

وهي أمَّا دلالة صوتية مطردة أو غير مطردة .

المطردة : هي التي تعتمد على تغيير مواقع الفونيمات التركيبية (وتشمل الحروف والحركات) وفوق التركيبية وتشمل : النبر والتنغيم والمقطع الصوتي.

أما الدلالة الصوتية غير المطردة ، فهي دلالة لا تخضع لقواعد أو قوانين معينة، وهي تفترض أن لكل صوت دلالة طبيعية على معناه[(٢)] .

٢/ الدلالة الصرفية:

وهذا النوع من الدلالة يستمد من الصيغ الصرفية وأبنيتها.

---

(١) دلالة الألفاظ – إبراهيم أنيس – ط٢ ٢٠٠٤م مكتبة الأنجلو المصرية ص : ٣٤.

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب ، عبدالكريم مجاهد ص ١٦٦ – ١٨٢.

٣/ الدلالة النحوية:

وهذا النوع من الدلالة يستمد من نظام الجملة وترتيبها، إذ إن لكل لغة من اللغات قواعد معينة تسير عليها، وعن طريقها يفهم المراد من هذا التركيب المعين، إذ لو اختل شيء منه أصبح من العسير فهم المراد من الجملة.

وسيأتي الحديث عن هذه الأنواع الثلاثة بالتفصيل، وموقف ابن جني منها، وتطبيقها على قراءات المحتسب في المطالب القادمة بإذن الله.

٤/الدلالة المعجمية أو الاجتماعية:

وهي الدلالة المهمة التي يرتكز عليها فهم اللغة، وهي ترتبط بالمواقف والسياقات المعينة التي ترد فيها الأصوات، والكلمات، والجمل . بحيث ترتبط الدلالات السابقة مع بعضها البعض لتؤدي لنا وظيفة معينة في أي لغة من اللغات . ولا يمكن فهم الدلالات السابقة إلا من خلال معرفة العلاقات بينها.

وهذه الدلالة الأخيرة (الاجتماعية) هي التي وجدت اهتمام الباحثين المحدثين من اللغويين وغيرهم وقد تحدثت عنها في المبحث السابق من خلال نظرية السياق الحال وتناولها عالمنا ابن جني كما رأينا.

أما الدلالات الثلاثة الأولى :الصوتية والصرفية والنحوية، فقد تناولها ابن جني في الخصائص في باب سماه : (باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية)(١) إضافة إلى آرائه المختلفة المنتشرة في ثنايا كتبه الأخرى والتي خرج عليها الكثير من القراءات القرآنية في المحتسب كما سنرى في المباحث القادمة.

أما في باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية فيقول:"اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعٍ مؤثر(٢)" ويقسمها من حيث القوة والضعف على ثلاث مراتب:

الأقوى هي الدلالة اللفظية ثم تليها : الصناعية، ثم تليها المعنوية.

---

(١) الخصائص ٩٨/٣.

(٢) السابق والصفحة.

ومن خلال الأمثلة والشواهد التي ذكرها يتضح لنا أن الدلالة اللفظية هي : الدلالة الصوتية والدلالة الصناعية هي: الدلالة الصرفية، والدلالة المعنوية هي الدلالة النحوية ويعلل ذلك بقوله :ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه) [١]

فقوله : من لفظه وصيغته ومعناه؛ دلالة على الأنواع الثلاثة للدلالة من: صوتية، وصرفية، ونحوية مرتبة بحسب قوتها التي يعلل لها بقوله : وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظاً فإنها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها .وأما المعنى فإنما دلالته لاحقة بعلوم الاستدلال ... ألا تراك حين تسمع ضرب قد عرفت حدثه وزمانه ثم تنظر فيما بعد ... وتبحث له عن الفاعل إلى أن تعرفه من موضع آخر[٢]... فيذهب إلى أن دلالة المثال على الفاعل من جهة معناه، لا من جهة لفظه[٣].

أمَّا النوع الرابع من أنواع الدلالة وهو الدلالة (المعجمية) ، التي تمثل المعنى الأساسي للفظة المفردة، فقد وجدت في قراءات المحتسب الكثير من الألفاظ المفردة والعبارات المركبة التي بيَّن ابن جني المعنى المعجمي لها، ووجدت منها ما يصلح أن يكون أساساً لمعجم لفظي كامل لمفردات اللغة العربية، والتي تمثل لنا مرحلة مهمة من مراحل تطور الدلالة في ألفاظ لغتنا، ووجدت أن المجال يضيق عن تناولها في هذه الدراسة.

---

(١) السابق والصفحة.

(٢) الخصائص ٣/٩٩ – ١٠٠

(٣) السابق والصفحة .

المبحث الثاني
الدلالة الصوتية

المطلب الأول: تعريف الدلالة الصوتية وأنواعها.

المطلب الثاني: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.

المطلب الثالث: الاشتقاق الأكبر.

المطلب الرابع : العلاقة بين اللفظ والمعنى .

المطلب الخامس الدلالة الصوتية المطردة.

المطلب الأول

الدلالة الصوتية

عرفنا في الفصل السابق من خلال تعريفنا لظاهرة الصوت الإنساني : أنَّ الصوت هو أحد العناصر الدلالية اللغوية، بل يعتبر أهمها في تحقيق الدلالة، فائتلاف الأصوات بالطرق المختلفة، وضمن نظام صوتي معين، وتبعاً لقواعد كل لغة يمثل دلالة قوية، وعليه فإنه يتوجب علينا أن ننظر لهذا النظم الصوتي من عدة جوانب، فهناك جوانب قد يتغير فيها النظام الصوتي دون أن يتغير المعنى الدلالي، كالمماثلة، والمخالفة، والإبدال وهذا ما وقفت عليه في الفصل السابق.

أما الذي يعيننا هنا فهو التغير الصوتي الذي بتغيره تتغير الدلالة، وهو ما يعرف بالدلالة الصوتية . وهي التي تعتمد على تغيير مواقع الفونيمات،حتى يحدث تغيير في معاني الألفاظ، لأن كلَّ فونيم هو مقابل استبدالي لآخر، يعقب استبداله لغيره اختلاف في المعنى، وهذا ما يسمى في علم اللغة الحديث بـ (الوظيفة الصوتية الصغرى أو "القاصرة" ؛ مقابل الوظائف الدلالية الأخرى من معجمية، وصرفية، ونحوية وسياق الحال الدلالية[(١)]. وعليه: فكل صوت في اللغة صامتاً كان أو صائتاً ذو وظيفة فونيمية . فإذا وقفنا وعرفنا التشكيلات الصوتية المتعددة يمكننا معرفة المعنى المعين الذي يقصده المتكلم.

والدلالة الصوتية هذه نجدها عند ابن جني تحت اسم الدلالة اللفظية وهي عنده أقوى الدلالات كما رأينا في المطلب السابق"[(٢)] فكل دلالة لها دور في أداء المعنى لا يمكن الاستغناء عن أي واحدة منها، ومثال ذلك الفرق في المعنى بين (صعد) و(سعد) فالمعنى يتوقف على الخلاف الذي يؤديه استبدال السين بالصاد أو الصاد بالسين : يقول ابن جني :"فجعلوا الصاد لقوتها مع ما يشاهد من الأفعال المعالجة، المتجشمة وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين"[(٣)].

---

(١) الدلالة اللغوية عند العرب – د. عبدالكريم مجاهد، ص: ١٦٦.

(٢) الخصائص ٣/٩٨.

(٣) نفسه ٢/١٦١.

فالصاد بصفتها الصوتية، مقابل استبدالي للسين بصفاتها الصوتية الخاصة بها. مما ينتج تمييزاً للمعنى حين تبادلهما المواقع ؛ فهنا تستطيع أن نقول : إن ابن جني قد جعل كلا منهما فونيماً رئيسياً أو أساسياً، وهو ما يسمى في التحليل اللغوي بـ(الوحدات الصوتية)، أو (دلالة الفوينمات التركيبية).

وإضافة إلى دلالة الفوينمات التركيبية هذه هناك دلالة صوتية أخرى (مضطردة) تعتمد في التحليل الفونيمي على ما يسمى بالفوينمات (فوق التركيبية) أو (البروسودات) أو (الظواهر التطريزية) ؛ وهي الملامح الصوتية التي تصاحب الكلمات المتصلة أو الجمل، فتؤدي وظيفة دلالية، ومن أهمها : النبر والتنغيم والمقطع الصوتي [(١)].

فإذا كانت دلالة الفونيمات التركيبية ودلالة الفونيمات فوق التركيبية تعرف (بالدلالة الصوتية المطردة)، فإن هناك نوع ثان من الدلالة الصوتية وهي : الدلالة الصوتية غير المضطردة، وهي التي لا تخضع لنظام معين، أو قواعد مضبوطة بل هي قائمة على تصور يفترض أن لكل صوت دلالة طبيعية على معنى، بمجرد النطق بهذا الصوت يقفز هذا المعنى إلى الذهن، وهو ما يعرف ب"الدلالة الطبيعية للأصوات"[(٢)]. كما ذكرت في أنواع الدلالات في المطلب السابق.

ويعتبر ابن جني فارس هذا النوع من الدلالة ؛ إذ عقد لها في خصائصه أربعة أبواب، محاولاً بكل ما أوتي من ملكة لغوية أن يثبت القيمة التعبيرية للصوت الواحد، وهذا ما سأتناوله مفصلاً في مطلب : العلاقة بين الصوت ومدلوله.وعلى هذا فإنني وجدت أنه من أهم الظواهر الصوتية التي يمكن أن تحدث تغييراً في المعنى واعتمد عليها ابن جني في تخريجه لكثير من من القراءات الشاذة في المحتسب وهي :

* تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.
* الاشتقاق الأكبر
* العلاقة بين الصوت والمعنى.
* دلالة الفونيمات (فوق التركيبية) (النبر والتنغيم والمقطع).

---

(١) الدلالة اللغوية عند العرب – د. عبدالكريم مجاهد – ص ١٦٨.

(٢) السابق والصفحة.

المطلب الثاني

تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني

ويندرج تحت هذا العنوان مباحث عدة يعدد لنا ابن جني بعضاً منها في باب سماه (باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) [1] يقول فيه:

"هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به، وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غفلاً مسهواً عنه، وهو على أضرب"

منها اقتراب الأصلين الثلاثين، كضيّاط وضيطار ورخو، ورخودٌ "[2]

وهو يشرح هذه الأمثلة في موضع آخر في (باب تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية"[3] وهو أن تجد الثلاثي على أصلين متقاربين والمعنى واحد، فهنا يتداخلان، ويوهم كل واحد منهما كثيراً من الناس أنه من أصل صاحبه، وهو في الحقيقة من أصل غيره، وذلك كقولهم"شيء رخو ورخودٌ فهما كما ترى شديدا التداخل لفظاً، وكذلك هما معنى،وإنما تركيب (رخو) من (رخو)، وتركيب (رخود) من رخد) أفلا ترى ازدحام اللفظين مع تماس المعنيين وذلك أن الرخو: الضعيف والرخود المتثني " والتثني عائد إلى الضعف[4].

وكذلك فقد يكون أحد الأصلين ثلاثياً والآخر رباعياً، أو أحدهما رباعياً، وخماسياً صاحبه، كسبط وسبطر، وغير ذلك الكثير من الأمثلة بعضها يدخل في باب الدلالة الصرفية التي يصعب فصلها عن أمثلة الدلالة الصوتية لذلك نجد الباحثة نفسها مضطرة لذكرها في هذا الموضع من الدلالة الصوتية.

ومن ذلك التقديم والتأخير في تقليب الأصول وهو ما يعرف بالقلب المكاني، وقد التبس هذا النوع من التقديم والتأخير، في أصوات المفردة الواحدة؛ فذهب بعضهم إلى أن اللفظين اللذين يحدث فيهما قلب من أصل واحد، وذهب البعض الآخر إلى أن كل لفظ منهما مستقل عن الآخر وليس أحدهما مقلوباً عن

---

(١) الخصائص ٢/١٤٥ – ١٥٢.

(٢) الخصائص ٢/١٤٥.

(٣) السابق ٢/٤٤ – ٤٥.

(٤) السابق والصفحة.

صاحبه[1]. فيشير ابن جني في الخصائص إلى ذلك في بـــاب ســـماه "بـــاب فـــي الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير""اعلم أن كل لفظين وجـــد فيهمـــا تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعاً أصلين ليس احدهما مقلوباً عن صاحبه، فهـــو القياس الذي لا يجوز غيره، وإن لم يمكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلـــوب عـــن صاحبه، ثم أريت أيهما الأصل وأيهما الفرع"[2].

فابن جني يحدد بأن اللفظين اللذين اختلف ترتيب حروفهما عنده أصلان فهو القياس، أي أن الأصل في اللغة العربية أن نعد اللفظـــين أصـــلين مختلفـــين، لأن العربية تملك هذه الخاصية من التنوع اللفظي، والذي يحمل معاني مختلفة، ويؤكد ابن جني ذلك بقوله :"والقلب في كلامهم كثير وقد قدمنا في أول هذا الباب أنه متى أمكن تناول الكلمة على ظاهرها لم يجز العدول عن ذلك بها، وإن دعت الضرورة إلى القول بقلبها كان ذلك مضطراً إليه لا محتار "[3] وبهذا فأنه لا يمكـــن الحكـــم على كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير بأبهما من أصل واحد، بل يجـــب النظـــر إليهما على أنهما من أصلين مختلفين إلى أن يثبت غير ذلك.

---

(١) عناصر تحقيق الدلالة في العربية – د. صائل رشدي شديد – ط١ ، ٢٠٠٤م، الأهلية للنشر والتوزيع – عمان – الأردن ص : ٥٢.

(٢) الخصائص ٦٩/٢.

(٣) الخصائص ٨٤/٢ – ٨٥.

المطلب الثالث

الاشتقاق الأكبر

أما الاشتقاق الأكبر وهو أيضاً من قبيل القضايا الصرفية التي تناولها الصرفيون في كتبهم ومذهب ابن جني فيه أن الأصل في العربية أن تتمايز المعاني لتمايز المباني، وسيأتي تفصيل ذلك في الدلالة الصرفية، والذي يعنينا منه هنا ما يعرف بالمجال الدلالي العام وفقاً لتباين ترتيب الأصوات، يقول ابن جني في الخصائص : (هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي رحمه الله . كان يستعين به ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر . لكنه مع هذا لم يسمه وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه ويتعلل به، وإنما هذا التقليب لنا نحن ... وذلك أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلي تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه"[1].

ثم يورد ابن جني أمثلة كثيرة لهذا النوع من الاشتقاق[2] ويقرّ بعد سرده للأمثلة بأنه لا يدعي أن هذا مستمر في جميع اللغة ...إلا أنه مع ذلك يشيد به ليكون في ذلك أعظام لهذه اللغة الشريفة من أجله[3] .

وعقب السيوطي على هذا الصنيع بقوله"هذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني وكان شيخه أبوعلي الفارسي يأنس به يسيراً،وليس معتمداً في اللغة... وإنما جعله أبوالفتح بياناً لقوة ساعده،ورده المختلفات إلى قدر مشترك [4].

ويضيف قائلاً: "ولا ينكر مع ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدة المادة معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها،ولكن التخيل على ذلك في جميع مواد التركيبات كطلب مغرب [5].

---

(١) الخصائص ١٣٣/٢ – ١٣٤.

(٢) الخصائص ١٣٣/٢.

(٣) السابق ١٣٨/٢.

(٤) المزهر – للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل – (د.ط) (د.ت) دار إحياء الكتب العربية ٣٤٧/١.

(٥) المزهر ٣٤٧/١ – ٣٤٨.

ويذهب بعض العلماء إلى أن هذا النوع لا يمكن أن يكون سبيلاً من سبل الاشتقاق وإن بدت فيه بعض ملامحه، فهو ليس إلا من باب القلب، أي تبديل مواقع الحروف، نحو جذب وجبذ، وأيس ويئس، أما فكرة التقاليب فليست إلا فكرة رياضية وجدت عند ابن جني تفسيراً لغوياً . وهم يرون أن هذا النوع من الاشتقاق قليل الفائدة في تنمية اللغة ومدها بالألفاظ الجديدة[١].

أما الاشتقاق الأكبر فهو:

ما اتحد فيه المأخوذ والمأخوذ منه في الحروف واختلفا في الترتيب،وهو المعروف عند الصرفيين بالقلب المكاني، وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب نحو: جذب وجند[٢] وذلك هو ما حده به السيوطي بقوله:"إنه ما يحفظ فيه المادة دون الهيئة نحو: قول ووقل ..." [٣].

من خلال هذه التعريفات يتضح لنا أن ابن جني كان أكثر إيضاحاً ودقة وعليه كانت تفسيرات بعض المحدثين لهذا النوع من الاشتقاق فالدكتور وافي والدكتور الصالح يشيران إلى ذلك بأنه عبارة عن ارتباط مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطاً مطلقاً غير مقيد بتركيب بحيث تدل كل مجموعة على المعنى المرتبط بها، كيفما اختلف ترتيب أصواتها مثل جبر وبرج..." [٤]

وهناك نوع آخر من الاشتقاق، سماه العلماء الأكبر، لكن ابن جني لم يكن يعرف هذا الاسم الذي تناول مضمونه بالبحث والدارسة وجعل حديثه عنه تحت عنوان "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"[٥] وباب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"[٦] وكان له الفضل في إيضاحه وكشف اللثام عن حقائقه إذ قال : "هذا غور من

---

(١) مدخل إلى فقه اللغة العربية – أحمد محمد قدور – دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان ودار الفكر / دمشق – ١٩٩٩م ص ٢١٧ – ٢١٨.

(٢) عبقري اللغويين – أبوالفتح عثمان بن جني – د/ عبدالغفار حامد هلال ٨٣٩/٢.

(٣) المزهر _ للسيوطي ١٦٤/١.

(٤) فقه اللغة – وافي – ص ١٧٤، ودراسات في فقه اللغة – صبحي الصالح – ط بيروت ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م ص ٢٠٤

(٥) الخصائص ١٤٥/٢.

(٦) السابق ١٤٥/٢.

العربية لا يكاد ينتصف منه ولا يكاد يحاط به، وأكثر كلام العرب عليه، وإن كان غفلاً مسهواً عنه"(١).

وهو يذكر في هذا الباب ما سبق ذكره من اقتراب الأصلين، والتقديم والتأخير،ولكنه يشير إلى أنه من وراء هذا ضرب غيره، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني، وهذا باب واسع(٢) ويسوق لذلك عدة أمثلة سيأتي الحديث عنها.

أما باب:"في إمساس الألفاظ أشباه المعاني" فيشير ابن جني إلى أن هذا موضع شريف لطيف،وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول به والاعتراف بصحته".

أمَّا معناه فيعرفه أحد المحدثين بأنه : ما أتحد فيه المشتق والمشتق منه في بعض الحروف واختلفا في الباقي، وكان المختلف فيه متحداً . مخرجاً وصفة، مثل : هتن المطر وهتل، ونعق ونهق، وأسود حانك وحالك(٣)، وسيأتي الحديث عن هذا النوع بالتفصيل في العلاقة بين الصوت والمعنى . أمَّا الاشتقاق الأكبر الذي يعنينا في هذا الموضع فقد أفاض ابن جني في شرحه، ورتب عليه نتائج مهمة من دوران المادة حول معنى واحد عام واختلافها بتنوع الأصوات المتبادلة ومناسبتها لمعانيها الموضوعة لها، وسماه (تقارب الحروف لتقارب المعاني) وذكر أنه باب واسع (٤).

أما في المحتسب فقد خرج ابن جني الكثير من القراءات على هذا النوع من الدلالة الصوتية.

من ذلك قراءة : "وقُثَّائها"(٥) بضم القاف(٦).

---

(١)الخصائص ٢/١٤٥.

(٢) السابق ٢/١٤٦.

(٣) عبقري اللغويين أبوالفتح عثمان بن جني – عبدالغفار حامد هلال ٢/٨٥٠.

(٤) الخصائص ٢/١٤٦.

(٥) سورة البقرة : ٦١. والقراءة ليحيى بن وثَّاب وقراءة العامة بكسر القاف. المحتسب ١/٨٧.

(٦) قراءة العامة.وقِثَّائها بالكسر.

قال أبوالفتح : الضم في القثاء حسن، وذلك أنه من النوابت، وقد كثر عـنهم في هذه النوابت الفُعَّال كالزُّبَّاد[١] والعُلاَّم[٢] . والثُّفاء[٣]، ومن هاهنا كان أبوالحسن سعيد بن مسعدة الأخفش يقول في رُمَّان: أنه فُعَّال لأنه من النبات... ولـه أيضـاً وجه من القياس :أنه من معنى رممت الشيء إذا جمعـت أجـزاءه وهـذه حـال الرُّمان، ويستشهد لهذا المعنى بقول بعض المولدين.

مايحسـن الرُّمـان يجمـع نفسـه * فـي قشـره كمـا نحـن[٤]

ويدل على أنه من معنى الاجتماع والتضام : تسميتهم لرمان البـر: المـظ ؛ ولذلك لقوة اجتماعه واتصال أجزائه، فهو من معنى المماظَّة المعازَّة وهـو إلـى الشدة[٥].

ومما خرجه على ذلك ما رواه الواقدي[٦] (مَرْغَما)[٧] وقـراءة الجماعـة : "مُرَاغَما".

قال أبو الفتح : ينبغي أن يكون هذا إنما جاء على حذف الزيادة من راغـم، فعليه جاء مَرْغَم، كَمضْرَب من ضرب ...، وأصل هـذه المـادة (رغ م)، فمنـه الرغام التراب، وهو إلى الذل والشدة، والمـراغم : المُعَـارُّ الـذي يـروم إذلال صاحبه، فالألفاظ المتقاربة كلها ههنا تؤدي إلى معنى واحد.

(١) الزَّياد: نوع من النبات. وقد زيَّد القتاد وأزبد إذا اشتدَّ عوده ، اللسان مادة زيد .

(٢) العُلاَّم :ضرب من الحمض. وروى أنه الحناء ، اللسان مادة (علم) .

(٣) الثقاء : دويبة تلسع وقيل الثقاءة حبة الخردل . المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى وآخرون ، تحقيـق : مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة مادة (ثفأ) .

(٤) البيت في المحتسب ٨٧/١ولم ينسبه لشاعر معين وذكر أنه لأحد المولدين.

(٥) المحتسب ٨٨/١.

(٦) هو محمد بن عمر بن واقد، أبوعبدالله الواقدي، المدني، البغدادي، روى القراءة عن نافع وعيسـى بـن وردان ورى عنه محمد بن سعد، توفي سنة ٢٠٩هـ ببغداد، طبقات القراء ٢١٩/٢.

(٧) المحتسب ١٩٥/١.

ومما خرجه على هذا النوع من الدلالة الصوتية ونبه فيه إلى تلامح كلام العرب وإعجابه به قراءة عاصم الجحدري : "وغزرتموهم"(١) خفيفة(٢).

قال أبوالفتح : "عزرت الرجل أعزره عزراً : إذا أحطته وكيفته وعزَّرته فخَّمت أمره(٣) فكأنه لقربه من الأزر وهو التقوية ونحوه: عزر اللبن وحزر إذا حمض فأشتدَّ"(٤).

وفي تخريجه لقراءة :﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفَسِكُمْ﴾ (٥).

قال أبوالفتح :معناه من خياركم، ومنه قولهم هذا أنفس المتاع، أي أجوده وخياره،واشتقه من النفس،وهي أشرف ما في الإنسان(٦).

وفي تخريجه لقراءة الزهري:(سكرت) (٧). خفيفة

قال أبوالفتح : أي جرت مجرى السكران في عدم تحصيله، والسَّكر عندنا من سَكْر العربة(٨) ونحوها ؛ وذلك أنه يعترض على الماء،ويسد عليه مذهبه ومتسربه، وكذلك حال السكران في وقوف فكره والاعتراض عليه بما يحيره، فلا يجد مذهباً وينكفي مضطرباً(٩).

وفي تخريجه لقراءة أبي جعفر وآخرين:(إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ) (١٠).

---

(١) سورة المائدة : ١٢.

(٢) قراءة العامة بتشديد الزاي.

(٣) ورد في اللسان : عزَّره : فخمه، اللسان مادة (عزر).

(٤) المحتسب ٢٠٨/١ وفي اللسان حرز اللبن أي حمض اللبن اللسان مادة (حرز)

(٥) سورة التوبة : ١٢٨.

(٦) المحتسب ٣٠٦/١.

(٧) سورة الحجر :١٥ وقراءة الجماعة (سكِّرت) بتشديد الكاف.

(٨) السكر: مصدر سَكَرَ النهر، لنَصَر، جعل له سداً،والعربة النهر الشديد الجري، المحتسب ٣/٢ وفي اللسان سَكِرَ النهر سكراً : سد فاه وكل شقٍّ سدَّ فقد سُكر، والسكر سدُّ الشق ومنفجر الماء اللسان مادة (سكر).

(٩) المحتسب ٣/٢.

(١٠) سورة النحل:٧.

قال أبو الفتح :الشَّق بفتح الشين، بمعنى الشِّق بكسرها[١]، وكلاهما المشـــقة، وكلاهما من الشَّق في العصا ونحوها؛ لأنه آخذ منها وواصل إليها كالمشقة التـــي تلحق الإنسان[٢].

ومما جعله من اختلاف الألفاظ لاختلاف المعاني تخريجه لقراءة ابن عباس: (أَلا تَعْلُو) [٣] بالعين معجمة.

قال أبو الفتح : غلا في قوله غلواً،وغلا السعر يغلو غلاءً، فصلوا بينهما فـــي المصادر وإن اتفقا في الماضي ... فاختلفت المصادر هنا لاختلاف المعاني ونحو هذا قولهم : وجدت الشيء وجوداً، ووجدت في الحزن وجداً، ووجدت في الضالة وجداناً، فجعلوا اختلاف المصادر فيها عوضاً مما كان يقتضيه أصل وضع اللغـــة من اختلافها أنفسها[٤].

ويذهب إلى أدقَّ من ذلك في تصاقب الألفـــاظ لتصـــاقب المعاني،وذلـــك أن الضمة والواو أقوى من الفتحة والألف لذلك خصوا (غلا) في القول بـــالغلو، لأن لفظ فعول أقوى من لفظ فعال، للواوين والضمتين، وضعف الألف والفتحتين،وذلك أنّ الغلو في القول أعلى وأعنى عندهم من غلاء السعر ويستشـــهد لهـــذا المعنـــى بآيات من القرآن منها قوله تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [٥].

وأما غلاء السعر فلا يدخل النار ولا يحرم الجنة[٦].

ومن ذلك أيضاً قراءة الحسن:﴿ وَفِصَلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [٧]. بدلاً من (فِصَالُه)

---

(١) وفي اللسان :الشِّق بالكسر: الجهد، وكأنه اسم والشَّق : فعل أي مصدر. اللسان مادة (شقق) .

(٢) المحتسب ٢/٧.

(٣) سورة النحل : ٣١ وقراءة العامة "ألا تعلو بالعين المهملة)."

(٤) المحتسب ٢/١٣٩ – ١٤٠.

(٥) سورة النساء: ١٧١.

(٦) المحتسب ٢/١٣٩ – ١٤٠.

(٧) سورة لقمان : ١٤.

قال: الفصل أعم من الفصال، لأنه مستعمل في الرَّضاع وغيره، والفصال هنا أوقع، لأنه موضع يختص بالرضاع، والأصل واحد. ويذهب إلى تقارب الألفاظ لتقارب المعاني في(ف ص ل) و(ف س ل) فمعناهما قريب من بعض، وذلك أن الفسل الدني من الناس، والدَّني هو الساقط، وإذا سقط الإنسان انقطع عن معظم ما عليه الناس، وكذلك قالوا : هو ساقط ومنقطع ومتأخر، فالمعنى إذا راجع إلى الانفصال والانقطاع(١).

فنلاحظ في هذه القراءات أنَّ المعاني اختلفت باختلاف الفونيمات الصوتية.

أما تقلب الأصل الواحد واجتماعه على معنى مشترك "الاشتقاق الأكبر" فهو يشير إلى أن هذا النوع من الاشتقاق وتلاقي المعاني مع اختلاف الأصول والمباني إلى أنه من لطف هذه اللغة "هكذا طريق صنعتها وملاءمة أجزائها وضم نشرها وشتاتها، فأن لم تطْبَن لها وتلاق بين متهاجراتها بدت – أي تباعدت وتنافرت – فرقا"وكانت حرية لاطفتها بالتعانق والالتقاء، فرفقا رفقاً ، لا عنفاً ولا خرقاً(٢).

فكأني أحس بين هذه السطور عالمنا ابن جني يفهم تماماً أن العلماء سيختلفون بعده على هذا النوع من الاشتقاق، فيحاول أن ينبه في كثير من المواضع إلى أنَّ هذا الأمر ليس قاعدة ثابتة مضطردة في كل اللغة، وإنما هو إحساس يأتي بعد التذوق وطول الممارسة، يحتاج إلى اللطف والرفق فيه.

ومما خرجه على هذا النوع من الاشتقاق الأكبر قراءة أبي بن كعب وآخرين"وحِرثٌ حِرْجٌ"(٣) فيشير أبوالفتح إلى أن هذا من تقلب الأصل الواحد إلى صور مختلفة يجمعها كلها معنى واحد، وهو ما سمَّاه في الخصائص بباب (الاشتقاق الأكبر) (٤) مثل تقلبات مادة (كلم) و(ملك)و(كمل) و(ل م ك)و(ل ك م) و(م ك ل) فإنها بعد تأملها تؤول إلى معنى واحد. كذلك أيضاً يقال:ح ج ر، ج ر ح، ح ر ج، ر ج ح، ج ح ر، رح ج (مهمل) فالتقاء معانيهما كلها إلى الشدة

---

(١) المحتسب ١٦٧/٢.

(٢) المحتسب ٣٥٨/١.

(٣) سورة الأنعام : ١٣٨،وقراءة العامة "وحرث حِجْرٌ"

(٤) الخصائص ١٣٣/٢ – ١٣٩.

والضيق والاجتماع . من ذلك الحِجْر وما تصرف منه، نحو : الحجر واستحجر الطين والحجرة، وكلها إلى التماسك والضيق، ومنه الحَرَج: الضيق والحِرج مثله، والحُرْجَةُ : ما التف من الشجر فلم يمكن دخوله، ومنه الجحر وبابه لضيقه، ومنه الجرح، لمخالطة الحديد للحم وتلاحمه عليه، ومنه رَجَحَ الميزان لأنه مال أحد شقيه نحو الأرض، فقرب منها وضاق ما كان واسعاً بينه وبينها.

و(حِرثٌ حرِجٌ) في معنى جحر، ومعناه عندهم أنها ممنوعة محجورة أن يطعمها إلا من يشاءون، أن يطعموه إياها بزعمهم[١].

وفي تخريجه لقراءة ابن عباس﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا﴾[٢] يقول أبو الفتح : الجدل اسم بمعنى الجدال والمجادلة، وأصل جدل في الكلام :القوة، منه قولهم غلام جادل: إذا ترعرع وقوي، وركب فلان جديله رأيه أي صمم عليه ولم يلن فيه.

ومنه الاجدل للصقر، وذلك لشدة خلقه ... وكذلك الجدال إنما هو الأقتواء[٣] على خصمك بالحجة ويستشهد لذلك بقوله تعالى ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[٤] أي مغالبة بالقول وتقوياً[٥].

ومما خرجه على تقلب الأصل الواحد واجتماعه على معنى مشترك قراءة ابن عباس وآخرين "تَكْلِمُهُمْ"[٦].

قال أبو الفتح "تَكْلِمُهُمُ" تجرحهم بأكلها إياهم، وهذا شاهد لمن ذهب في قولهم : وتكلمهم إلى أنه بمعنى تجرحهم بأكلها إياهم، ألا ترى أن تكلمهم لا يكون إلا مع الكلم،وهو الجرح،وهذه المادة مما وضعته العرب عبارة عن الشدة، هي وتقاليبها الستة :ك ل م، ك م ل، م ل ك، ل ك م، م ك ل، ل م ك، وقد ذكر معانيها المختلفة في كتابة الخصائص[٧].

---

(١) المحتسب ٢٣١/١ – ٢٣٢

(٢) سورة هود: ٣٢. وقراءة العامة "فأكثرت جدالنا".

(٣) أفتوى عليه : تشدد وكان ذا قوة المحتسب ٣٢١/١.

(٤) سورة الكهف : ٥٤.

(٥) المحتسب ٣٢١/١.

(٦) سورة النمل : ٨٢ وقراءة العامَّة (تُكَلِّمُهُمْ).

(٧) الخصائص ٥/١.

ومن ذلك قراءة : في قوله: ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [1] فمعاني ملك إذن إلى القوة[2].

وفي تخرجه لقراءة عبدالكريم الجرزي[3] ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾[4] قال: هذا من قولهم وكن الطائر إذا استقرَّ في وُكنته، وهي مقره ليلاً، وهي أيضاً عشه الذي يبيض فيه ووكره ومنه قوله :

وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها * بِمُنجَرِدٍ قَيدِ الأَوابِدِ هَيكَلِ [5]

وقد وكن يكن وكوناً، فهو واكن، وجمعه وكون، كقاعد وقعود وكأنه من مقلوب الكون؛ لأن: الكون الاستقرار، وعليه قالوا : قد تكوَّن في منزله واستقرَّ[6].

---

(١) سورة يس : ٨٣.

(٢) المحتسب ٢/٢١٧ – ٢١٨.

(٣) هو عبدالكريم بن مالك الأموي، روي عن المسيب ومقسم وروي عنه ابن جني جريح والسفيانان، ثقة، ثبت، مات سنة ١١٧هـ الخلاصة ٢٠٥، المحتسب ٢/١٦٨.

(٤) سورة لقمان : ١٦.

(٥) البيت لأمري القيس في معلقته، اغتدى : أخرج باكراً، والوكنات، مواقع الطير واحدتها وكنة، المنجرد، الماضي في السير، الأوابد : الوحوش الهيكل : الفرس العظيم – شرح المعلقات السبع – للزوزني، تحقيق د. محمد عبدالقادر أحمد ص: ١٤٦ . شرح المعلقات السبع للقاضي أبي عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني ، تقديم عبدالرحمن المصطاوي ، ط ٢، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م ، دار المعرفة بيروت، لبنان، ص ٤٩.

(٦) المحتسب ٢/١٦٨.

المطلب الرابع

العلاقة بين الصوت والمعنى

اختلف العلماء منذ زمن قديم حول العلاقة بين اللفظ والمدلول، وثارت تساؤلات عدة حول طبيعة هذه الصلة، أهي صلة طبيعية، أم أنها اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس بمحض آراداتهم؟، وقد كان للقدماء من مفكري الرومان واليونان والعرب وقفة عند هذه القضية وانقسموا فيها إلى فريقين : فريق يرى أن هذه الصلة بين الألفاظ ودلالتها لا تعدو أن تكون صلة اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس[١] ، وفريق آخر يربط بين الألفاظ ومدلولاتها ربطاً وثيقاً، ويجعلها سبباً طبيعياً للفهم، ولا تؤدي الدلالة إلا به، ونلحظ هذا الاتجاه فيما يرويه أفلاطون في محاوراته عن أستاذه (سقراط) الذي كان يميل إلى هذا الرأي[٢].

أما العلماء العرب فقد انقسموا أيضاً إلى فريقين : فريق ينتصر للفكرة الطبيعية الذاتية وأشهر من عرف عنهم (المعتزلي عبّاد بن سليمان الصيمري، فقد نقل عنه أنه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع ... ويروي عنه أنه كان يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل ما مسمَّي (إذغاغ) وهو بالفارسية الحجر، فقال أجد فيه يبساً شديداً وأراه الحجر[٣].

ويشير ابن جني في كتابه الخصائص إلى أن هذه المناسبة بين اللفظ ومدلوله قد تنبه إليها علماء اللغة القدامى كالخليل وسيبويه[٤].

ويذهب السيوطي إلى أن أهل العربية قد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني[٥] . والفريق الثاني من اللغويين العرب لا يأخذون بهذا الرأي فأهل السنة لا يقولون بذلك ويقولون أنه سبحانه وتعالى يفعل الأصلح، لكن فضلاً منه ومَّنَا لا وجوباً . ولو شاء لم يفعله[٦].

---

(١) دلالة الألفاظ – إبراهيم أنيس –ص ٤٧.

(٢) السابق والصفحة .

(٣) المزهر للسيوطي : ط دار إحياء الكتب العربية ٤٧/١.

(٤) الخصائص ١٥٢/٢.

(٥) المزهر – للسيوطي ٤٧/١.

(٦) المصدر السابق ٤٧/١ – ٤٨.

أما عالمنا ابن جني، فقد كان مغرماً بتلك الصلة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها، فعقد لها في خصائصه فصولاً أربعة، متلمساً هذه الصلة فيما يعرض له من ظواهر صوتية، معتمداً على قوة في التصريف أورثته دقة النظر في الأصوات، وجرس الحروف، طبع في ذهنه دلالات خاصة، لكثرة معاملته معها.

والأبواب التي عقدها في الخصائص هي:-

* باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني(١).

* باب الاشتقاق الأكبر(٢).

* باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني(٣).

* باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني(٤).

إضافة إلى أنه حين تحدث عن أصل اللغة.أإلهام هي أم اصطلاح ؟ ذكر أن هناك رأياً يذهب إلى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعة إذ يقول:"وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوى الريح وحنين الرعد، وخرير الماء، ونعيق الغراب وصهيل الفرس ... ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل"(٥).

ويذكر ابن جني في هذه الأبواب وفي مواضع غيرها من خصائصه وكتبه الأخرى الكثير من الأمثلة التي تؤكد وجود العلاقة الطبيعية بين الصوت ومدلوله، ويشير علماء اللغة المحدثون إلى أن هذا الضرب من الألفاظ التي تحاكي الطبيعة له ما يماثله في جميع اللغات تقريباً، بل يرى بعض المحدثين أن اللغة الإنسانية قد نشأت من محاكاة الإنسان للأصوات الطبيعية(٦).

---

(١) الخصائص ٢/١١٣ – ١٣٣.

(٢) السابق ٢/١٣٣ – ١٣٩.

(٣) السابق ٢/١٤٥ – ١٥٢.

(٤) السابق ٢/١٥٢ – ١٦٨.

(٥) السابق ١/٤٦ – ٤٧.

(٦) فقه اللغة- علي عبدالواحد وافي – ط٥ – إبريل ٢٠٠٧م دار النهضة مصر، ص ١٣٦.

وابن جني لا يدعي سبقه في هذا الباب، بل يشير إلى جهود سابقيه من العلماء إذ يبدأ حديثه في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) [١].

فيذكر أن الخليل وسيبويه قد أشارا إلى هذا الموضع، وأن الجماعة قد تلقته بالقبول له والاعتراف بصحته. فينقل عن الخليل أنهم توهموا في صوت الجندب استطالة مِدًّا، فقالوا : (صرَّ) وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صر صر، وسيبويه لاحظ أن المصادر التي تأتي على وزن "الفَعَلاَن"تدل على الاضطراب والحركة نحو الغَلَيان والنَقَزان، فقابلوا بتوالي حركات المثال، توالي حركات الأفعال[٢].

ويتابع ابن جني ما بدأه الخليل وسيبويه، فيذكر أنه قد وجد من هذا الحديث أشياء كثيرة، ويصرح بأن أمثلته تجرى على سمت ما حداه الخليل وسيبويه ومنهاج ما مثلاه ويمكنني تلخيص منهجه في هذه الأبواب على النحو التالي:

١/أن المصادر الرباعية المضعفة تأتي لتكرار الحدث في الواقع نحو: الزعزعة والقعقعة والقلقلة، والصلصلة والقرقرة ونحوها . فيهي مصادر للأفعال الرباعية :زعزع، وقعقع، وقلقل، وصلصل، وقرقر...

فنلاحظ أن الزيادة في المعنى هنا ليست مجرد صنعة ،إنما تؤدى وظيفة دلالية أي أن المثال المكرر للمعنى المكرر[٣]. وسيأتي الحديث عن زيادة المعنى لزيادة المبني في المبحث الخاص بالدلالة الصرفية، والذي يهمنا في هذا الموضع هو العلاقة بين هذه الأصوات والمعاني التي تدل عليها.

٢/ أن وزن (فَعَلَى) في المصادر والصفات للسرعة نحو البشكي[٤] والجمري[٥] والولقي[٦] فهي جميعاً تفيد السرعة . فالمثال الذي توالت حركاته

---

(١) الخصائص ١٥٢/٢.

(٢) الكتاب ١٤/٤ والخصائص ١٥٢/٢.

(٣) الخصائص ١٥٣/٢.

(٤) البشكي : صفة للناقة السريعة – اللسان مادة (ب ش ك).

(٥) الجمري : للحمار السريع – اللسان مادة (ج، م، ز).

(٦) الولقي : عدوُ فيه نزو – اللسان مادة (ج و ز).

للأفعال التي توالت الحركات فيها. فتوالى الحركات هو قالب شكلي معين يتكــون من خلال تجمعات صوتية مختلفة، وتفيد معنى واحداً، كما يفيد في المثال الســابق معنى السرعة فيها جميعاً.

٣/ أن ترتيب الحروف في الكلمات يقابل ترتيب الأفعال التي تدل على تلــك الكلمات ؛ فوزن (استفعل) في أكثر الأمر للطلب نحو:

استسقي : طلب السقيا.

استطعم : طلب الطعام.

استوهب : طلب الهبة.

واستمنح : طلب منحاً[١].

فرتبت في هذه الأمثلة الحروف على ترتيب الأفعــال ؛ لانّ وزن اســتفعل، (الألف والسين والتاء) فيه زائدة – و (الفاء والعين والــلام) _ أصــلية فجــاءت الحروف الزائدة قبل الحروف الأصلية لأنها وضعت للالتماس والمسألة، وهما قبل حدوث الفعل لأنهما طلب له[٢].

٤/ جعلوا تكرار العين في المثال(الأصل) يقابل تكرار الحدث نحــو: كسَّــر وقطَّع وغلَّق، وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني . فأقوى اللفظ ينبغــي أن يقابل به قوة الحدث، وكرروا العين لأنها في الميزان الصرفي أقوى مــن الفــاء واللام ؛ لأنها واسطة لهما. وهما سياج لها وقلما يحدث الحذف فيها[٣].

٥/ أن تكرار العين واللام في البناء، يدل على المبالغة في المعنى والأصــل هو تكرار العين وتكررت اللام تبعاً لهــا، نحــو : الصــمحمع[٤] والعركــرك[٥] والقشمشم[٦] .

---

(١) الخصائص ١٥٣/٢.

(٢) السابق والصفحة .

(٣) السابق ١٥٥/٢.

(٤) الصمحمع : الرجل الشديد، اللسان مادة (صمح).

(٥) العركرك :القوي الغليظ، اللسان مادة (عرك).

(٦) العشمشم : من يركب رأسه ولا يتنازل، اللسان مادة (قشم).

٦/ ويذهب ابن جني إلى أبعد من ذلك في عقد الصلة بين أصوات الألفاظ وما تدل عليه من أحداث، وأن الأبنية بأصوات حروفها تقابل أصوات الأحداث أو الأفعال التي تدل عليها نحو."الخضم والقضم"فالخضم : لأكل الرطب كالبطيخ، والقضم : للصلب كالشعير ومثله ؛ فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث، ومن ذلك قولهم، النضخ : للماء القوي، والنضح : للماء الضعيف فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظتها لما هو أقوى منه[١].

وهذا الربط بين دلالة الكلمة وجرس أحد حروفها، هو ما أشار إليه علم اللغة الحديث "أنَّ الانتقال من الفونيم الذي يدل على نفسه بنفسه، إلى الكلمة التي تدل على شيء آخر، ليس انتقالاً كبيراً، إذا وضع الإنسان في ذهنه منذ البداية أن الكلمات تتألف من فونيماتٍ خاصة ، وأن المعاني التي تنشأ من ضم الكلمات في تركيباتٍ تامة – أي الجمل – تختلف تماماً عن معاني الكلمات في حال انفرادها"[٢].

فنراه يحاول أن يربط بين ما يوحي به الفونيم بمعنى الكلمة، الذي هو كتلك العلاقة القائمة بين الكلمة والتركيب.

فمن هنا نلاحظ سبق ابن جني لعلم اللغة الحديث، في إدراك هذه القيمة التعبيرية للفونيم.

وهو يسوق لنا في الخصائص والمحتسب العديد من الأمثلة التي تدل بوضوح على مضمون ما تكلم به علم اللغة الحديث.

أما القراءات التي خرجها في المحتسب على هذا النوع من الدلالة الصوتية فهي عديدة حاول ابن جني من خلالها أن يثبت هذه القيمة التعبيرية للصوت المفرد.

---

(١) الخصائص ٢/١٥٧.

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب عبدالكريم مجاهد ص ٢١٤.

من ذلك قراءة الزهري :(وإذ فرَّقنا بكم البَحْرَ) [١] مشددة[٢].

قال أبو الفتح : معنى فرَّقنا أي جعلناه فرقا، ومعنى فرَّقنا : شققنا بك البحر، وفرقنا أشد تبعيضاً من فَرَقنا[٣].

فنلاحظ أن التضعيف هنا أفاد قوة في المعنى وفي تخريجه لقراءة :(يا حسرةَ على العباد) [٤].

يشير إلى أن الأصوات تابعة للمعاني فمتى قويت قويت ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك من ذلك قولهم : قَطَعَ وقطَّعَ، وكسَرَ وكسَّر، فزادوا في الصوت لزيادة المعنى[٥].

وغير ذلك الكثير من الكلمات التي اكتسبت دلالة جديدة بإضافة فونيم على فونيماتها الرئيسية، وسيأتي الحديث عن هذا النوع من الدلالة في الدلالة الصرفية إن شاء الله.

أما القيمة التعبيرية للصوت المفرد التي كان عالمنا مغرماً بإثباتها في مختلف كتبه، فقد خرَّج عليها العديد من القراءات التي حاول جاهداً أن يثبت فيها العلاقة بين الصوت ومدلوله .

ومن ذلك قراءة أبي العالية[٦] (رجس) بالسين في ﴿رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾[٧][٨].

قال أبو الفتح :كل شيءً يستقذر عندهم فهو رجس، كالخنزير ونحوه. وقيل : الرجس في القرآن :العذاب، كالرجز، ورجس الشيطان وسوسته وهمزه، والرجز

---

(١) سورة البقرة : ٥٠.

(٢) وقراءة الجماعة : "فرقنا"مخففة.

(٣) المحتسب ٨٢/١.

(٤) سورة يس : ٣٠وقراءة الجماعة (يا حسرة) بالتنوين.

(٥) المحتسب ٢٠٨/٢.

(٦) هو رفيع بن مهران، أبوالعالية الرياحي، من كبار التابعين، أسلم بعد النبي ﷺ بعامين، أخذ القرآن عرضاً عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت وآخرين، وقرأ عليه شعيب بن الجيعاب وأبوعمرو وغيرهم، مات سنة ٩٠هـ وقيل سنة ٩٦هـ، طبقات القراء ٢٤٨/١.

(٧) سورة الأنفال : ١١.

(٨) وقراءة العامة (رجز) بالزاي.

:عبادة الأوثان ... وقد ترى إلى تزاحم السين والزاي في هذا الموضع، فقراءة الجماعة: ﴿رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ معناه كمعنى رجس الشيطان .

وهو يشير في هذا الموضع :إلى أنه نبه إلى هذا النوع من تزاحم الحروف المتقاربة في كتابه الخصائص[١] كما أنه لا يدعي أن هذا الأمر واقع في كل اللغة بل يذكر أن ما في بعضه كلٌّ مقنع بمشيئة الله[٢].

وفي تخريجه لقراءة عليَّ عليه السلام – وآخرين ﴿قَدْ شَعَفَهَا﴾[٣] بالعين[٤].

قال أبو الفتح : معناه وصل حبه إلى قلبها، فكاد يحرقه لجدته، وأصله من البعير يهنأ بالقطران فيصل حرارة ذلك إلى قلبه ويستشهد لهذا المعنى لقول الشاعر:

أيقتلني وقد شعفت فؤادها * كما شعف المهنوءة الرجل الطالي[٥]

ويشير إلى أن شعفها بالعين يلتقي مع قراءة الجماعة : "شغفها" بالعين معجمة، وتأويله أنه خرق شغاف قلبها . وهو غلافه، فوصل إلى قلبها[٦].

وفي تخريجه لقراءة الحسن: ﴿يَنْحِتَونَ﴾ [٧]. يذكر أن فتح الحاء هنا لأصل الحرف الحلقي ... فالعرب تقارب بين الألفاظ والمعاني إذا كانت عليها أدلة وبها محيطة.

ففي (نحَت) و (نَحَط) فقد قالوا يخط ليخط ، إذا زفر في بكائه فكأن ذلك الضغط الذي يصحب الصوت لينال من آلة النفس ويخنها ويسفنها ، فيكون

---

(١) الخصائص ٨٢/٢ – ٨٨.

(٢) المحتسب ٢٧٦/١.

(٣) سورة يوسف : ٣٠.

(٤) قراءة العامة "شغفها" بالغين .

(٥) البيت لامرئ القيس، المهنوءة : من هنأت الناقة : إذا طليتها بالقطران، وهي تستلذه حتى تكاد يغشى عليها الديوان ٢٣٣ والمحتسب ٣٣٩/١ هامش (٤).

(٦) المحتسب ٣٣٩/١.

(٧) سورة الحجر : ٨٢ .

كالنحت لما ينحت؛ لأنه نحيَّف له وأخذ منه [١]. ويستشهد لذلك بتركيب عصر، وعسر، وعزر.

فالعصر: شدة تلحق المعصور.

والعسر : شدة الخلق.

والتعزير للضرب، وذلك شدة لا محالة.

ومن ذلك اختلافهم في قراءة ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [٢] وقرأ ابن عباس (حَضَب) بالضاد مفتوحة.

وقرأ علي بن أبي طالب : (حطب) بالطاء.

فذهب أبوالفتح إلى أنه : إنما يقال حَصَبٌ إذا أُلقي في الموقد، فأما ما لم يستعمل فلا يقال له حَصَب، وأصل الحصب الرمي مطباً كان أو غيره[٣].

ومن ذلك قراءة الحسن وآخرين : ﴿وَفِصَلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[٤].

قال أبوالفتح: ومعني ف ص ل، قريب من معني ف س ل، وذلك أن الفسل الدني من الناس والدنيّ هو الساقط، وإذا سقط الإنسان انقطع عن معظم ما عليه الناس، ولذلك قالوا فيه هو ساقط ومنقطع ومتأخر، فالمعني إذاً راجع إلى الانفصال والانقطاع[٥].

وما تقاربت معانيه لتقارب أصواته ما ذكره في تخريجه لقراءة الحسن (فُرِع) بالزاي الخفيفة وبالعين[٦]. وقرئت (فَزَّع) بالراء بفتح الفاء والدال (فَزَّع) و(فُزَع) و(فُزِّع) فما روي عن عيسي بن عمر أنه كان يقرأ: "حتى إذا أفرنقع عن قلوبهم".

---

(١) المحتسب ٦/٢.

(٢) سورة الأنبياء : ٩٨.

(٣) المحتسب ٦٦/٢ – ٦٧.

(٤) سورة لقمان الآية ١٤.

(٥) المحتسب ١٦٧/٢.

(٦) سورة سبأ: ٢٣، وقراءة العامَّة.

قال أبو الفتح: المعني في جميع ذلك: حتى إذا كشف عن قلوبهم.. ومعني فزع مع معني فرغ في أن الفزع: قلق ومفارقة للموضع المقلوق عليه والفراغ: إخلاء الموضع، فهما من حيث تري ملتقيان.

وكذلك معني (افرنقع) القوم عن الشيء أي: تفرقوا عنه(١).

ومن ذلك قراءة الحسن: "فراغ عليهم سفقاً باليمين"(٢).

قال أبو الفتح: قد قالوا: صفقت الباب، وسفقته، والصاد أعلى، وقالوا أيضاً أسفقته إسفاقاً، وقالوا في التصفيق: التصفاق إذا كثر ذلك،... وروي عن الحسن أيضاً (صفقاً)(٣).

فنري ابن جني في تخريجه لهذه القراءات يحاول أن يربط بين أصوات الكلمات المختلفة، وما توحي إليه من دلالات، وهو يري أن ما لاحظه من الأمثلة، شاهد على حكمة العرب وذكائها، وما وفقها الله إليه من معرفة، وهو في الخصائص يشير إلى أن ما ذكره تؤيده شواهد كثيرة، وهو أن العرب تسمي الأشياء بأصواتها، كالبط لصوته، والواق للصرد لصوته، وتشتق أفعالاً من الأصوات كقولهم: حاحيت وعاعيت وهاهيت، إذا قلت: حاء وعاء وهاء. وهي أصوات الزجر للحيوان والأمر في هذا وأضرابه واسع)(٤).

وهو -كما رأينا- لا ينسب لنفسه شيئاً بل يذكر الفضل للمتقدمين كالخليل وسيبويه.

وقد اختلف علماء اللغة المحدثون حول هذه الفكرة التي حاول ابن جني إثباتها في مواضع كثيرة من كتبه المختلفة، وقد عرفت في العصر الحديث بنظرية القيمة التعبيرية للحرف في الكلمة العربية(٥).

---

(١) ويحكي في هذا المعني (افرنقع بمعني: تفرق) قصة طريفة لأبي علقمة النحو وقد ثار به المُزارُ، فاجتمع الناس عليه، فلما أفاق قال: ما يا كم تكأكأتم (أي تجمعتم) كتكأكئكم على ذي جنة (الجنون)؟ افرنقعوا. فقال بعض الحاضرين إن شيطانه يتكلم بالهندية. المحتسب ١٩٢/٢- ١٩٣.

(٢) سورة الصافات: ٩٣.

(٣) المحتسب ٢٢١/٢.

(٤) الخصائص ١٦٥/٢.

(٥) فقه اللغة وخصائص العربي، محمد المبارك، ص: ١٠٣، ودراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ص١٤١.

ومع إعجابي الشديد بالأمثلة والنماذج التي ذكرها ابن جني في كتبه المختلفة لإثبات القيمة التعبيرية للحرف الواحد، إلا أنني مع علماء اللغة المحدثين فـــي أن هذه الأمثلة لا تكفي لاستنتاج قانون عام للأصوات في اللغة.

ويذهب أحد العلماء المحدثين إلى أن معظم ما يستشعره أهل اللغة من ذلـــك التناسب بين الألفاظ والمعاني أمر مكتسب نشأ بعد معرفة السامع بالمعني، لا قبله، ولذلك يصعب على الأجنبي أن يحس بهذا التناسب، ما لم يعرف اللغة، فإذا عرفها وألف طريقة تركيبها وتذوق ألفاظها، أمكنه أن يربط بين الأصوات ومعانيها[١].

---

(١) مدخل إلى فقه اللغة العربية، أحمد محمد قدور.

المطلب الخامس

الدلالة الصوتية المطردة أو دلالة الفوينمات فوق التركيبة

(Suprasegmenal phonemes)

وهي دلالة تعتمد في التحليل على الفوينمات فوق التركيبية، ويسميها بعضهم بالفوينمات الثانوية، إلا أنها لا تقل أهمية عن الفونيمات الأساسية بل قد تفوقها أحياناً، لذلك سماها آخرون بالظواهر التطريزية Prosodic Features فهي إذن الملامح الصوتية التي تصاحب الكلام وتؤدي وظيفة دلالية وأهمها:

النبر: Stress

التنغيم: Intonation

المقطع الصوتي: Syllable [(١)].

أولاً: النبر Stress

النبر في اللغة معناه البروز والظهور ومنه المنبر في المساجد[(٢)].

وهو في الدرس الصوتي الحديث يعني: "نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح نسبياً من بقية المقاطع التي تجاوره"[(٣)] فهو يعتمد في تعريفه على القوة التي تصاحب إخراج الهواء من الرئتين؛ إذ إن كمية الهواء المندفعة تختلف من صوت إلى آخر فيترتب عليه أن تكون بعض الأصوات أكثر وضوحاً في السمع من الأصوات الأخرى، وهو ما يعرف بـ(النبر)[(٤)] فهو إذن ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها، فيحتاج معه المتكلم إلى طاقة وجهد عضلي في جميع أعضاء النطق في وقت واحد.

فهو يعتمد في تعريفه على القوة التي تصاحب إخراج الهواء من الرئتين؛ لأن إصدار النفس عند خروجه من القصبة الهوائية لا يحدث بصورة منتظمة فيلاحظ دائماً أن واحداً أو أكثر من الأصوات في الكلمة المنطوقة، أو الجملة،

---

(١) علم الأصوات- كمال بشر، ص ٤٩٧.

(٢) اللسان مادة (نبر) .

(٣) علم الأصوات- كمال بشر، ص٥١٢.

(٤) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة- د. فوزي الشايب، ص ١٥٧.

يكون أكثر وضوحاً في السمع من الأصوات الأخرى. ودرجة القوة التي ينطق بها الصوت أو المقطع، هي ما يعرف بـــ(النبر)[(١)].

وعرَّفه الدكتور تمام حسان بأنه: "ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة فـــي السمع عن بقية ما حوله من أجزائها"[(٢)]، وعند النطق بـــالمقطع المنبـــور يحتـــاج المتكلم إلى طاقة وجهد عضلي لجميع أعضاء النطق في وقت واحد[(٣)].

والنبر يختلف من لغة إلى أخرى فهو في بعض اللغات يكون ملمحاً تمييزيـــاً يؤدي وظيفة لغوية فيؤثر في تغيير المعني، ويسمي هـــذا النـــوع مـــن اللغـــات بـــ(اللغات النبرية) كالإنجليزية والروسية والدنماركية. وهناك لغات لا يكون للنبر فيها أي وظيفة فونيمية وتسمى بـــ(اللغات غير النبرية) كاللغة العربية واليابانية[(٤)].

والنبر بهذا المفهوم شيء جديد على الدراسات اللغوية، وكانت تطلق كلمـــة النبر ويراد به الهمز، وفي اللسان: النبر هو: همز الحرف[(٥)]. ونجد سيبويه يصف الهمزة بأنها: "نبرة تخرج من الصدر باجتهاد"[(٦)].

أما موضع النبر من الكلمة العربية فلا نجد له تحديداً عند علمـــاء العربيـــة القدماء، وأول من قام بتحديد النبر في الكلمـــة العربيـــة المستشـــرقان الألمانيـــان (كريستين Kirsten) (وأربنيوس Erpenius) في أوائل القرن السابع عشر[(٧)].

وكانت محاولاتها هي الأساس الذي اعتمد عليه اللغويون فيما بعد، فوضـــع الدكتور إبراهيم أنيس قاعدته في معرفة مواضع النبر في الكلمة العربية المعمـــول بها الآن[(٨)].

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة- أ. د. فوزي الشايب ، ص١٥٧.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها- تمام حسان ص: ١٦٠.

(٣) الدلالة اللغوية عند العرب- عبد الكريم مجاهد- ص ١٦٩.

(٤) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة- أ. د. فوزي الشايب- ص ١٥٨.

(٥) اللسان مادة (نبر).

(٦) الكتاب – سيبويه- ص ٥٤٨.

(٧) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة – أ. د. فوزي الشايب- ص ١٥٩- ١٦٠.

(٨) الأصوات اللغوية- إبراهيم أنيس- ص ١٧٢.

ولكن عدم تعريف المصطلح، وعدم تحديد مواضع النبر في الكلمة العربية لا يعني عدم وجود أثر له في اللغة العربية؛ فهو المسئول المباشر عن تطور الكثير من الصيغ والأبينة الصرفية كما سيتضح لنا.

فإذا نظرنا إلى صيغ كـ(فَهِمَ وفَهِيْم) فإننا لا نتردد في الحكم بأن صيغة (فعِل) ها هنا قد تولدت عن (فعيل) عن طريق انتقال النبر من المقطع قبل الأخير مما أدى إلى انكماش هذا المقطع واختزال حركته الطويلة[١] هكذا:

فَهِمَ # ص ح/ ص ح/ ص ص#

فَهِيمِ # ص ح/ ص ح ح/ ص ح#

وعلى أساس النبر وحده نفسر وجود فعالل وفعاليل في تكسير الخماسي وتصغيره: فعالل وفعاليل

فعالل سفارج # ص ح/ ص ح ح/ ص ح ص #

فعاليل سفاريج # ص ح/ ص ح ح/ ص ح ح ص#

فنلاحظ هنا تغير النبر من المقطع قبل الأخير إلى المقطع الأخير.

فيقول لنا النحاة في سفرحل: يمكننا أن نقول: سفارج وسفاريج وفي تصغيرها: سفيرج وسفيريج[٢].

ويرجع السبب في هذا الاحتلاف إلى اللهجات، فكل قبيلة لها صيغة معينة من هذه الصيغ، والفرق بينهما يكمن في موضع النبر،الذي يقول سفارج وسفيرج: يوقع النبر على الفاء، أمَّا الذي يوقع النبر على الراء فيقول: سفاريج وسفيريج.

وعلى أساس النبر وحده نستطيع أن نفسر كثيراً من الظواهر اللهجية قديماً وحديثاً، من ذلك الوقف بالتضعيف على آخر الكلمة كقولك: هذا خالدّْ، حدثنا بذلك الخليل عن العرب فالذين يقفون بتشديد الآخر إنما يوقعون النبر على المقطع الأخير مما يزيد في حجم وصوامته وكميته.

وكتابتها الصوتية:

خالدْ – دون تضعيف # ص ح ح– ص ح ص#

---

(١) العلامة (/) تحت المقطع دليل على المقطع المنبور.

(٢) الكتاب ١٦٥/٤.

خالدً- بالتصنيف # ص ح ح - ص ح ص ص #

وإلى جانب ذلك نستطيع أن نفسر ما يشيع في بعض اللهجات الدارجة الحديثة في ليبيا والإسكندرية وغرب السودان من تحويلهم نُفعِل إلى نفعُلوك هكذا:

نفعل إلى نفعلوك:

نُفْعِلُ # ص ح ص/ ص ح/ ص ح#

نُفْعِلوكْ # ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص#

تغير موقع النبر من المقطع الثالث من الأخير (العين إلى المقطع الأخير).

مثل نكرمك ونخدمك يقولون: نكرموك ونخدموك.

وعلى أساس النبر وحده نفسر تحول بناء (فَعيل) إلى (فِعيل) عند بعض العرب قديماً وحديثاً، فنسمع في الدارجة شِديد وكِبير وحِمير وقد قيَّد النحاة هذه الظاهرة في فعيل بالحرف الحلقي العين فقط مثل (شعِير ورغِيف وشهِيق وزئِير فقالوا: كل اسم على فعيل ثانيه حرف حلقي يجوز فيه إتباع الفاء العين نحو بعير وشِعير، ورغِيف ويذكر ابن جني ذلك في الخصائص ويروى عن الأصمعي: أن شيخاً من الأعراب سأل الناس، فقال: أرحموا شيخاً ضِعيفاً"[١].

من خلال هذا الكلام نفهم أن هذه الظاهرة مقيدة بما هو حلقي العين ولكن علم اللغة الحديث يرفض هذا التقييد لأسباب ذكرتها في فصل الدراسة الصوتية عند حديثي عن ظاهرة (فتح الحرف الحلقي) والذي يهمني في هذا الموضع هو أن تفسير هذه الظاهرة علماء اللغة المحدثين هو النبر فحسب أي أن المقطع المنبور في صيغة (فعيل) وهو (عي) قد أثر في حركة المقطع السابق له فجعلها مماثلة لحركته لأجل الانسجام الحركي[٢].

من هنا نخلص إلى أن النبر هو السبب المباشر في كثير من التغيير الذي يحدث لكثير من الصيغ العربية، في اللهجات القديمة والحديثة ومع أن ابن جني في المحتسب لم يستخدم النبر في تخريجه لعدد منها والتي كان انتقال النبر فيها

---

(١) المنصف لابن جني ١٩/١ - المزهر - للسيوطي ٩٠/٢.

(٢) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ص ١٧٥- ١٧٦.

هو السبب الرئيسي في اختلافها فعلى أساس النبر وحده نفسر قراءة أبي جعفر يزيد: (للملائكة اسجدوا)(١).

يقول أبو الفتح: هذا ضعيف عندنا جداً وذلك أن الملائكة في موضع جر، فالتاء إذن مكسورة ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من اسجدوا لسقوط الهمزة أصلاً إذا كانت وصلاً، وهذا إنما يجوز ونحوه إذا كان ما قبل الهمزة حرف ساكن صحيح نحو قوله عز وجل (وقالت أخرج). وأدخل أدخل، فضم لالتقاء الساكنين ليخرج من ضمة إلى ضمة، كما كنت تخرج منها إليها في قولك أخرج فأما ما قبل همزته هذه متحرك -لاسيما حركة إعراب- فلا وجه لأن تحذف حركته وتحرك بالضم(٢).

وضعف هذه القراءة غيره من العلماء(٣).

فنجد العلماء يتخبطون في الحكم على هذه القراءة وتعليلها سهل ميسور، وهو أن الضم في التاء كان بفعل النبر ليس غير(٤).

والتحليل الصوتي لذلك:

الأصل للملائكة أسجدوا ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح/

(تِ إ س) (ص ح/ ص ح ص)

فحولت إلى تسـ (ص ح ص)

ومن ذلك قراءة ابن محيصن (ولا يضارّ)(٥). بتشديد الراء وضمها. قال ابن مجاهد لا أدري ما هي؟ وذهب أبو الفتح إلى أن هذا الذي أنكره ابن مجاهد معروف(٦). وذهب يعلل لذلك بتعليلات أري أنها تعقيد للأمر ولو أنه ذهب إلى تغيير موضع النبر وحده كان يكفي.

---

(١) سورة البقرة: ٣٤.

(٢) المحتسب ٧١/١.

(٣) الكشاف للزمخشري ٢٧٣/١.

(٤) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص ١٨.

(٥) سورة البقرة: ٢٨٢، وقراءة الجماعة: (ولا يضارَّ) بتشديد الراء وفتحها.

(٦) المحتسب ١٤٩/١.

والتحليل الصوتي:

يُضَارُ # ص ح/ ص ح ح/ ص ح/

يضارُّ # ص ح/ ص ح ح ص ص#

فانتقل موضع النبر من المقطع الثاني (ضا) إلى مقطع الأخير (ضارّ)

ثانياً: التنغيم

وصلته وثيقةٌ بالنبر فلا يحدث تنغيم دون نبر للمقطع الأخير من الجملة[١].

والتنغيم لغة هو:من النغْمِ والنَغَمِ وهو الكلام الخفيُّ:والنغمة: الكلام الحسن[٢].

وفي علم اللغة الحديث: (Intonation)

هو المصطلح الصوتي الدالُّ على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام[٣].

فالتنغيم إذن هو تغيير في موسيقي الكلام وذلك بحسب المشاعر والأحاسيس التي تنتاب المتكلم من رضا وغضب وبأس وأمل وتقرير واستفهام ونفي واستفهام وغيرها..

وعالمنا ابن جني كما عهدناه من علمائنا الأوائل الذين يجد عندهم الباحث إشارة أو عبارة، تصريحاً أو تعريضاً، لأي مسألة من مسائل اللغة، فإذاً ما بحثنا عن التنغيم في ثنايا كتبه فإننا سنجد عنده ما يشير إلى ظاهرة التنغيم الصوتي هذه بل إننا نجده يستخدم المصطلح نفسه في كتابه (سر الصناعة) في نهاية المقدمة حيث يقول: (هذا باب علم الأصوات والنغم)[٤].

ونجد له في الخصائص عدة نصوص فيها إشارة واضحة للتنغيم، من ذلك قوله:

(لفظ الاستفهام إذا ضامه معني التعجب استحال خبراً وذلك نحو قولك: مررت برجل، أي رجل. فأنت الآن مخبر لتناهي الرجل في الفضل ولست

---

(١) علم اللغة– محمود السعران، ص ٢١٠.

(٢)اللسان مادة (نغم) .

(٣)اللغة العربية مبناها ومعناها– تمام حسان، ص ٢٢٦.

(٤)مقدمة سر الصناعة.

مستفهما، .. وكقوله تعالى: (أأنت قلت للناس)[1] إذا لحقته همزة التقرير عاد نفياً أي ما قلت لهم[2].

وهذا النص واضح الإشارة إلى التنغيم إذ إنَّ ضم الاستفهام والتعجب لا يمكن حدوثه إلا بالتنغيم وأما قوله إذا لحقت همزة التقرير الجملة عادت نفياً، فإنه لذلك يتغير تنغيمها وبالتالي تتغير دلالتها من التقرير إلى النفي.

أما ابن جني في تخريجه للقراءات في المحتسب فيكفي أن نقف على قوله في تخريجه لقراءة الأعرج وآخرين: يَا حَسْرْ عَلَى الْعِبَادِ [3] ساكنة الهاء.

فذكر أبو الفتح أن الوقوف على (حسرة) بالسكون فيه نظر؛ لأن قوله (على العباد) متعلق بها، أو صفة لها، وكلاهما لا يحسن الوقوف عليها دونه، إلا أنه يري أن لذلك وجهاً في العربية، وهذا الوجه لعمري هو نفسه ما يعرف بالتنغيم مع أنه لم يذكر ذلك صراحة، وذلك أن العرب إذا أخبرت عن الشيء غير معتمدته، ولا معتزمة عليه، أسرعت فيه ولم تتأن عن اللفظ المعبر به عنه. ويستشهد بقول الشاعر:

*** قلنا لها قفي لنا قالت قاف ...** [4].

أي : وقفت

فاقتصرت من جملة الكلمة على حرف منها تهاوناً بالحال، وتثاقلاً عن الإجابة واعتماد المقال. ويكفي في ذلك قول الله سبحانه: ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ﴾[5]. قالوا في تفسيره: هو كقولك: لا والله، وبلي والله، فأين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثبت فيه والإشباع له والمماطلة عليه من قوله:

---

(١) سورة المائدة: ١١٦.

(٢) الخصائص ٢٦٩/٣.

(٣) سورة يس: ٣٠.

(٤) البيت للوليد بن عقبة بن أبي معيط، وتكملته :

قلنا لها قفي فقالت قاف * لا تحسبنا قد نسينا إلا يجاف

والإيجاف العدو ، وقالت: قاف أبي: أي واقفة أو وقفت (الخصائص ٣٠/١)، المحتسب ٢٠٤/٢

(٥) في سورتي البقر: ٢٢٥، والمائدة: ٨٩.

فوالله لا أنسي قتيلاً رُزِئتهُ * بجانب قُوسَي ما مشيتُ على الأرض[1].

أفلا تري إلى تَطَعُمّك هذه اللفظة في النطق هنا بها، وتمطيك لإشباع معني القسم عليها؟ وغير ذلك الكثير من الأمثلة من الشعر وكلام العرب التي يستشـــهد بها في هذا الموضع[2] والتي تعبر صراحة عن معني التنغيم ويظهر ذلك بوضوح في استشهاده بقول سيبويه: إنهم يقولون: سير عليه ليل يريدون ليلٌ طويل، وهــذا إنما يفهم عنهم بتطويل الياء، فيقولون سير عليه ليْلٌ فقامت المدَّة مقام الصفة.

ويذكر في هذا الموضع على ذكر طول الأصوات وقصرها، لقــوة المعــاني المعبر بها عنها وضعفها ما يُحكي أن رجلاً ضرب ابناً له، فقالــت لــه أمــه: لا تضربه ليس هو ابنك، فرافعها إلى القاضي فقال: هذا ابني عندي، وهذه أمه تذكر أنه ليس مني، فقالت المرأة: ليس الأمر على ما ذكره، وإنما أخذ بضرب أبنه فقلت له: لا تضربه ليس هو ابنك ومدت فتحة النون جداً، فقال الرجل: والله ما كان فيه هذا الطويل الطويل[3].

بعد كل هذه الأمثلة يقول: علمت أن قراءة من قرأ (يا حسره) بالهاء ســاكنة إنما هو لتقوية المعني في النفس، وذلك أنه في موضــع وعــظ وتنبيــه، وإيقــاظ وتحذير، فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه، الــدال على أنه قد بهره، وملك عليه لفظه وخاطره[4].

فهذه الأمثلة والشواهد التي ساقها ابن جني في تخريجه لهذه القراءة، تؤكد لنا وعي ابن جني التام بموسيقي الكلام، ودور نغماته ولحنه في عملية تركيب الكلام ودلالاته، بل أنها تتعدي ذلك إلى ما هو أعمق وأشمل إذ إن في هذه القصص التي

---

(١) البيت لأبي خراش الهذلي في رثاء أخيه ، قُوسى : بفتح القاف وضمه موضع بالحجاز ، ديوان الهزليين ط٢، ١٩٩٥م ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٥٨/١ .

(٢) المحتسب ٢٠٩/٢.

(٣) السابق والصفحة.

(٤) المحتسب ٢٠٨/٢- ٢١١.

ساقها ما يشير إلى قضية مهمة في الدرس الصوتي عموماً وهي ما اصطلح على تسميته بـــ(فن أداء الكلام).

ثالثاً: المقطع الصوتي Syllable :

تتكون كل لغة من وحدات صوتية صغيرة مكونة من صوائت وصوامت كما رأينا في الدراسة الصوتية في الفصل السابق. وهذه الوحدات الصغرى تنتظم فيما بينها لتؤلف وحدات كبرى تكون لنا ما يعرف بـــ المقطع (Syllable) وقد اختلف علماء الأصوات في تعريفه تعريفاً دقيقاً وشاملاً، نتيجة لاختلاف وجهات النظـــر حوله، فمنهم من نظر إلى المقطع من الناحية النطقية فعرفه بأنه: (الفترة الفاصـــلة بين عمليتين من عمليات إغلاق جهاز التصويت، سواء كان الإغـــلاق كـــاملاً أو جزئياً[(١)].

ومنهم من نظر إليه من الناحية الوظيفية فعرفه بأنه : "كمية من الأصـــوات تحتوي على حركة واحدة يمكن الابتداء بها والوقوف عليها"[(٢)] وأنواع المقاطع في اللغة العربية.

١/ مقطع قصير: يتكون من صامت وحركة قصيرة يرمـــز إليـــه بـــالرمز: (ص ح) [(٣)].

٢/ مقطع متوسط مفتوح ويتكون من: صامت وحركة طويلة ورمـــزه (ص ح ح)[(٤)].

٣/ مقطع متوسط مغلق ويتكون من صامت + حركة قصـــيرة + صـــامت) ورمزه (ص ح ص)[(٥)].

---

(١) دروس في علم أصوات العربية- جان كانتنو- ترجمة صالح القرمادي- د ط ١٩٥٥- تونس- ص١٩١.

(٢) المدخل إلى علم اللغة- رمضان عبد التواب- ص ١٠١.

(٣) ترمز ص إلى الصامت، وترمز ح إلى الحركة القصير مثل المقاطع الثلاثة فـــي (كتـــب) (ka/ ta/ ba) ص ح/ ص ح / ص ح .

(٤) الرمز (ح ح) يمثل حركة طويلة ومثاله في العربية كلمة (ما) ص ح ح.

(٥) مثاله في العربية (من) ص ح ص.

٤/ مقطع طويل مغلق ويتكون من صامت + حركة طويلة + صامت ورمزه (ص ح ح ص)[١].

٥/ مقطع طويل مزدوج الإغلاق ويتكون من: صامت+ حركة قصيرة + صامتان (ص ح ص ص) [٢].

٦/ مقطع طويل مديد لا يكون إلا في حالة الوقف على المشدد ويتكون من: صامت + حركة طويلة + صامتان ورمزه (ص ح ح ص ص) نحو (سارّ) بتشديد الراء في الوقف.

هذه هي الإمكانات المقطعية في اللغة العربية من خلال النظر إلى أشكالها يمكننا أن نلخص مميزات المقطع العربي في الآتي:

* أن المقطع في اللغة العربية يتكون من وحدتين صوتيتين أو أكثر إحداهما حركة.

* أن جميع المقاطع تبدأ بصامت ولا وجود لمقطع يبدأ بحركة.

* أن المقطع لا يبدأ بصوتين صامتين، ولا يلتقي صامتان لا في بداية الكلمة ولا في وسطها ولا في آخرها إلا في حالة الوقف.

وكما لا يلتقي صامتان في مقطع واحد، فإنه لا يلتقي صائتان أيضاً في مقطع واحد[٣].

وعلى أساس هذه الخصائص والميزات يمكننا تفسير الكثير من الظواهر الصرفية في اللغة العربية مثل:

وجود همزة الوصل في بداية بعض الصيغ يمكن تفسيره بالتزام بداية المقطع بصوت صامت في الأمر من الثلاثي: اضرب فإن الصيغة الأصلية للفعل هي (ضْرْبْ) بعد إسقاط حرف المضارعة فينشأ صامتان في بداية المقطع وهذا لا يجوز في العربية كما رأينا.

---

(١) ويمثله في العربية المقطع (مين) من كلمة المسلمين في الوقف.

(٢) مثل كلمة (بِنْتْ) في الوقف.

(٣) علم الأصوات- كمال بشر- ص ٥٠٩ وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة- د. فوزي الشايب ص ١٠٢، الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص ١٣٢.

ويمكننا ضوء امتناع التقاء ساكنين في مقطع واحد تفسير ضم واو الجماعة عندما يأتي بعدها مباشرة صامت آخر، وكسر واو (لو) و (أو) إذا اتصل بهما صامت آخر اتصالاً مباشراً نحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ﴾[1] وقوله: ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[2].

فنجد أن واو الجماعة في الاثنين في اشترو وتنسوا تحركت الواو الساكنة فراراً من المقطع الطويل في حالة عدم تحريك الواو.

رَ وْ ضْ (ص ح ص ص)

سَوْلْ : (ص ح ص ص)

وكسر واو (لو) في نحو قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾[3] وذلك: أن إبقاء الواو في (لو) ساكنة سيؤدي إلى التقاء صامتين ساكنين في مقطع واحد كالآتي:

لَوْسْ (ص ح ص ص)

وكما ذكرنا في أنواع المقاطع؛ فإن العربية لا تجيز هذا النوع من المقاطع إلا في الوقف.

وقد فطن ابن جني إلى ذلك وتنبه إليه في تخريجه لقراءة يحي بن يعمر[4]. وآخرين في الآية السابقة: (اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ).

فذهب أبوالفتح إلى أن في هذه الواو ثلاث لغات: الضم، والفتح، والكسر، والحركة في جميعها بسكون الواو وما بعدها، فنجده يشير إشارة صريحة هنا إلى أن حركة الواو هنا تخلصاً من صامتين ساكنين[5].

وفي موضع آخر في تخريجه لقراءة الأعمش (لو استطعنا)[6] بضم الواو.

---

(١) سورة البقرة: ١٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٧.

(٣) سورة التوبة: ٤٨.

(٤) يحيى بن يعمر تابعي فقيه، ونحوي مبرز، سمع ابن عمر وأبا هريرة، أخذ النحو عن أبي الأسود، بغية الوعاة ٤١٧.

(٥) المحتسب ١/٥٤- ٥٥.

(٦) سورة التوبة: ٤٢.

فذهب أبو الفتح أنه قد شبهت واو (لو) هذه بواو الجماعة فضمت كما هي مضمومة في نحو قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ﴾(١). وكذلك شبهت واو الجمع هذه بواو لو فكسرت(٢).

وذهب هنا في هذا المواضع إلى أن الواو في ﴿اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ﴾(٣) لالتقاء الساكنين.

إذن التحليل الصوتي لتحريك الواو في هذه الأمثلة إنما الغرض من التحريك هو الفرار من تشكيل المقطع الطويل: ص ح ص ص في حالة السكون.

وكما لا تجيز العربية في مقاطعها التقاء الصامتين الساكنين كما رأينا، فإنها أيضاً لا تجيز التقاء صائتين التقاء مباشراً(٤).

فإذا أدي السياق إلى التقاء حركتين فإن العربية تلجأ إلى النطق بما يسمي بـ(أشباه الحركات Semivowels) كي نفصل بين الحركات المتتابعة مثل تحقيق الهمزة في نحو: سأل   سال Sāla فإذا بنوا منها صيغة اسم الفاعل فإن الصيغة تصبح سا ا لاً Sailan فتلتقي حركتان وهذا لا يجوز في العربية فيحدث انزلاق حركي بين الفتحة والكسرة فتنشأ الياء (i + a = y) فتصبح الصيغة سايل.

فنلاحظ من خلال النظر إلى أنواع المقاطع العربية ودورانها في الكلام العربي أن: المقطع الطويل من نوع (ص ح ص ص) لا يكون إلا في حالة الوقف كما رأينا.

والمقطع الطويل (ص ح ح ص) لا يوجد إلا في باب شابَّة ودابَّة وفي حالة الوقف أيضاً مثل المقطع الأخير (مِيْن) من كلمة المسلمين ال مس لِ مين (ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح) ص فإذا ورد نوع من هذه المقاطع في حالة الوصل فإن العربية تأباه ولا تستسيغه.

ومن القراءات القرآنية التي أوردها ابن جني ويتشكل فيها مقطع طويل على غير الطريقة المعهودة في العربية.

---

(١) سورة البقرة: ٩٤، وسورة الجمعة: ٦.

(٢) المحتسب ٢/٢٩٢.

(٣) قراءة الفتح في واو اشتروا هي قراءة أبي السمال فعنب- المحتسب ١/٢٩٢.

(٤) فقه اللغات السامية، بروكلمان ص ٤٢.

قراءة أبي جعفر: (يا حسرتايْ)[١] مجزومة الياء وقراءة ابن أبـــي إســـحق: (هي عَصَايْ)[٢] بسكون الياء.

فنجد ابن جني لم يعلق على قراءة ابن أبي إسحاق في عصاني بالســـكون[٣] أما إسكان الياء في قراءة (يا حسرتايْ) فيرى ابن جني أنه كان ينبغي ألا يجمـــع بين (الألف والياء) إذا كانت الألف هي الياء[٤]، فعبارته واضحة في أن العربيـــة ترفض مثل هذا النوع من المقاطع إذ إنه في هذه الحالة سيكون المقطع الأخير من الكلمة على النحو الآتي:

(تايْ) ← ص ح ح ص .

(صاي) ← ص ح ح ص .

---

(١) سورة الزمر: ٥٦.

(٢) سورة طه: ١٨.

(٣) المحتسب ٤٩/٢.

(٤) المحتسب ٢٤٩/٢.

المبحث الثالث

الدلالة الصرفية

المطلب الأول: تعريف الدلالة الصرفية

المطلب الثاني: دلالة اللواصق التصريفية (المورفيمات)

المطلب الثالث: دلالة الأوزان الصرفية

المطلب الأول

تعريف الدلالة الصرفية

وهي دلالة تقوم على ما تؤديه الأوزان الصرفية وأبنيتها من معانٍ، فهي دلالة تستمد من الصيغ وأبنيتها،وتدرس تحت اسم علم الصرف أو التصريف، وقد عرَّفه القدماء تعريفات عدة، فمنهم من يعتبره علماً، ويرى أنه (علمُ بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب)(١).

فهو (العلم بأحكام بنية الكلمة بما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال) (٢).

ومنهم من يعتبر الصرف عملاً يؤديه المتكلم، فهو تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة، لمعان مختلفة، كالتصغير، والتكسير، وغيره. وبعض العلماء يسمى الأول علم التصريف والثاني علم الصرف(٣).

وعليه يكون علم الصرف مختصاً بأحوال الكلمة من حيث:

* دلالة الصيغ على المعاني، كالأفعال واسم الفاعل والمفعول.

* مقتضيات النطق بهذه الصيغ نحو التقاء الساكنين، والوقف والابتداء وغير ذلك(٤).

والدرس الصرفي هو مقدمة للدرس النحوي وهما متلازمان لا ينفصلان في الدرس اللغوي الحديث(٥) ؛ لأن الصرف باهتمامه ببنية الكلمة إنما هو لأجل توظيفها في تركيب نحوي، وعلى حدِّ تعريف ابن جني "إنما هو معرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت قام بكرُ،

---

(١) إيجاز التعريف في علم التصريف- ابن مالك- تحقيق: محمد المهدي عبدالحي -ط١- ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- ص ٥٨.

(٢) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك- تحقيق: حسن حمد ٤٠/٤ طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان- ط١- ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣) السابق والصفحة.

(٤) عناصر تحقيق الدلالة في العربية د. صائل رشدي شديد ص١٥٧.

(٥) الدلالة اللغوية عند العرب عبدالكريم مجاهد- ص ١٨٣.

ورأيت بكراً، ومررت ببكرٍ، فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة، فإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشئ الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة) (١).

فكأن الصيغة أو الكلمة في الدرس الصرفي تبقي جامدة، إلى أن يتناولها النحوي في تركيبه، فيمنحها الحركة والفعالية، فتظهر قيمتها الصرفية بمقدار مساهمتها في المعاني النحوية(٢).

ونجد ابن جني يسبق علم اللغة الحديث بجعله الصرف مقدمة للنحو، إذ يقول في تعريف النحو: (هو انتحاء سَمْتُ كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير والتكسير والإضافة،والنسب والتركيب وغير ذلك) (٣). فالتثنية والجمع والتحقير والنسب هي في علم اللغة الحديث فصائل نحوية(٤) وقد اعتبرها ابن جني كذلك في ذكره إياها ضمن وسائل النحو.

وكما هو معروف عن ابن جني من امتلاكه لناصية التصريف، فإذا أعدنا النظر فيما كتبه في هذا المجال من كتب متخصصة كالتصريف الملوكي وشرح تصريف المازني، أو جمعنا آراءه المتفرقة في كتبه الأخرى كالخصائص وسر الصناعة، فسنجده كما يقول أحد العلماء المحدثين يضع أساس علم كامل هو علم الفونولوجيا (Phonology) العربية أو علم تفاعل الأصوات ووظائفها(٥).

الذي يعتبر علماً خاصاً بكل لغة على حدة،و نحن نجد اليوم علماء كل لغة عاكفين على دراسة تأثير الأصوات بعضها في بعض ليخرجوا بقوانين التغيرات

---

(١) المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني لابن جني ٤/١.

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب- عبدالكريم مجاهد- ص ١٨٣.

(٣) الخصائص ٣٤/١.

(٤) الدلالة اللغوية عند العرب-عبدالكريم مجاهد-ص ١٨٤ والدكتور كمال بشر يعتبر الصرف مقدمة للنحو ولا يجوز عزل احدهما عن الآخر ولا قيمة لنتائج البحث في الصرف إن لم توجه لخدمة النحو- دراسات في علم اللغة- القسم الثاني-كمال بشر- ص ٨٥.

(٥) محاضرات في علم اللغة العام- أ د. البدراوي زهران ط١- ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م- دار العالم العربي القاهرة ٢١٧/١-٢١٨.

الخاصة بتلك اللغة مما جعلهم يسمون هذا العلم (علم الأصوات الخاص بـــالقوانين الصوتية للغة بعينها) [1] وقد انتهي ابن جني من وضع قوانين هذا العلم في كتابـــه (التصريف الملوكي)الذي يعتبر اختصاراً لأعماله الأخرى المتكاملة. وهو يشـــير إليها في كل موضع من كتابه[2].

والدلالة الصرفية هذه نجدها عند ابن جني باسم (الدلالة الصـــناعية) وهـــي عنده في المرتبة الثانية بين دلالاته الأخرى اللفظية والمعنوية من قبل أنها القالـــب الذي تصب فيه الألفاظ[3].

وقد استطاع ابن جني في كتابه المحتسب الذي يعتبر خلاصة جهوده اللغوية المختلفة أن يدرك الكثير من القيم الصرفية ذات الوظيفة الدلالية، التي تنم عن فهم عميق للتغيرات الصرفية للكلمات من أجل الأغراض الدلالية، وخرج علـــى هـــذا النوع من الدلالة الكثير من القراءات الشاذة.

---

(١) محاضرات في علم اللغة – د. البدراوي زهران ص ٢١٧.

(٢) يقول محقق الكتاب أ.د.البدراوي زهران ٢١٩/١ أن ابن جني واضع أسس علم الفونولجيا العربية وهو بذلك يضع أسس علم الفونولجيا العام الذي يضع القوانين للغات البشر. وتأثير الأصوات بعضـــها فـــي بعض وما يترتب على ذلك من تطور في الصيغ يحاول المحدثون توظيفها في مجالات عدة –محاضرات في علم اللغة العام البدراوي زهران ٢١٧/١.

(٣) الخصائص ٩٨/٣.

المطلب الثاني

دلالة اللواصق التصريفية (المورفيمات)

من هذه القيم الصرفية ما يعرف في علم اللغة الحديث باسم: (المورفيم) (Morpheme) أو ما يعرف بـ(الوحدة الصرفية)، وقد عرفه اللغويون تعريفات كثيرة غير أنها تتفق جميعها، على أنه أصغر وحدة لغوية ذات معنى في بناء اللغة وتركيبها) [١].

وهي تنقسم إلى:

مورفيم حر، ومورفيم مقيد، فالحر هو الذي يمكن استعماله مستقلاً نحو رجل، وولد، وبنت، أما المقيد فهو الذي يكون متصلاً بمورفيم آخر، ولا يمكن استعماله على أنه وحدة مستقلة في اللغة نحو كتابان فهي تتكون من :

كتاب←مورفيم حر.

إن← مورفيم مقيد.

فكتاب مورفيم حر، يمكن أن يستعمل بمفرده، فهو وحدة مستقلة في اللغة، أما الألف والنون فهي مورفيم مقيد، يشير إلى التثنية ولا يستعمل بمفرده، وهو وحدة مقيدة تلصق بمورفيم حر[٢] وتعدُّ عملية إلصاق المورفيم من العمليات التي تسهم في خلق وحدات لغوية جديدة، بإضافة اللواصق إلى الجذور، إما عن طريق السوابق إلى بداية الجذر وتسمى Prefixes أو عن طريق المقحمات في حشو الجذر وتسمى Lin fixes أو عن طريق اللواحق في نهاية الجذر وتسمى Suffixes[٣] .

ويلاحظ ابن جني في كثير من الصيغ الصرفية فروقاً في الدلالة بسبب زيادة مورفيم في أول الصيغة أو في وسطها أو في آخرها على الحروف الأصلية (الجذر) صيغة (فعل).

---

(١) دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية- أشواق محمد النجار الطبعة الأولى ٢٠٠٦م- دار دلجة لبنان، ص ٣٦.

(٢) السابق ص ٣٩.

(٣) السابق ص ٤٩.

أولاً: إضافة مورفيم سابق:

من ذلك زيادة الهمزة على الوزن الصرفي (فعل) ليصير (أفعل) فهنا ستختلف دلالاته من وضع إلى آخر.

من ذلك قراءة الحسن: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يُضِلُّ عَن سَبِيلِهِ﴾[1] بضم الياء في (يُضلُّ)

يقول أبوالفتح: إن أفعل هذه متى أضيفت إلى شئ فهو بعضه كقولنا: زيدُ أفضل عشيرته، لأنه واحد منهم ولا نقول النبيﷺ أفضل بني تميم- على هذا لأنه ليس فيهم ولكن نقول: محمد ﷺ أفضل بني هاشم لأنه منهم[2].

ومما ذكره لدلالة هذه الصيغة في قراءة الأعرج: ﴿ وَازَّيَّنَتْ﴾[3].

قال أبوالفتح: أمَّا أزينت: صارت إلى الزينة بالنبت ومثله من أفعل: صار إلى كذا: أجزع المهر[4] صار إلى الإجزاع، وأحصد الزرع وأجزَّ، أي صار إلى الحصاد والجزاز[5].

ومن ذلك قراءة السرى بن ينعُم: ﴿ثُمَّ افْضُوا إِلَيَّ﴾[6] من أفضيت.

قال أبوالفتح: معناه أسرعوا إلى، وهو أفعلت من الفضاء فقولهم: أفضيت: صرت إلى الفضاء كقولهم: أعرق الرجل إذا صار إلى العراق،وأعمن الرجل إذا صار إلى عمان، وأنجد أتى نجداً، ونحو ذلك[7].

ومن ذلك قراءة ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾[8].

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٧.

(٢) المحتسب ٢٢٨/١.

(٣) سورة يونس الآية ٢٤.

(٤) أجزع المهر: صار في السنة الثالثة، المحتسب ٣١١/١.

(٥) المحتسب٣٧/١-٣١٢.

(٦) سورة يونس الآية ٧١.

(٧) المحتسب ٣١٥/١-٣١٦.

(٨) سورة الكهف الآية ٢٨. والقراءة لعمرو بن فائد ، المحتسب ٢٨/٢.

قال أبو الفتح: أغفلت الرجل: وجدته غافلاً واستشهد لهذا المعنى بقوله:

(والله يا بني سليم لقد قاتلناكم فما أجبناكم، وسألناكم فما أبخلناكم، وها جيناكم فما أفحمناكم، أي: لم يَجدكم جبناء، ولا بخلاء، ولا مفحمين، واستشهد لذلك بأبيات من الشعر[(١)].

ومن ذلك قراءة ابن عباس ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ﴾[(٢)] فيرى ابن جني أن (أشرقت) هذه منقولة من شرقت. إذا طلعت الشمس، وأشرقت أبلغ منه لقوة نورها وإضاءاتها، وفي أشرقت معنى آخر، وهو أنها إذا أشرقت وأضاءت فإنما زاد نورها، وقد كان قرصها ظاهراً قبل ذلك[(٣)].

وفي تخريجه لقراءة (يُبْشَرُ) : ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ﴾[(٤)] بضم الياء وسكون الباء وكسر الشين.

فيرى ابن جني أن وجه هذه القراءة أقوى في القياس وذلك أنه يقال: بشر زيد بكذا، ثم نقل بهمزة النقل فقيل:أبشره الله بكذا. وأفعلت هاهنا تفعلت فيه، وهو أشرته وبشَّرته،وكلاهما منقول للتعدى، أحدهما بهمزة أفعل والآخر بتضعيف العين فهو بشير وأبشرته وبشَّرته. وأما بشرته بالتخفيف فعلى معاقبة فعل لأفعل في معنى واحد نحو جدَّ في الأمر وأجد، وصد عن كذا أو أصدَّ[(٥)].

فنلاحظ في القراءات السابقة أن ابن جني يجعل زيادة الهمزة على الوزن الصرفي(فعل) لتصير أفعل فيؤثر ذلك في البنية المقطعية للكلمة، فنلاحظ تحول المقطع القصير الأول (ص ح) إلى مقطع متوسط معلق (ص ح ص)، كما أنها تؤدى وظائف دلالية تركيبية:من ذلك أنها إذا أضيفت إلى شيء فهو بعضه كما رأينا في تخريجه لقراءة (هو أعلم من يفعل).

---

(١) المحتسب ٢/٢٨.

(٢) سورة الزمر الآية ٦٩.

(٣) المحتسب ٢/٢٤٠.

(٤) سورة عسق الآية ٢٣. والقراءة لمجاهد وحميد .

(٥) المحتسب ٢/٢٥١.

٢/ وأن أفعل إلى الشيء أي: صار إليه، فاحصد الزرع صار إلى الحصاد، ويستشهد لذلك بعدد من الأمثلة نحو: أجزع المهر: صار إلى الإجزاع، وأعرق الرجل وأعمن صار إلى العراق وعان، وغير ذلك مما ذكره في تخريجه لقراءتي: (وأزينت) (ثم أقضوا إلى).

٣/ إضافة إلى ذلك فإن أفعل تفيد معنى وجدته فاعلاً، فأغفلت الرجل: وجدته غافلاً.

٤/ ومن أهم وظائفها التركيبية أنها تدخل في علاقات نحوية في تحديد بناء الجملة، للدلالة على التعدية، ولأهمية هذا التغير الدلالي أطلق عليها همزة النقل أو التعدي أو الوجدان كما سماها الثعالبي في كتابه(١).

وهي تجعل الفعل متعدياً إلى مفعول واحد إذا كان في الأصل لازماً،ويشترك معها في هذه الدلالة تضعيف العين من (فعل) نحو بَشَرَ الرجل وأبشره الله، وبشّره، ورَغِبَ وأرغبه الله ورغَّبه كفَرِحَ وأفرحته وفرَّحته.

يتضح مما تقدم: أن لاصقة الهمزة ذات دلالات ووظائف متعددة.

ثانياً : إضافة المورفيم في وسط الصيغة الصرفية (حشواً) ويطلق عليها المفحمات (In fixes) وأهمها لاصقة:

١- التضعيف Reduplication :

وهي اللاصقة الفريدة ذات سمة إيقاعية صوتية وتسهم في بناء وحدات نحوية إلى جانب دلالاتها الصرفية تقوم بالوظائف التي تقوم بها اللواصق التصريفية(٢).

فمن أهم وظائفها أنها تصرف بنية الفعل من حالة اللزوم إلى التعدي كاللاصقة الهمزة نحو فِرحَ وفَرَّحته وأفرحته(٣).

---

(١) فقه اللغة وأسرار العربية – تأليف: الإمام أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي تحقيق: ياسين الأيوبي ، ط٢، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م ، المكتبة العصرية ، بيروت . ص ٣٢٣.

(٢) دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية– أشواق محمد النجا ص ٧٨.

(٣) الكتاب– سيبويه ٥٥/٤– شرح المفصل ٦٥/٧– شرح الشافية ٩٣/١.

وهي مورفيم يقوم على إطالة صوت من أصوات الكلمة ف(فَرِح) و(فرَّح) لا فرق بين الفعلين إلا في أنَّ راء الأول قصيرة وراء الثاني طويلة.

فبنية(فَرح) تتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة قبل إلصاقه بالتضعيف وهي:

فَ رِ حَ/ ص ح/ ص ح/ ص ح

أما بعد إلصاقها فيتحول المقطع الأول إلى مقطع متوسط(فَـرْرَ حَ):ص ح/ ص/ ص ح /ص ح.

إضافة إلى دلالتها التركيبية والمقطعية هذه، فإن لها أغراضاً ومعاني متعددة تفهم من قرائن السياق منها: التكثير والمبالغة نحو قوله تعالى﴿وغَلَّقَتِ الأَبوَابَ﴾(١) لكثرة العمل، وهذا من باب جرس الأصوات ودلالتها في الكلام فيقول ابن جني في ذلك (أنهم جعلوا تكرير العين دليلاً على تكرير الفعل... وذلك أنهم جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل) (٢).

وما أشار إليه ابن جني هنا لا يمثل إلا مظهراً من مظاهر الدلالة الصرفية التي تشمل إلى جانب دلالة البنية دلالة الإلصاق.

وقد تستعمل لغير التكثير فتجئ (فعَّلت) معاقبة لـ(أفعلت) نحو حسَّنته وأحسنته، ومع ذلك هي لا تخرج عن دلالة التكثير، لأن أفعلت يجوز أن يقال عن فعل الشيء مرة أو فعله كثيراً. أما فعلَّت فلا يكون إلا للتكثير(٣).

وتأتي بمعنى الصيرورة أي صار بصفة كذا، نحو حجَّر الطين إذا صار بصفة الحجر، تصبح الجرح إذا صار ذا قيح(٤).

وتستعمل بمعنى السلب والإزالة نحو: قشرت التفاحة بمعنى أزلت عنها قشرها، وقذيت عين فلان، إذا أزلت عنها القذي(٥).

---

(١) سورة يوسف الآية ٢٣.

(٢) الخصائص ٢/١٥٥.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ٣٦٩.

(٤) شرح الشافية ١/٩٥.

(٥) ارتشاف الضرب ١/٨٤.

وغير ذلك الكثير من الدلالات المعنوية أشار إليها العلماء في كتب الصرف والتي لا يمكن التفريق بينها إلا بوساطة السياق(١).

وقد خرَّج ابن جني في المحتسب الكثير من القراءات على زيادة هذه اللاصقة، ومن ذلك تخريجه بقراءة على (عليه السلام): ﴿وَيُمَشُّوْنَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾(٢) بضم الياء وفتح الشين مشددة (يُمشّون).

قال أبو الفتح: يمشّون: يدعون إلى المشي ويحملهم حامل إلى المشي، وجاء على (فعّل) لتكثير فعلهم إذ هم عليهم السلام جماعة ومعناه يكثرون المشي(٣).

ومن ذلك قراءة الزهري: ﴿وَإِذْ فَرَّقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾(٤) مشددة (فرَّقنا).

قال: معنى فرَقنا: أي جعلناه فرقاً، ومعنى فرقنا شققنا بكم البحر، وفرَّقنا: أشد تبعيضاً من فرَّقنا، ومن ذلك: فرقت شعره. أي جعلته فرقين، وفرَّقت شعره أي جعلته فرقاً(٥).

ومن ذلك قراءة ابن مسعود: ﴿إِلَى الْفِتْنِةِ رُكِّسُواْ فِيهَا﴾(٦).

قال أبو الفتح: وجه ذلك أنه شيء بعد شيء وذلك لأنهم جماعة، فلمَّا كانوا كذلك وقع شيء منه بعد شيء فطال، فلاق به لفظ التكثير والتكرير كقولك: غلّقت الأبواب وقطّعت الجبال(٧).

ومما جاء فيه التضعيف للمبالغة في المعنى قراءة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : ﴿فتَّنَّاه﴾(٨).

---

(١) شرح الشافية ٩٤/١- ارتشاف الضرب ٨٤/١- الصاحبي ٣٣٩.

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٠.

(٣) المحتسب ١/

(٤) سورة البقرة الآية ٥٠.

(٥) المحتسب ٨٢/١.

(٦) سورة النساء الآية ٩١.

(٧) المحتسب ٩٤/١.

(٨) سورة ص الآية ٢٤.

قال: أما (فتّنَّاه) بتشديد التاء والنون : فعّلناه وهي للمبالغة، ولما دخلها معنى نبَّهناه ويقظناه، جاءت على فعلّناه إنتحاءً للمعنى المراد[1].

ومن ذلك قراءة يحيى: ﴿غَيْرَ مُتَجنِفٍ لِإِثْمٍ﴾[2] بغير ألف[3].

قال أبوالفتح: متجنِّفاً أبلغ وأقوى معنى من متجانف، وذلك لتشديد العين،وموضوعها لقوة المعنى بها[4].

وفي تخريجه لقراءة: ﴿تباركت الأرض﴾[5] يضرب مثلاً لقوة المعنى بالتضعيف، فيقول: أصل هذا كله من فعَّل في الفعل لقطعّت وكسَّرت إلا تراها أقوى معنى من قطعت وكسرت[6].

مما سبق من قراءات يتضح لنا أن زيادة مورفيم التضعيف في حشو الكلمة يأتي لتأكيد المعنى وتكثيره، كما أن الزيادة قد تضفى معنى إضافياً على المعنى الأول كما رأينا في قراءة (يمشوّن) أي يكثرون المشي.

وفي قراءة (فرّقنا) فإن المعنى بالتضعيف أشد تبعيضاً من فرقنا مخففة وفي قراءة ابن مسعود (رُوكُسوا فيها) لاق به لفظ التكثير والتكرير.

ثانياً: من إضافة المورفيم حشواً:

١/ زيادة الألف. التي تعد من المصونات الطويلة وهي من اللواصق الاستقاقية وتشكل كثيراً من الأبنية الصرفية، وتؤدى وظائف دلالية متعددة، إذ تدخل في بناء معظم الأبنية الصرفية[7] ومن ذلك:

*أنها تدل على المشاركة في الفعل غالباً نحو: شارك وقاتل.

---

(١) المحتسب ٢٣٢/١.
(٢) سورة المائدة الآية ٣.
(٣) وقراءة الجماعة (متجانف) بالألف.
(٤) المحتسب ٢٠٧/١.
(٥) سورة النحل الآية ٨. والقراءة لأبي بن كعب.
(٦) المحتسب ١٣٤/٢.
(٧) دلالة الأبنية الصرفية ص١١٢.

* وقد تأتى بمعنى (فعَّل) للدلالة على التكثير والمبالغة نحو: ضاعفت الشيء، أي: أكثرت أضعافه كضعّفته.

* وتأتي بمعنى (أفعل) نحو باعد بمعنى أبعد.

أو بمعنى تفاعل نحو سارع بمعنى تسارع(١).

أما من ناحية البنية الصرفية فنجد أنه قد حدث تحويل داخلي للمقطع القصير (فاء الكلمة) إلى مقطع متوسط مفتوح : فعل ← فاعل.

ص ح إلى ص ح ح.

ولابن جني باع طويل في بيان هذا التغير الصرفي ووظائفه الدلالية ونجده يخرج الكثير من القراءات على هذه النوع من الدلالة الصرفية.

من ذلك تخريجه لقراءة الحسن: ﴿فَطَاوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾(٢).

قال: يكون هذا على أن قتل أخيه جذبه إلى نفسه ودعاه إلى ذلك فأجابته نفسه وطاوعت وقراءة العامة (طوَّعت له) أي حسنته له وسهلته عليه(٣).

وفي تخريجه لقراءة الحُر النحوي(٤) ﴿يُسَرِعُونَ﴾(٥) في كل القرآن.

قال أبوالفتح: معنى يسارعون في قراءة العامة أي يسارعون غيرهم، فهو أسرع بهم وأظهر خفوقاً بهم فأمَّا يسرعون فأضعف معنى في السرعة من يسارعون لأن من سابق غيره أحرص على التقدم ممن آثر الخفوق وحده(٦).

فنراه يفضل قراءة العامة بإضافة الألف (يفاعلون) على القراءة الشاذة (يفعلون) دون ألف، وذلك لما في الألف من دلالة المشاركة.

ومن ذلك قراءة على عليه السلام: ﴿وَلَا تَنَاسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾(٧).

---

(١) الكتاب ٦٨/٤ شرح الشافية ٩٨/١-٩٩ والصاحبي ٣٦٩.

(٢) سورة المائدة الآية ٣٠.

(٣) المحتسب ٢٠٩/١.

(٤) هو الحر بن عبدالرحمن النحوي القارئ، سمع أبا الأسود الدؤلي وعنه طلب إعراب القرآن أربعين سنة بغية الوعاة ٢١٥.

(٥) سورة آل عمران الآية ١٧٦.

(٦) المحتسب ١٧٧/١.

(٧) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

فيرى أبو الفتح: أن الفرق بين تنسوا وتناسوا، أن تنسوا نهى عن النسيان على الإطلاق، فأمَّا تناسوا فإنه نهى عن فعلهم الذي اختاروه،... ويحسن هذه القــراءة: إنك إنما تنهى الإنسان عن فعله هو، والتناسي من فعله، فأمَّا النسيان فظاهره أنــه من فعل غيره به، واستشهد بقوله تعالى : ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ﴾(١) وزاد فــي حسنه أن المأمور هنا جماعة وتفاعل لائق بالجماعة كتقاطعوا وتواصلوا وتقاربوا وتباعدوا(٢).

ومن ذلك قراءة مجاهد وسعيد بن جبير: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْارٌ مُّبِينٌ﴾(٣).

قال أبو الفتح: هذا على قول قراءة الجماعة(لسحر مبين) إشارة إلــى الفعــل الواقع هناك من قلب العصا حية ونحوه، ومن قرأ (الساحر) إشارة إلــى موســي عليه السلام(٤).

ومن معاني زيادة الألف أن يراد من فاعل وزن فعل وعليه ما يــروى عــن قتادة من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كَاشَفَ الضُّرَّ﴾(٥).

قال أبو الفتح: قد جاء عنهم فاعل من الواحد يراد به فَعَلَ مثل طارقت النعل، أي: طرقتها، وعاقبت اللص، وعافاه الله، وقانيت اللون، أي: خلطته، فكذلك يكون: (ثم إذا كاشف الضرَّ)، أي: كشف، ونحو منه إلى المعنى والمثال: راضــيت مــن خناقه، أي: أرخيت(٦).

وهو في موضع آخر يستشهد بقول الشاعر:

تَقَاعَسَ العِزُّ بنا فاقعنسس (٧)

---

(١) سورة الكهف الآية ٦٣.

(٢) المحتسب ١/١٢٧- ١٢٨.

(٣) سورة يونس الآية ٧٦.

(٤) المحتسب ١/٣١٦.

(٥) سورة النحل الآية ٥٤.

(٦) المحتسب ٢/١٠.

(٧) الشاعر هو العجَّاج ،وتقاعس العزبنا: امتنع، واقعنس علا، واستعصي والبيــت فــي ديوانــه ص ٢٣- المحتسب ٢/١٣٤.

فتقاعس أبلغ من قعس، واحدودب أقوى من حدب واعشوشب أقوى معنى من أعشب.ويبين أن سبب قوة المعنى في هذه الحروف هو زيادة الحروف أو كثرتها[١].

٣- ومثل زيادة الألف حشواً زيادة (التاء) وهي دائماً إلى قوة المعنى وتوكيده

ومن ذلك قراءة أبي حيوة: ﴿مِّن كُتُبٍ يَدَّرِسُونَهَا﴾[٢] بتشديد الدال مفتوحة وكسر الراء.

قال أبوالفتح: هذا يفتعلون من الدرس وهو أقوى معنى من (يدرسونها) وذلك أنَ افتعل لزيادة التاء فيه أقوى معنى من فعل واستشهد بقوله تعالى: ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٣] وهو أبلغ معنى من قادر وهو أشبه بما تقدمه من ذلك الأخذ والعزَّة، نعم وفيه أيضاً معنى الكثرة لأنه في معنى (يتدارسونها) وقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٤] أن اكتسبت أقوى معنى من كسبت، وعليه جاء قولهم: (أخذ عزيز مقتدر) فهو أبلغ من قادر. ولهذا جاء قوله (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فعبَّر عن لفظ الحسنة بكسب، واكتسبت في السيئة، تنفيراً عنها، وتهويلاً وتشنيعاً بارتكابها. فالسيئة لقوة معناها عبّر عنها بزيادة التاء.

مما سبق يتضح لنا أنَّ أي زيادة في بنية الكلمة كزيادة الهمزة، والتضعيف والألف والتاء. يأتي لتأكيد المعنى وقوته، كما أنَّ الزيادة قد تضفي معنى إضافياً على المعنى الأول قبل الزيادة كما رأينا في شرقت وأشرقت، وتباركت ومقتدر وكسبت واكتسبت.

---

(١) المحتسب ١٣٤/٢.

(٢) سورة سبأ الآية ٤٤.

(٣) سورة القمر : ٤٢.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

ثالثاً: إضافة المورفيم إلى آخر الكلمة أو ما يعرف باللواصق (Su ffixes) ومن ذلك:

زيادة التاء في آخر الكلمة:

وهي من لواصق النوع، فتلحق كثيراً من الأبنية الصرفية، ويقال لها (هاء التأنيث)، وعدها سيبويه لاحقة في قوله: (وإنما لحقت الهاء كما تقول تشابه للنشاب وليست الهاء من البناء في شيء، وإنما تلحق بعد البناء[1]. ولهذه اللاصقة دلالات متعددة فضلاً عن دلالتها الأصلية التي هي التأنيث. أما من الناحية الصوتية والكتابية فهي تؤثر في بنية الكلمة عند التصاقها بها فمثلاً كلمة: طالب (في الوقف) تتكون من مقطعين صوتين هما #ص ح ح–ص ح ص# فعند إلصاقها بالتاء (طالبة) تتحول إلى ثلاثة مقاطع هي (ص ح ح– ص ح–ص ح ص).

هذا ما يتعلق بجانب تكوينها الصوتي أمَّا فيما يتعلق بوظيفتها الدلالية، فمن أشهر وظائفها الدلالية الفرق بين المذكر والمؤنث كما ذكرنا وتسمى (هاء التأنيث) ويرى ابن جني أنها ليست دائماً للتأنيث، بدليل أن الأسماء التي تدل على المؤنث لا تشترط كونها ملتصقة بلاحقة التاء دائماً[2]. وهناك أبنية كثيرة في اللغة يستوي فيها التذكير والتأنيث، دون لصقها بالتاء، من ذلك: مفعال، ومفعل،وفعال، وفعول، بمعنى فاعل ومفعول[3].

وتلصق بالصفات الخاصة بالأنثى كالحمل والولادة والرضاعة فتدلُّ على الزمن، فيقولون : هي حائضة الآن، وطالقة غداً، بمعنى أنها تحيض الآن، وتطلق غداً[4].

ومن معانيها التي تدل عليها: المبالغة، وخرَّج عليها ابن جني قراءة ابن عباس وغيره: ﴿خَالِصَةٌ﴾[5].

---

(١) الكتاب ٤/٢٥٥، ٢٥٦، ٢١٤، المقتضب ٤/٦، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية ص ٨٠.

(٢) الخصائص ١/٢٠٠– سر الصناعة ١/١٦٥.

(٣) شرح الكفاية ٣/٤٠٠–٤٠١.

(٤) الكتاب ٣/٣٨٤– المخصص ١٦/١٢١.

(٥) سورة الأنعام الآية ١٣٩ كما قرئ خالصاً بدون تاء.

قال أبوالفتح: أمَّا قراءة العامة (خالصة) فتقديره: ما في بطون هذه الأنعام خالص لنا، فأنَّث للمبالغة في الخلوص، كقولك: زيد خالصتي، كقولك: صفيِّ وثقتي، أي: المبالغ في الصفاء والثقة عندي فالتاء فيه للمبالغة(١).

ومن ذلك قراءة قتادة: {مُبْصِرَةً}(٢) قال: وقد كثرت المفعل بمعنى الشياع والكثرة في الجواهر والأحداث جميعاً. وذلك كقولهم أرض مضبة: كثيرة الضباب، ومثعلة: كثيرة الثعالي(٣).... وأمَّا في الأحداث كقولك: البطنة موسنة، وأكل الرطب موردة ومحمة، ومنه المسعاة والمعلاة والحق مجدرة لك ومخلقة ومعساة ومقمنة وفي كله معنى الكثرة من موضعين:

أحدهما: المصدرية التي فيه، والمصدر إلى الشياع والعموم.

والآخر: التاء وهي لمثل ذلك، كرجل راوية وعلاَّمة ونسابة فلذلك كثرة المفعلة فيما ذكرناه لإرادة المبالغة(٤).

وفي تخريجه لقراءة السلمي: ﴿لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾(٥) يذكر أوزان الصفة وهي: فعل وفعال وفعَّال وزادوا التاء فيه مبالغة وقالوا عجابة ويشير على أن الشواهد لذلك كثيرة(٦).

وهكذا يرسخ ابن جني هذه الوظيفة الدلالية لهذا المورفيم، إضافة إلى إفادته التأنيث في مواضع أخرى.

٢- ومن أنواع الزيادة في آخر الكلمة التي تزيد المعنى قوة وتأكيداً زيادة الواو والتاء على آخر الكلمة كوزن فعلوت نحو الملكوت ففي تخريجه لقراءة طلحة: ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٧).

---

(١) المحتسب ٢٣٢/١.

(٢) سورة النمل الآية ١٣.

(٣) جمع للثعلب ويرى ابن جني أن الثعالي جمع ثعالة وأصله ثعائل المحتسب ١٣٦/٢.

(٤) المحتسب ١٣٦/٢-١٣٧.

(٥) سورة ص الآية ٥.

(٦) المحتسب ٢٣٠/٢-٢٣١.

(٧) سورة يس الآية ٨٣.

قال أبوالفتح: الملكوت: فعلوت منه زادوا الواو والتاء للمبالغة، بزيادة اللفظ، ولا يطلق الملكوت إلا على الأمر العظيم، ونظيره الجبروت، والرغبوت: الرغبة، والرهبون: للرهبة ومنه عندنا الطاغوت وهو فعلوت من الطغيان، وأصله : طغيوت فحدث فيه قلب مكاني(١).

من القراءات السابقة يتضح لنا أن ابن جني يؤمن بأن زيادة أي مورفيم حرٌّ أو مقيد، سابق أو لاحق أو حشو، فإنَّه يعنى زيادة في المعنى مما يدل على أن الألفاظ تابعة للمعاني، متى قويت، قويت،ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك من ذلك قولهم قَطَعَ وقطَّع. فزادوا في الصوت لزيادة المعنى واقتصدوا منه لاقتصادهم فيه... فهذا ونظائره يؤكد أنَّ المعاني تتلعب بالألفاظ(٢).

ومن ملاحظاته الدقيقة في هذه الزيادة أنَّ مورفيم الجمع في جمع المؤنث السالم . وهي لاصقة خاصة بالأسماء والصفات للدلالة على جمع لمؤنث السالم، وهي ذات وظيفة مزدوجة لأنها تدل على العدد، والنوع، وهي تضيف إلى بنية الكلمة مقطعاً صوتياً عند إلصاقها بها فكلمة مثل زينب تتكون من مقطعين صوتين هما: ص ح ص، ص ح ص، وعند إلصاقها بالألف والتاء تتحول إلى (زينبات) فتتكون من ثلاث مقاطع على النحو التالي:

زي نَ بات# ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص#

وهي لاصقة تدل على القلة والكثرة أحياناً كقول الشاعر(٣):

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بِالضُحى * وَأَسيافُنا يَقطُرنَ مِن نَجدَةٍ دَما

فالجفنات هنا جمع يفيد الكثرة؛ وهي من المآخذ التي أخذها النابغة على حسَّان لأن المقام مقام مدح هنا وقد تستعمل للدلالة على التذكير مثل جمع صفة المذكر غير العاقل نحو قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾(٤) وما كان جمعاً لمذكر مصغر غير عاقل نحو دريهمات.

---

(١) المحتسب ٢/١٨٧.

(٢) المحتسب ٢/٢١٠-٢١١.

(٣) البيت من قصيدة للشاعر حسَّان بن ثابت من بحر الطويل الجفنات : القصاع : الغر : البيض: من كثرة الشجم يصف قومه بالندى واليأس . شرح ديوان حسان لعبدالرحمن البروقي، د. ط ، ١٣٤٧هـ-١٩٢٩م ، المطبعة الرحمانية بمصر ، وهي في ديوانه ص ١٣١.

(٤) سورة البقرة الآية ١٩٧.

وقد تلتصق ببعض جموع التكسير للدلالة على المبالغة أي أن هناك كلمات جمعت جمع تكسير وأعيد جمعها بهذه اللاصقة للمبالغة نحو: رجال: رجالات وبيوت: بيوتات،وطرق: طرقات[1].

وابن جني في تخريجه لقراءة طلحة: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾[2] يشير إلى أنَّ مورفيم الألف والتاء يدل على القلة حيث يقول: التكسير هنا أشبه لفظاً بالمعنى، وذلك إنما يراد هنا معنى الكثرة... ولفظ الكثرة أشبه بمعنى الكثرة من لفظ القلة بمعنى الكثرة. والألف والتاء موضوعتان للقلة[3] وهو يفضل استعمال جمع التكسير للدلالة على الكثرة لا جمع المؤنث السالم، لأن مورفيم الجمع فيه يقلل من دلالته العددية إذ يدل في نظره على الأعداد من (ثلاثة إلى عشرة)[4].

ثانياً: دلالة المورفيمات الصائتة:

تناولت في الفصل السابق في المبحث الثاني في مطلب المماثلة بين الصوائت[5] وأنواعها وقد أدرك ابن جني بعقليته الصرفية النافذة القيمة الدلالية لهذه الصوائت وأنها لا تقل قيمة عن الصوامت في البناء الصرفي للكلمة أي أن الأصوات الصائتة سواء أكانت صوائت قصيرة (short vowels) أو صوائت طويلة (Long vowels) تؤدى في اللغة العربية دور الفونيمات الصرفية، ومن ذلك تخريجه لقراءة الحسن وآخرين: {رَتَقاً}[6] بفتح التاء.

قال أبوالفتح: قد كثر عنهم مجيء المصدر على فَعْل ساكن العين. واسم المفعول على فَعَل: مفتوحها وذلك قولهم: النَفْضُ: للمصدر،و النَفَضُ: للمنفوض والطرد: المصدر، الطَرَد: المطرود[7].

---

(١) دلالة اللواصق التصريفية في الكلمة العربية ص ٤٩.

(٢) سورة النساء الآية ٣٤ وقراءة الجماعة(فالصالحات قانتات حافظات للغيب).

(٣) الخصائص ٢٠٩/١، ٣١/٢، ١٧٠.

(٤) المحتسب ١٨٧/١– ١٨٨.

(٥) انظر ص   من هذه الدراسة .

(٦) سورة الأنبياء الآية ٣٠.

(٧) المحتسب ٦٢/١. والقراءة لابن السمفيع .

فالذي فرَّق بين المصدر واسم المفعول في هذه الأمثلة هو مورفيم الفتحة في اسم المفعول بدلاً من السكون في المصدر.

ومن ذلك قراءة: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[1] بفتح الباء والهاء والتاء،وكذلك قراءة أبي حيوة وآخرين: (فَبَهُتَ) بفتح الباء وضم الهاء، والقراءة العامة(فَبُهِتَ) وَبهِتَ بوزن علم، فتلك أربع قراءات:

بَهَتَ، بَهُتَ، بُهِتِ، بَهِتَ

وأمَّا (بُهِتَ) قراءة الجماعة، فلا نظر فيها.

أمَّا بَهِتَ فمنزلة خرِق وفَرِق وبرق، وبَهُتَ، فيرى أبوالفتح أن بُهَتِ بالضم أقوى معنى من بهِت بالكسر، وذلك أنَّ فعُل تأتي للمبالغة. كقولهم: قَضُوَ الرجل إذا جاد قضاؤه وفقُه إذا قوى فقهه، وشعرُ إذا جاد شعره، والعرب تقول ضُربت اليد إذ جاد ضربها،وكذلك بَهُتَ إذا تناهي في الحرف[2].

ومما غيرت الحركة معناه من المصدر إلى الصفة قراءة الحسن وآخرين : ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ﴾[3] إذ يرى أبوالفتح أن الوُقود بالضم هو المصدر، والوقود بالفتح صفة مصدر محذوف[4].

وفي تخريجه لقراءة: ﴿اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ﴾[5].قال أبوالفتح: في هذه الواو ثلاث لغات: الضم والكسر والفتح، والضم أفشى ثم الكسر ثم الفتح، فنراه هنا يرتب الحركات من حيث القوة والضعف ثم يعلل لذلك بقوله: وإنما كان الضم أقوى لأنها واو جمع، فأرادوا الفرق بينها وبين واو (أو) و(لو)، لأنّ تلك مكسورة.... وأما الفتح فأقلها والعذر فيه خفة الفتحة مع ثقل الواو[6].

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٨.

(٢) المحتسب ١/١٣٤-١٣٥.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٤. والقراءة ليحيى بن يعمر وآخرين.

(٤) المحتسب ١/٦٣.

(٥) سورة البقرة الآية ١٦.

(٦) المحتسب ١/٥٤-٥٥. القراءة لابن عباس .

فهو في هذه القراءة يرتب الحركات بحسب قوتها وضعفها ونجده في تخريجه لقراءة: ﴿جَنَاحَ الذِّلِّ﴾(١) يشير إلى استخدام العرب الضمة في موضع القوة، والكسرة في موضع الضعف فيقول: الذِل في الدابَّة: ضد الصعوبة،والذَّل للإنسان وهو ضد العز، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما، الضمة لقوتها للإنسان والكسرة لضعفها للدابَّة(٢).

ويضرب عدداً من الأمثلة لاستخدام العرب. الضمة في موضع القوة فيما كثر حجمه،و الكسرة لضعفها فيما يقل بل يعدم ارتفاعه(٣).

فنجده في هذه القراءات يدرك القيمة الدلالية للحركات ويبين أنها مورفيمات لا تقل عن الحروف في بيان الفروق الدلالية. فصيغة (مَفْعَل) إذا كانت الميم الزائدة مفتوحة فإنها تدل على الحدث أي تكون مصدراً وأن الشئ ثابت.

وأمَّا إذا كانت الميم نفسها مكسورة (مِفَعل) فهي تدل على اسم آلة غير ثابت وذلك أن مَفْعَلاً يأتي للمصادر نحو ذهبَ مذهبا، ودخل مَدخَلاً وخرج مَخرجَاً، ومِفَعلاً يأتي للآلات والمستعملات، نحو مِطرَق ومِرَوح ومِئزَر(٤).

وهكذا تصبح كل من الفتحة والكسرة مورفيماً له تأثيره في توجيه معنى الصيغة، وهذا ما ساقه أبوالفتح في توجيه قراءة: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾(٥) بكسر القاف.

قال أبوالفتح: القَوَام بفتح القاف: الاعتدال في الأمر ومنه قولهم: جارية حسنة القوام، إذا كانت معتدلة الطول والخلق.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤. والقراءة لابن عباس .

(٢) المحتسب ١٨/٢.

(٣) المحتسب ١٩/٢.

(٤) الخصائص ٢٢٤/١.

(٥) سورة الفرقان الآية ٦٧. القراءة لحسان بن عبدالرحمن وقراءة العامة (قَوام) بفتحها ،المحتسب ١٢٥/٢.

وأمَّا (القِوام) بكسر القاف فإنه ملاك الأمر وعصامه يقـال: مـلاك أمـرك وقوامه أن تتقى الله في سرِّك وعلانيتك فكذلك قوله (وكان بين ذلـك قِوامـاً) أي ملاكاً للأمر ونظاماً وعصاماً[١].

فالمثال واضح إذ يبين الفرق الدلالي في كلمة واحدة، مـرة مسـتعملة مـع مورفيم الكسرة والأخرى مع مورفيم الفتحة.

(١) المحتسب ١٢٥/٢.

المطلب الثالث

دلالة الأوزان الصرفية

أمَّا القيمة الدلالية للأوزان المختلفة فلابن جني باعُ طويلُ في بيانها سواء أكان الوزن للمصادر أو الصفات أو الأفعال أو الأسماء.

كما أن العرب قد تستخدم بعض الأوزان مكان الأخر فتجرى الأفعال والمصادر والمشتقات مجرى بعض.

أولاً: دلالة المصادر:

من ذلك توضيحه لدلالة وزن **(فَعَلان)** في تخريجه لقراءة سعيد بن المسيب والزهري: ﴿كَمَثَلِ صَفَوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾(١) بفتح الفاء.

قال أبوالفتح: أكثرُ ما جاء فَعَلان في الأوصاف والمصادر، فالأوصاف كقولهم: رجلُ شَقَذَان للخفيف،ومنه ويوم صَخَبان ولَهَبان لشدة الحر وعَيْرُ فَلَتان: نشيط، ورجل صَمَيان: ماضٍ منجرد وأمَّا المصادر فنحو: الوَهَجَان والنَزَوَان والغَلَيان والغَثَيان، والقَفَزان والنَقَزان والمعنى في الوصف والمصدر جميعاً من هذا المثال للحركة والخفة والإسراع، وهو في الأسماء قليل، غير أنهم قد قالوا: الكروان والشبهان لضرب من النبت وقالوا: العنبان: للتيس من الظباء النشيط، فإذا كان كذلك كان الصفوان أيضاً مما جاء من غير الأوصاف والمصادر على فَعَلان(٢).

ومما ذكره من أوزان المصادر وزن **(فاعلة)** كالعاقبة والعافية، وعليه خرَّج قراءة عبدالله بن مسعود: ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾(٣) أي لغواً،و منه قولهم: مررت به خاصَّة أي: خصوصاً(٤)..

قال: هذا من المصادر التي جاءت على فاعلة كالعاقبة والعافية ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَائلة﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٤.

(٢) المحتسب ١/١٣٨.

(٣) سورة الغاشية الآية ١١. القراءة لعبدالله بن مسعود.

(٤) المحتسب ١/٢٨٧.

(٥)سورة التوبة الآية ٢٨.

ومما ذكره من أوزان المصادر وزن (مَفَعل) بالفتح، ويشاركه في ذلك اسم الزمان والمكان، فكلهن على (مَفْعَلٍ) بالفتح، كقولك: ذهبت مَذْهَباً، أي: ذهاباً،ومذهباً، أي: مكاناً يذهب فيه وزمان الذهاب... ومثله: بعثت يبعث مبعثاً ومنه: مبعث الجيوش، أي: زمان بعثها، وعلى ذلك خرَّج قراءة عبدالله بن مسلم بن يسار: ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾[1] وهو يختار في هذا الموضع أن يكون الوزن لاسم المكان من جمع يجمع فقياسه مجمع[2].

ومما خرجه على أوزان المصادر قراءة ابن مسعود: ﴿الْكِبَرِ عِتِيّاً﴾[3] ولذلك قراءة من قرأ: ﴿أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً﴾[4] بفتح العباد.

وقد أنكر ابن مجاهد هذا وقال: لا أعرف لهما في العربية أصلاً.

قال أبوالفتح: هو ما جاء من المصادر على فعيل نحو: الحويل: جودة النظر والقدرة على التصرف، والزويل والشخير والنخير[5].

ومن ذلك تخريجه لقراءة الحسن وآخرين: {رَتَقاً}[6] بفتح التاء.

قال أبوالفتح: وقد كثر عنهم مجئ المصدر على فَعْل (ساكن العين) واسم المفعول على فَعَل (مفتوحها) وذلك قولهم: النَفْضُ للمصدر، والنَفَضُ: للمنفوض. والخَبْطُ: للمصدر والخَبَطُ: للشيء المخبوط، والطَرْدُ: للمصدر،والطَرَدْ: المطرود وإن كان يستعمل مصدراً وقراءة الجماعة: رَتْقاً(بالسكون) كأنه مما وضع من المصادر موضع اسم المفعول كالصيد في معنى المصيد والخلق في معنى المخلوق[7].

---

(١) سورة الكهف الآية ٦٠.

(٢) المحتسب ٢/٣١-٣٢.

(٣) سورة مريم الآية ٨.

(٤) سورة مريم الآية ٧٠.

(٥) المحتسب ٢/٣٩.

(٦) سورة الأنبياء الآية ٣٠.

(٧) المحتسب ٢/٦٢.

ومما ذكره من أوزان المصادر وزن (فَعُول) في تخريجه لقـراءة السـلمي: ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً﴾[1].

فيرى أبوالفتح: أنَّ في فتح هذه الدال وجهين: منها أن يكون مما جـاء مـن المصادر على فَعُولِ[2].

أمَّا دلالة المصادر فهي إلى العموم والشياع والجنسية، وقد نبه ابن جني إلى ذلك في أكثر من موضع[3].

وفي ذكره لمعاني وزن (مفعلة) يذكر أنَّ فيها معنى الكثرة مـن المصـدرية التي فيه والمصدر إلى الشياع والعموم والسعة[4].

وفي تخريجه لقراءة ابن محيصن: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ﴾[5] فيذكر ابـن جنـي أن فعلت بالتخفيف فيه معنى التكثير، وذلك لدلالة الفعل على مصدره، والمصدر اسم الجنس وحسبك بالجنس شيعة وعموماَ[6].

وقد استوقفه أن العرب أحياناً تصف بالمصدر فتقول: رجلٌ عَدْلُ بـدلاً مـن عادل، وهو الأصل المعهود استعماله. فبين ابن جني في الخصائص الفـرق فـي استعمال الصيغتين لقوله : "ومن تجاذب الإعراب والمعنى ما جرى من المصادر وصفاً، هذا رجل دَنَف،وقوم رضا ورجل عدل، فإن وصفته بالصـفة الصـريحة قلت: هذا رجلُ دَنِفُ وقوم مرضيون ورجلُ عادل، هـذا هـو الأصـل، وإنمـا انصرفت العرب عنه في بعض الأحوال إلى أن وصفت بالمصدر لأمرين، أحدهما صناعي والآخر معنوي، أمَّا الصناعي فليزيدك أنساً بشبه المصدر للصـفة التـي أوقعته موقعها، كما أوقعت الصفة موقع المصدر وأمَّا المعنوي فلأنه إذا وصـف

---

(١) سورة الصافات الآية ٨-٩ القراءة السلمي المحتسب ٢١٩/٢.

(٢) المحتسب ٢١٩/٢.

(٣) المحتسب ٢٣٢/٢.

(٤) المحتسب ١٣٦/٢.

(٥) سورة البقرة الآية ٤٩.

(٦) المحتسب ٨١/١.

بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل. وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه) [1].

فالأمر المعنوي هذا هو المقصود وتتجلى فيه القيمة الدلالية، كما أنك أحياناً تقول لشخص ما أنت شرير، فإذا أردت أن تبالغ في وصفه بالشر تقول له: أنت الشر نفسه فيزداد غضبه ويعنف أكثر، لأننا ألصقنا به الشر وجعلناهما كالشئ الواحد، بل كأن المخاطب أصبح مصدراً للحدث نفسه، ولم نصل إلى هذا المعنى إلا باستخدامنا للمصدر [2].

فنجد في هذه المواضع إدراكاً واعياً من ابن جني لاستعمال المصدر في الوصف بل نجده في تخريجه لقراءة الحسن: ﴿وَقُودِهَا النَّاسُ﴾ [3] ينفذ إلى القيمة الدلالية الحقيقية في هذا الاستعمال إذ يقول:

هذا عندنا على حذف المضاف، أي: ذو وقودها، أو أصحاب وقودها الناس، وذلك أن الوُقود بالضم هو المصدر..، ولكن قد جاء عنهم الوقود بالفتح في المصدر، لقولهم وقدت النار وقوداً، ومثله أولعت بالشئ ولوعاً، وهو حسن القبول منك وكان أبوبكر يقول في وَضُوءاً، أنَّ هذا المفتوح ليس مصدراً وإنما هو صفة مصدر محذوف [4].

ومن ذلك تخريجه لقراءة أبي الحسن في قوله تعالى ﴿مَا هَذَا بَشَرى﴾ [5].

قال أبوالفتح: تحتمل هذه القراءة وجهين: أحدهما أن يكون أراد ما هذا ببشرى من قوله تعالى ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [6] أي باعوه فوقع المصدر موقع المفعول، كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ [7] أي: مصيده وكقوله تعالى ﴿وَهُوَ

---

(١) الخصائص ٢٥٩/٣.

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب- د.عبدالكريم مجاهد ص١٨٣.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٤.

(٤) المحتسب ٦٣/١.

(٥) سورة يوسف الآية ٣١.

(٦) سورة يوسف الآية ٢٠.

(٧) سورة المائدة الآية ٩٦.

﴿الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[١] وكقولهم هذا الثوب نسيج اليمن أي: منسوجه وغير ذلك من الأمثلة[٢].

ومن ذلك قراءة أبي رجاء: (صوغُ) من قوله تعالى: ﴿صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾[٣] قال.... أما الصوف فمصدر وضع موضع اسم المفعول يراد به المصوغ[٤].

ومن ذلك قراءة ابن السميفع (حصب): ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٥] ساكنة الصاد.

قال أبوالفتح: فأمَّا الحصْبَ ساكناً بالصاد والضاد فالطرح، وهي على إيقاع المصدر موقع اسم المفعول، كالخلق في معنى المخلوق، والصيد في معنى المصيد كما تقدم[٦].

مما سبق يتضح لنا أنَّ المصدر ذو وظيفة دلالية صرفية أبلغ من غيره سواء كان غيره اسم فاعل أو اسم مفعول. ولا ينوب المصدر عن اسم الفاعل أو المفعول فحسب وإنما يبالغ في دلالتها حين يستعمل بدلاً منها[٧].

وقد يضمر المصدر لدلالة اسم الفاعل عليه أو لدلالة الفعل عليه كقراءة على بن أبي طالب : (فوسَّطن) من قوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾[٨].

قال ابوالفتح: وَسَّطْنَ بالعدو جمعاً. وأضمر المصدر لدلالة اسم الفاعل عليه كما أضمر لدلالة الفعل عليه في قوله : من كذَّب كان شراً له، أي: كان الكذب شراً له[٩].

---

(١) سورة الروم الآية ٢٧.

(٢) المحتسب ٣٤٣/١.

(٣) سورة يوسف الآية ٧٢.

(٤) المحتسب ٣٤٦/١.

(٥) سورة الأنبياء الآية ٩٨.

(٦) المحتسب ٦٧/٢.

(٧) الدلالة اللغوية عند العرب- د. عبدالكريم مجاهد ص ١٩٢.

(٨) سورة العاديات الآية ٥.

(٩) المحتسب ٣٧٠/٢.

ثانياً: دلالة أوزان الصفات:

أما الصفات فقد أشار إلى أوزانها ودلالالتها،ومن ذلـك تخريجـه لقـراءة الجحدري : "تَزَّوارٌّ" : في قوله تعالى : {تَّزَاوَرُ}[1].

قال أبوالفتح: هذه أَفّعالٌّ وقلما جاء إفَعَّال إلا فـي الألـوان، نحـو: اسْـوادّ وابياضّ واحمارّ وأصفارّ، أو العيوب الظاهرة نحـو: أحـولّ وأحـوالّ وأعـورّ وأعوارّ.

وقد جاءت أفعالَّ وأفعلَّ في غير الألوان، قالوا: أرعوىّ وهو أفعلّ، و اقتوى أي: خدم وساس،وقالوا: اضرابَّ الشئ: أي : املس واشـعاثَّ رأسـه أي تفـرق شعره[2].

ومما خرجه على أوزان الصفات قراءة السلمي: ﴿لَشَيْءٌ عُجَّابٌ﴾[3].

قال أبوالفتح قد كثر عنهم مجئ الصفة على فعيل وفعال(بالتخفيف) وفُعَّـال (بالتشديد)، فقالوا رجلُ وضيء وَوُضاءُ، وأنشدوا:

والمرءُ يُلحِقُهُ بفتيان النَّدَي * خُلْقُ الكريم وليس بالوضّاءِ[4]

أي: ليس بوضئٍ[5].

ومن ذلك وزن : (فَعَّال) في قراءة معاذ بن جبل: ﴿إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[6].

ينبغي أن يكون هذا من قولهم: رَشِدَ برْشَدُ كعلاَّم من علم يعلم، أو من رشـد يرشُدُ إذ يكون من أرشد يرشد، تقديراً لا استعمالاً كما قالوا: ابقل المكـان فهـو باقل، وأورس الرمث فهو وارس[7] وأيفع الغلام فهو يافع، وأغضـي الليـل : إذا أظلم فهو غاضٍ، والقحت الريح السحاب فهو لاقح، فهذا على حذف همزة أفعـل،

---

(١) سورة الكهف الآية ١٧.

(٢) المحتسب ٢/٢٥-٢٦.

(٣) سورة ص الآية ٥.

(٤) البيت لصدقه الدبيري- الخصائص ٣/٦٦، اللسان مادة (وضأ) المحتسب ٢/٢٣٠.

(٥) المحتسب ٢/٢٣٠.

(٦) سورة غافر الآية ٢٩.

(٧) الرمث: شجر، أورس: أصفرَّ ورقه. وأورس الرمث : أصفر ورقه ، اللسان مادة (ورس).

وإنما قياسه ملقع، فعلى ذلك خرَّج الرَّشاد، أي رشـــد بمعنـــى أرشـــد تقـــديراً لا استعمالاً،والمعنى راجع فيما بعد إلى أنه مرشد، لأنه إذا رشد أرشد فكأنها من باب الاكتفاء بذكر السبب من المسبب[١].

ثالثاً: دلالة أوزان الأفعال:

أمَّا الأفعال فقد أشار أيضاً إلى بعض دلالالتها،وذكر أن الفعل موضوع على اعتراق جنسه، فمعنى قام زيدُ، كان منه القيام وقعد: كان منـــه القعـــود، والقيـــام والقعود جنسان، فالفعل إذاً على اغتراق جنسه، يدل على ذلك عمله فـــي جميـــع أجزاء ذلك الجنس من مفرده ومثناه ومجموعه، ونكرته ومعرفته، وما كـــان فـــي معناه[٢].ويذكر في موضع آخر في حديثه عن (نَقَرتها) مخففة و (نقَّرتها) بالتشديد فيقول: إنَّ هذا ونحوه مما يدل على اشتمال لفظ الأفعال على معاني الأجناس حتى إن اللفظة الواحدة تصلح لكثيره صلاحها لقليله[٣].

وفي تخريجه لقراءة الحسن: (تُطْهرهم) بسكون الطاء فـــي قولـــه: ﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾[٤]. وقراءة الجماعة {تطهِّرهم} بالتشديد.

فيرى أبوالفتح أن قراءة الجماعة أشبه بالمعنى لكثرة المؤمنين، من حيث كان تشديد العين هنا إنما هو للتكثير،و قد يؤدى فعلت وأفعلت عن الكثرة مـــن حيـــث كانت الأفعال تفيد أجناسها، والجنس غاية الجموع[٥].

وله ملاحظة صرفية دقيقة لدلالة فعل الأمر وحروفه وذلـــك فـــي تخريجـــه لقراءة عثمان بن عفان وآخرين : {فبذلك فلتفرحوا}[٦] بالتاء وقرأ أبي بن كعـــب: (فبذلك فافرحوا).

---

(١) المحتسب ٢/٢٤١-٢٤٢.

(٢) المحتسب ١/٢٣٨-٢٣٩.

(٣) المحتسب ١/١٩٤.

(٤) سورة التوبة الآية ١٠٣.

(٥) المحتسب ١/٣٠١.

(٦) سورة يونس : ٥٨.

فيرى أبوالفتح أن قراءة: (فلتفرحوا) بالتاء خرجت على أصلها، وذلك أن أصل الأمر أن يكون بحرف الأمر وهو اللام، فأصل اضرب لتضرب، وأصل قم لتقم، كما تقول للغائب: ليقم زيدٍ، وليضرب هند، ولكن لمَّا كثر أمر الحاضر نحو قم واقعد واخرج وادخل، حذفوا حرف المضارعة تخفيفاً بقي ما بعده، ودلَّ حاضر الحال على أن المأمور هو الحاضر المخاطب، فلما حذف حرف المضارعة، بقي ما بعده في أكثر الأمر ساكناً فاحتيج إلى همزة الوصل ليقع الابتداء بها فقيل: اضرب، اذهب، ونحو ذلك، ثم بين لنا السبب الذي دعي إلى تخفيف أمر الغائب وذلك لأن الغائب بعيد عنك، فإذا أردت أن تأمره احتجت إلى أن تأمر الحاضر لتؤدى إليه أنك تأمره، فقلت: يا زيد، قل لعمرو: قم، ويا محمد قل لجعفر: اذهب. فلا تصل إلى أمر الغائب إلا بعد أن تأمر الحاضر أن يؤدى إليه أمرك إياه.

والحاضر لا يحتاج إلى ذلك لأن خطابك إياه قد أغنى عن تكليفك غيره أن يتحمل إليه أمرك له.

ويذكر دليلاً ثانياً على تمكن أمر الحاضر، وهو أنك لا تأمر الغائب بأسماء فعل الأمر نحو: صه بمعنى اسكت ومه: بمعنى كف، وإيه بمعنى: كف، ونحو ذلك، ويذكر سبب حسن التاء في لتفرحوا وهي أنه أمر لهم بالفرح، فخوطبوا بالتاء لأنها أذهب في قوة الخطاب(١).

وفي تخريجه لقراءة: {يَوْمُ الزِّينَةِ}(٢) بالرفع يشير إلى دلالة الفعل على المصدر والزمن فيقول: إن الموعد عنده ينبغي أن يكون زماناً،فكأنه قال:وقت وعدي يوم الزينة، كقولنا : مبعث الجيوش شهر كذا أي: وقت بعثها حينئذ، والعطف عليه بقوله: (وأن يُحشر الناس ضحىً) يؤكد الرفع لأن أن لا تكون ظرفاً.... وذلك أن لفظ المصدر الصريح أشبه بالظرف من أن وصلتها التي بمعنى المصدر إذا كان اسماً لحدث، والظرف اسم للوقت، والوقت يكاد يكون حدثاً. وعلى كل حال فلست تحصل من حركات الفلك، فلما تدانيا هذا التداني ساغ

(١) المحتسب ٣١٣/١-٣١٤.

(٢) سورة طه الآية ٥٩.

وقوع أحدهما موقع صاحبه. وأمَّا أن فحرف موصول جعل بدل لفظه على أنه معنى المصدر[١].

وفي تخريجه لقراءة الأعرج (نحشرهم) بالنون في قوله: {يَحْشِرُهُمْ}[٢] بكسر الشين له إشارة دقيقة إلى أوزان هذه الأفعال إذ تقول: هذا وإن كان قليلاً في الاستعمال فإنه قوى في القياس، وذلك أن يَفْعل في المتعدى أقيس من يفعُل إذا بابها الأقيس أن تأتي في مضارع فعُل كظرف يظرُف وكرُم يكرُم، ثم نقلت إلى مضارع فَعَل نحو يقتل ويدخُل، لتخالف حركة العين في المضارع حركتها في الماضي إذ كان مبنى الأفعال على اختلاف مثلها، من حيث كان ذلك دليلاً على اختلاف أزمنتها، فكلما خالف الماضي المضارع كان أقيس وباب فَعَل إنما هو يفعُل، كما أن باب فَعِل إنما هو يفعل، فكما انقاذ عَلِمَ يعلَم، كان يجب أن ينقاد باب ضرب يضرب.

فإمَّا يفعُل فبابه- على ما تقدم- فعُل كشرف يَشْرُفُ، وباب فعُل غير متعد، فالأشبه ما أخرج إليه من باب فَعَل أن يكون مما ليس متعدياً كقعد يقعد، كما أن ضرب يضرب أقيس من قتل يقتل، فكذلك قعد يقعد أقيس من جلس يجلس[٣].

رابعاً: دلالة أوزان الأسماء:

أما الأسماء وأوزانها فقد كان يشير إلى دلالالتها ويقارن بين أوزانها ويشير أحياناً إلى قوة أو ضعف بعض أوزانها.

ومن ذلك تخريجه لقراءة ابن عباس وآخرين: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾[٤] وقرأ على عليه السلام (وأثْرَة) ساكنة الثاء.

قال أبوالفتح: الأثرة والأثارة التي تقرأ بها العامة : البقية، وما يؤثر، وهي من قولهم: أثر الحديث يأثره أثراً وأثرة... ومنه سيف مأثور عليه أثر الصبغة وطرائق العمل.

---

(١) المحتسب ٢/٥٤.

(٢) سورة الفرقان الآية ١٧.

(٣) المحتسب ٢/١١٩.

(٤) سورة الأحقاف الآية ٤.

وأمَّا الأثْرةْ (ساكنة التاء) فهي أبلغ معنى وذلك أنها الفَعْلَة الواحدة من هـذا الأصل، فهي كقولك: أئتوني بخبر واحد، أو حكاية شاذة أي قد قنعت في الاحتجاج لكم بهذا القدر على قلته وإفراد عدده[١].

ومن إشاراته الصرفية الدقيقة تفضيله لأوزان الجموع وتكسيرها وأسماء الجمع وصيغها. ومن ذلك تخريجه لقراءة الأعرج: {قِنْوَانٌ}[٢] بالفتح.

يقول أبوالفتح: ينبغي أن يكون قَنَوان هذا اسماً للجمع غير مكسر بمنزلة ركب عند سيبويه والجامل[٣] والباقر[٤] وذلك أن فعلان ليس من أمثلة الجمع[٥].

وفي تخريجه لقراءة أم الدرداء[٦] (حتى إذا كنتم في الفلكي)[٧] بكسر الكاف وتثبيت الياء.

فيقول أبوالفتح: إن العرب زادت ياء الإضافة فيما لا يحتاج إليها كقولهم في الصفات: الأحمر أحمري، وفي الأسماء كقولهم في الصلتان: الصلتاني وذلك أنهم شبهوا كل من الاسم والصفة بصاحبه فشبهوا الفلك بالصفات، ويزيد في شبهه له أنَّ الفلك اسم مكسر، وليس كما ذكر الفراء من أنه اسم مفرد يقع على الواحد والجمع، فهو جمع مكسر أشبه الفعل من حيث كان التكسير ضرباً من التصرف وأصل التصرف للفعل.

ويبين في هذا الموضع علة منع صيغة منتهى الجموع من الصرف وذلك لشبهها بالفعل، ولأن التكسير أيضاً ثانٍ، كذلك قارب التكسير الصفة لسدة ملابسته

---

(١) المحتسب ٢/٢٦٤.

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٩.

(٣) الجامل القطيع من الإبل مع رعاته وأربابه اللسان مادة (جمل).

(٤) الباقر جماعة البقر مع رعاتها اللسان مادة بقر.

(٥) المحتسب ١/٢٢٣.

(٦) هي أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت يحيى الأوصابية الحميرية أم الدرداء الصغرى، زوجة أبي الدرداء أخذت القراءة عن زوجها، وأخذ عنها إبراهيم بن عيلة؛ توفيت بعد الثمانين، طبقات القراء / ٢/٣٥٤.

(٧) سورة يونس : ٢٢

الصفة للفعل لفظاً ومعنى وعملاً فهذا عندي هو العذر في إلحاق ياءي الإضافة في الفلك في هذه القراءة[١].

ومن ذلك قراءة يحي بن يعمر: {وَلِوَلَدَيَّ}[٢] قال: الوَلْدُ يكون واحداً ويكون مجمعاً وإذا كان جمعاً فهو جمع ولد، كأَسَد وأُسْد، وقد يجوز أن يكون الوُلْد: جمع وِلْدُ كالفلْك بجمع فُلْكَ،وكرجل هُود وقوم هَود والولد: اسم لجميع الواحد والجماعة، والأنثى والذكر، وقالوا وُلدُ أيضاً[٣].

وقد خصص بعض أوزان اسماء لدلالات معينة، من ذلك: وزن (فعلى) في التكسير كالسكري مما يختص به المبتلون كالمرضي والسقمي والموتى والهلكى، وذلك أن السُّكر علة لحقت عقولهم، كما الصَرَع والجَرَح، علة لحقت أجسامهم[٤].

ومما ذكره في هذه القراءة من أوزان الجموع وزن (فُعالا) وذلك في ذكره لوزن سُكارى بالضم فقال: إنه يجوز أن يكون مكسراً مما جاء على فُعَال كالظؤار[٥]، والعُراقَ[٦] والرُخال[٧].

أمَّا رُجاني فمثل حُباري وسُكارى ويقال: أراجل وأراجيل ورُجالي،ورُجالي ورُجلان وقراءة الجماعة رُجالاً جمع راجل أيضاً،و كصائم وصيام وصاحب وصحاب[٨].

وأشار إلى هذا الوزن أيضاً في تخريجه لقراءة ابن عباس: (رُجَّالاً) وورجالاً، {رِجَالاً}[٩].

---

(١) المحتسب ٣١/١.

(٢) سورة إبراهيم ٤١.

(٣) المحتسب ٣٦٥/١.

(٤) المحتسب ٧٢/٢.

(٥) جمع ظئر وهي العاطفة على غير ولدها.

(٦) العراق: جمع عرق كسهل وهو العظم أكل لحمه.

(٧) الرفال: جمع رفل: الأنثى من ولد الضان.

(٨) المحتسب ٧٩/٢.

(٩) سورة الحج الآية ٢٧ في المحتسب ٧٩/٢.

ومن ملاحظاته الصرفية الدقيقة أشارته إلى ما يجمع بالتاء وذلك في تخريجه لقراءة الناس: { مَغَارَاتٍ}[١] وقراءة (مَغارات) بالضم إذ يرى أبوالفتح أن مغارات: جمع مغارة أو مغار، وجاز أن يجمع بالتاء وإن كان مذكراً لأنه لا يعقل، ومثله إوان[٢] وجمل سبطر وجمال سبطرات[٣] ومغار: مفعل من غار الشئ يغور، وأمَّا مُغارات مجمع مُغار من غار الشيء ويغور وأغرته أنا أغيره فكأنه: لو يجدون ملجأ أو أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم ويسترون أنفسهم[٤].

وفي تخريجه لقراءة أبي عمرو : {بَغْتَّةً}[٥] يقول أبوالفتح: إنَّ وزن فَعلَّة وزن لم يأت في المصادر ولا في الصفات إنما هو مختص بالأسماء منه الشَّربَّةُ واسم موضع. وجاء هذا الوزن (الفعلَّة) بلا تاء في الاسم أيضاً وهو : معدٌّ وهي اسم للصبي الصغير[٦].

من خلال القراءات السابقة يتضح لنا أن ابن جني كانت له نظرة ثاقبة ودقيقة في الأوزان الصرفية ودلالاتها.

---

(١) سورة التوبة الآية ٥٧.

(٢) الإيوان هو: الصَّفة العظيمة. ومنه أيوان كسرى وأصله أوَّان فأبدلت الواو ياء ، اللسان مادة (أون) .

(٣) سبطر: طويل على وجه الأرض. السبطر : الأنساط في المشي والتبختر فيه، والسبطر السريع، اللسان مادة (سبطر) .

(٤) المحتسب ٢٩٥/١.

(٥) سورة محمد الآية ١٨.

(٦) المحتسب ٢٧١/٢-٢٧٢.

المبحث الرابع

الدلالة النحوية:

المطلب الأول: تعريف الدلالة النحوية وعناصرها .

المطلب الثاني : دلالة الحذف .

المطلب الثالث: دلالة الزيادة

المطلب الرابع: دلالة الحركة الإعرابية

المطلب الخامس: دلالة ترتيب الجملة (التقديم والتأخير)

المطلب الأول

تعريف الدَّلالة النَّحوية وعناصرها

الدلالة النحوية هي التي تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كلٌ منها موقعاً معيناً في الجملة حسب قوانين اللغة، حيث إن كل كلمة في التركيب لابد أن يكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها. يقول ابن جني عن النحو: (هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره) [١].

وإذا كان تشومسكي يرى أن معنى الجملة يمكن فهمه من خلال العلاقات فيها، فإن ابن جني قد أدرك هذه الفكرة بجلاء في وظيفة الإعراب الدلالية. والإعراب – كما هو معروف– مظهر لفظيُ خارجي للعلاقات الداخلية في التركيب النحوي[٢].

يقول ابن جني في شأن الإعراب: (هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيدُ أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع احدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه) [٣]. وهو يرى أنَّ الإعراب إنما جئ به دالاً على اختلاف المعاني.

فالإعراب في نظره يحدد الوظائف النحوية للكلمات من خلال الحركات المختلفة رفعاً أو نصباً أو جراً، فالحركات صورُ لفظية تقوم بوظيفة دلالية، تحدد المعاني النحوية للجملة العربية ونجد هذه الدلالة عند ابن جني باسم الدلالة المعنوية وذلك بمراعاته للقوانين النحوية التي ترى أنَّ لكلِّ فعل فاعلاً فإذا ذكرت الفعل فلابد أن تبحث له عن الفاعل بعده[٤].

وابن جني يدرك ببصيرة نافذة أنه لابد من قيام علاقة نحوية بين الفعل ومحدثه، تكون بمثابة القوة التي تشد أحدهما إلى الآخر، فإذا ما أخذنا نظرات ابن

---

(١) الخصائص ٣٤/١.

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب– د.عبدالكريم مجاهد–ص ١٩٤.

(٣) الخصائص ٣٥/١، ١٥٠، ١٧٥.

(٤) الخصائص ٩٨/٣.

جني القيمة في الدلالة النحوية وتناولناها من خلال النظرية التوليديـــة التحويليـــة، التي أخذت شهرة واسعة في العصر الحديث وتأثر بها عددُ غير قليل من علمائنا. إذ تقوم هذه النظرية أساساً على فكرة الفطرة اللغوية عند الإنسان، وذلك أنَّ هـــذه الفطرة الذهنية قائمة على عدد من الكلمات النحوية والقواعد الكلية، التـــي تقـــوم بضبط الجمل المنتجة، وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامَّة، تخضع لها الجمـــل التي ينتجها المتكلم، ونختار ما يتصل بلغته من قوالب من بـــين القـــوانين الكليـــة العامَّة في ذهنه والتي هي متساوية عند بني البشر، وتكـــون فـــي الإنســـان منـــذ ولادته[1]، ويحاول تشومسكي من خلال هذه النظرية أن يثبت أن البنيـــة العميقـــة متساوية مع البنية السطحية.

على افتراض أن البنيتين هما في حقيقة الأمر شيء واحد ولكن! وكما يرى أحد علمائنا المحدثين أنه ليس من المعقول أن تكون القواعـــد والقـــوانين اللغويـــة متساوية عند الجميع، لأنّ جزءاً كبيراً من هذه القوانين مكتسبُ وليس فطريـــاً، ولا يعقل أن تكون القدرة الكامنة في الذهن لتوليد الجمل متساوية عند متكلمي البيئـــة اللغوية الواحدة. والذي يحدث عند انقداح فكرة ما في الذهن أن يأخذ المتكلم هـــذه الفكرة ويعبر عنها بألفاظ معينة وتراكيب معينة يستخدمها من معجمه مراعياً فـــي ذلك المقام السياقي والمقام الحالي، وهنا تبرز الكفاية اللغوية وتفاوتها عنـــد بنـــي البشر، حتى عند أهل اللغة الواحدة، بحسب درجة التعلم والممارسة[2].

فالبناء النحوي إذن في النظرية التوليدية التحويلية يتكون من مكون أساسي ومكون تجويلي، وفي المكون الأساسي هذا تتكون البنية العميقة، وتتغير في البنية السطحية وفقاً لعوامل عدَّة تجعل الجملة بعد تكوينها وتوليدها تختلف فـــي البنيـــة العميقة عن البنية السطحية، فنجد أنفسنا أمام جملتين مختلفتـــين نحويـــاً ودلاليـــاً وصوتياً، الجملة الثانية (السطحية) متطورة عن الأولى(العميقة) ولعناصر التحويل

(١) في نحو اللغة وتراكيبها- د. خليل عمايره-ط١٠- عالم المعرفة جدة ١٩٨٤م- ص ٥٦.

(٢) عناصر تحقيق الدلالة في العربية – د. صائل رشدي شديد – ص ١١٦.

هذه دورٌ مهم في تغيير الجملة مبني ومعنى وهي عند علماء اللغة المحدثين تشمل الحذف والزيادة. والتقديم والتأخير، إضافة إلى عوامل أخرى تؤثر في المعنى مثل الفصل والوصل، والحركة الإعرابية[١].

وقد تناول ابن جني هذه العناصر في الخصائص في باب كامل سماه: (في شجاعة العربية) [٢] تناول فيه الحذف بأنواعه حيث شمل حذف الاسم سواءً أكان المحذوف مبتدأً أو خبراً أو مضافاً أو موصوفاً أو صفة أو مفعولاً، وحذف الفعل وتناول فيه حذف الفعل مع فاعله، وحذفه وحده. وأخيراً حذف الحرف.

والفصل الثاني من باب شجاعة العربية تناول فيه التقديم والتأخير، وفي الفصل الثالث تحدث عن الفروق والفصول،و جعل فصلاً في الحمل على المعنى وفصلاً في التحريف.

أما في المحتسب فقد خرَّج ابن جني الكثير من القراءات موضحاً من خلالها دلالة عناصر التحويل هذه. بدءاً بدلالة الحذف والزيادة والتقديم والتأخير وانتهاءاً بدلالة الحركة الإعرابية.

---

(١) السابق ص ١١٧.

(٢) الخصائص ٣٦٠/٢ – ٤٤١.

المطلب الثاني

دلالة الحذف:

والحذف لغة:

من حذف الشيء يحذِفُهُ حَذْفاً: قطعه من طرفه، وحذف رأسه بالسيف حذفاً: ضربه فقطع منه قطعة والحذف الرمى، والضرب عن جانب. فحذف الشيء إسقاطه[1].

ويعتبر الحذف ظاهرة لغوية عامة تقع في أكثر اللغات حيث يجنح الناطقون إلى إسقاط بعض العناصر التي يمكن فهمها من سياق الكلام. والعربية واحدة من اللغات التي يكثر فيها وقوع الحذف بل يعدُّ مظهراً من مظاهر تحقيق الدلالة فيها، ويشمل الجوانب اللغوية المختلفة من صوتية وصرفية ونحوية وهو يقع على جميع أسماء الكلم من حروف وأسماء وأفعال وجمل وتراكيب، وهو على رأى أصحاب المذهب التحويلي يقع في البنية السطحية للجملة، وبإثبات البنية العميقة لها يمكن التوصل إلى العنصر المحذوف، مع وجود الدليل على المحذوف، لفظياً كان أو معنوياً[2].

وقد أشار ابن جني إلى ذلك في الخصائص بقوله (إنَّ العرب قد حذفت الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه وإلا كان فيه ضرب من تكليف الغيب) [3].

وقد وضع أصحاب النحو التحويلي قواعد للحذف منها حذف العنصر المكرر من الجملة إذا أمكن الاستدلال عليه من التركيب، وذلك كحذف الفاعل المكرر ويسمى نحاة العربية ذلك إضمار الفاعل كقوله : (لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمرة حين يشربها وهو مؤمن) [4].

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، دار صادر- مادة حذف

(٢) اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين-د. نادية رمضان النجار مراجعة وتقديم عبده الراجحي- دار الوفاء للطباعة والنشر الإسكندرية ص ١٨٣.

(٣) الخصائص ٢/٣٦٠.

(٤) الحديث في سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ط٣ المفهرسة- بيروت- ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م- دار البشائر الإسلامية في كتاب الأشربة حديث رقم ٥٥٦٠- ٨/٣١٣.

والتقدير: (لا يشرب الشارب) لدلالة ما سبق في الزني،الزاني، والقرينة هنا تلازمية لأنَّ الفعل يشرب يطلب شارباً(١).

ومن قواعد الحذف التي وضعها التحويليون: حذف رابط الكينونة من الإسناد اسماً كان أو فعلاً، لأنَّ هناك ضميراً يربط بين ركني الإسناد يقدر بـ(كائن أو موجود في الجملة البسيطة، فتكون البنية العميقة لجملة زيدُ مجتهد، كالآتي:

ج١← مسند إليه + رابط الإسناد + مسند

ج← زيد + يكون + مجتهد

ويظهر رابط الإسناد عند النفي نحو:

لم يكن زيدُ مجتهداً(٢).

وقد نبه إلى ذلك نحاتنا القدماء فهم يقدرون رابط الكينونة عند تعلق شبه الجملة به كما يحذف خبر لا النافية للجنس إذا أريد به مجرد الوجود(٣).

وهناك قواعد اختبارية للحذف كحذف الفاعل الحقيقي في صيغة الفعل المبني للمجهول وغالباً ما يحذف الفاعل هنا لأغراض معنوية أو لفظية أشار إليها نحاتنا من قبل(٤).

المعنوية نحو: الجهل بالفاعل أو الخوف منه أو عليه كقولهم سُرق المتاع، أو الإيجاز كما في قوله تعالى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾(٥).

واللفظية: كالمحافظة على السجع كقولهم: (من طابت سريرته حمدت سيرته) فإذا جئنا بالفاعل وقلنا (حمد الناس سيرته) أدَّى ذلك إلى الخروج عن السجع، وإن كان ظهور الفاعل الحقيقي لا يخل بمعنى الجملة نحوياً، لذلك جعل العلماء هذه القاعدة اختيارية(٦).

---

(١) اللغة وأنظمتها- نادية رمضان النجار- ص ١٨٤.

(٢) قواعد تحويلية -محمد الخولي، د. ط ١٤٠٢هـ- ١٩٨١م ، دار المريخ ، الرياض -ص ١١٥.

(٣) شرح الأشموني على الفية ابن مالك- تحقيق حسن حمد ص ٢٦٦.

(٤) شرح ابن عقيل على الألفية تحقيق: محمد محي الدين، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م مكتبة دار التراث- القاهرة- ٢٤٧/١.

(٥) سورة النحل الآية ١٢٦.

(٦) اللغة وأنظمتها- نادية رمضان النجار -ص ١٨٧.

وكما حذفوا الفاعل اختيارياً، كذلك حذفوا المفعول وذلك كثير. إن كان المحذوف مفهوماً من السياق، ولابد للأفعال في هذه القاعدة أن تكون متعدية والجملة في البنية السطحية مكونة من:

ج ← فعل + فاعل نحو جملة أكل زيد فشبع، ويفهم من السياق أن الجملة في البنية العميقة كالآتي:

أكل زيد الطعام فشبع

ج← فعل + فاعل+ أداة + فعل+ فاعل+ مفعول

ويلاحظ صحة الجملة نحوياً إذا أثبتنا المفعول مما جعل حذفة هنا اختيارياً[١].

ويجيز نحاتنا حذف المفعول من الجملة لكونه فضله، مع اختلافهم في وجود الدليل،فمنهم من يرى جواز حذفه وإن لم يتوفر دليل[٢]. ومنهم من يشترط وجود الدليل كعالمنا ابن جني كما رأينا في قوله (وليس شئ من ذلك إلا عن دليل عليه) [٣].

وكما ذكرت فإن ابن جني قد ذكر أنواع الحذف: الجملة والمفرد والحرف والحركة والحذف المفرد عنده على ثلاثة أضرب: اسم وفعل وحرف[٤].

أما الاسم فحذفه على اضرب وهو ما خرَّج عليه الكثير من القراءات في المحتسب ويشير إلى كثرة ذلك وعذوبته في اللغة بل الحذف عنده دليلُ على قوة الناطق به[٥].

وهو رغم كثرة المواضع التي يستحسن فيها الحذف إلا أنه يرى أنه كلما قل الحذف كان أمثل من كثرته[٦].

---

(١) اللغة وأنظمتها–ص ١٨٨.

(٢) مغني اللبيب– لابن هشام– ٦٠٣/٢.

(٣) الخصائص ٣٦٠/٢/ المحتسب ١٢٥/١.

(٤) الخصائص ٣٦٠/٢– ٣٦١.

(٥) المحتسب ٨٩/٢– ١١٥– ١٥٧.

(٦) المحتسب ٢٤٥/٢.

أولاً : حذف الاسم:

ومما حذف بكثرة من الأسماء المفعول به- والمبتدأ -والخبر- والمضاف - والمضاف إليه- والموصوف- والبدل- والفاعل وحذفه كما يقول ابن جني كثيرٌ في القرآن وفصيح الكلام بشرط أن يكون هناك دليل عليه، ويضرب لذلك عدة أمثلة من الشعر وكلام العرب تدل على عذوبة حذف المفعول وبلاغته(١).

وهو في تخريجه لقراءة ابن عباس: ﴿مِّن كُلٍّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (٢) بالتنوين. يفضل قراءة الجماعة على الإضافة: (من كلّ ما سألتموه) فالمفعول محذوف.

ويرى أن حذف المفعول عذبٌ عالٍ في اللغة(٣)يقول: ما أكثر وأعذب وأغرب حذف المفعول بل هو دليل على قوة الناطق به(٤).

ويؤكد في مواضع أخرى أنه كرر ذكر حذف المفعول به لدلالة الكلام عليه وأنه لا يصدر إلا عن فصاحة عذبة(٥).

والمفعول المحذوف هذا إمَّا أن يكون المفعول الأول أو الثاني.

أمَّا الأول : فهو كثير وقد خرج عليه الكثير من القراءات.

١- حذف المفعول الأول:

من ذلك قراءة أبي رجاء: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنَسِّهَا﴾(٦) مشددة السين قال: هو على حذف المفعول الأول، أي: نُنسِّ أحداً إياها(٧).

ومن ذلك تخريجه لقراءة أبي عبدالرحمن السلمي: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾(٨) بفتح الياء.

---

(١) المحتسب ٣٣٣/١.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٤.

(٣) المحتسب ٣٦٣/١.

(٤) المحتسب ٨٩/٢.

(٥) المحتسب ١٥٧/٢- ٢٠٢.

(٦) سورة البقرة الآية ١٠٦.

(٧) المحتسب ١٠٣/١.

(٨) سورة البقرة الآية ٢٣٤.

قال أبو الفتح: إنه على حذف المفعول، أي: والذين يتوفون أيامهم أو أعمالهم أو آجالهم، ويستشهد على ذلك بعدة شواهد من القرآن والشعر[١].

وفي تخريجه لقراءة الحسن: ﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾[٢].

فيرى أبو الفتح أنَّ معناه أن يُؤتي أحدُ أحداً مثل ما أوتيتم، كقولك أن يحسن أحد مثل ما أحسن إليكم ما رأى أن يحسن أحدُ إلى أحد مثل ما أحسن إليكم، فتحذف المفعول ويكون معناه ومفاده أن نعمة الله سبحانه لا تقاس بها نعمة[٣].

ومن ذلك قراءة أبي رجاء: ﴿يُرْتِعْ وَيُلْعَبْ﴾[٤] بالجزم.

فيرى أبو الفتح أن يرتع ويلعب، فمجزومان على إنهما جوابان أحدهما معطوف على صاحبه وهو على حذف المفعول، أي: يُرْتعِ مَطِيتهُ[٥].

ومن ذلك قراءة علي- كرم الله وجهه- ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[٦] وقراءة الجماعة: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

فيقول: إن المفعول هنا محذوف أي يحفظونه مما يحاذره بأمر الله[٧].

وفي قراءة ابن مسعود: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ﴾[٨] .

يرى أبو الفتح أن يوجِّه بكسر الجيم على حذف المفعول أي: أينما يوجه وجهه، ويبين سبب حذف المفعول هنا وهو للعلم به[٩].

---

(١) المحتسب ١/١٢٥.

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٣.

(٣) المحتسب ١/١٦٣.

(٤) سورة يوسف الآية ١٢.

(٥) المحتسب ١/٣٣٣.

(٦) سورة الرعد الآية ١١.

(٧) المحتسب ١/٣٥٥.

(٨) سورة النحل الآية ٧٦.

(٩) المحتسب ٢/١١- ١٢.

وفي تخريجه لقراءة: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[١] دون أن يذكر القارئ. وقد حذف مفعولها أي تنبت ما تنبته ودهنها فيها[٢].

ومن ذلك قراءة قتادة: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾[٣] هل يسمعونكم إذ تدعون جواباً عن دعائكم؟ يقال: دعاني فأسمعته، أي أسمعته جواب دعائه، ثم يشير بعد ذلك إلى قراءة الجماعة: (هل يسمعونكم) ويذكر أن سمعت بابها أن تتعدي إلى ما كان صوتاً مسموعاً نحو: سمعت كلامك، فإن وقعت على جوهر تعدت إلى مفعولين ولا يكون الثاني منهما إلا صوتاً، كقولك: سمعت زيداً يقرأ، وسمعت محمداً يتحدث ولا يجوز: سمعت محمداً يقوم لأن القيام ليس من المسموعات[٤].

نلاحظ هنا إشارة دقيقة من ابن جني إلى دلالة تعدى الفعل سمع.

ومن ذلك قراءة الأعرج: ﴿ لَخَسَفَ بِنَا ﴾[٥]

قال أبوالفتح: الفاعل اسم الله والمفعول محذوف، أي: لخسف الله بنا الأرض، ويذكر في هذا الموضع حسن حذف المفعول به[٦].

وفي تخريجه لقراءة الحسن: ﴿لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾[٧].

قال أبوالفتح: المفعول محذوف، أي لا يُقضي عليهم الموت، ويبين سبب حسن حذفه هنا بقوله: (وحسن حذفه هنا لأنه لو قيل: لا يقضى عليهم الموت فيموتون كان تكريراً يغني من جميعه بعضه.. وعلى كل حال فقد بينا في كتابنا هذا وفي غيره حسن حذف المفعول لدلالة الكلام عليه وأنه لا يصدر إلا عن فصاحة عذبة[٨].

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٢٠.

(٢) المحتسب ٨٩/٢.

(٣) سورة الشعراء الآية ٧٢.

(٤) المحتسب ١٢٩/٢.

(٥) سورة القصص الآية ٨٢.

(٦) المحتسب ١٥٦/٢-١٥٧.

(٧) سورة فاطر الآية ٣٦.

(٨) المحتسب ٢٠١/١- ٢٠٢.

ومما حذف فيه المفعول الأول قراءة على: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (١).

قال أبوالفتح: وأمَّا قوله: (وليعلمن فمعناه: وليعرفن الناس من هم؟ فحذفت المفعول الأول، كما قال الله تعالى ﴿يَوْمَ يدعي كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (٢).

ومن ذلك قراءة ابن عباس: ﴿لِتَعَرَفُوا﴾ (٣).

قال أبوالفتح: المفعول هنا محذوف أي لتعرفوا ما أنتم محتاجون إلى معرفته من هذا الوجه، وحذف المفعول كثير جداً وما أغربه وأعذبه لمن يعرف مذاهبهم (٤).

فنراه يخرج هذه القراءات على حذف المفعول الأول دون قيد أو شرط سوى الدلالة عليه، وهذا ما أجازه نحاة العربية إذا لم يضر حذفه (٥) .

٢- حذف المفعول الثاني:

وقد خرَّج عليه ابن جني عدداً من القراءات ومن ذلك قراءة {وَلَيَعْلَمَنَّ} (٦) بعد أن خرجها على حذف المفعول الأول: وإن شئت كان على حذف المفعول الثاني لا الأول، كأنه قال: فليعلمنَّ الله الصادقين ثواب صدقهم والكاذبين عقاب كذبهم (٧).

وفي حركة لقراءة ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (٨) فحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه فكأنه قال: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)، ويبين السبب الذي يجعلهم يحذفون المفعول الثاني بقوله: فحذف المفعول الثاني لقربه من الأول وأنه أيضاً

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٣.

(٢) سورة الإسراء الآية ٧١، فنجده هنا يستشهد بقراءة الحسن وهي شاذة ليثبت قاعدة حذف المفعول الأول المحتسب ١٥٩/٢.

(٣) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٤) المحتسب ٢٨٠/٢.

(٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك- تحقيق: محمد محي الدين، ص ٢٦٩.

(٦) سورة العنكبوت الآية ٣. والقراءة لتمام بن عباس بن عبدالمطلب.

(٧) المحتسب ١٦٠/٢.

(٨) سورة الفتح الآية ١٠.

بلفظه وعلى وضعه، وهذا المعنى هو راجع إلى معنى القراءة العامة إنما يبايعون الله، أي إنما يفعلون ذلك لله، إلا أنها أفخم معنى من قوله لله، أي إنما المعاملة في ذلك معه فهو أعلى لها وأرجع بها[1].

فنجده في هذه القراءة يفضل القراءة الشاذة على العامة، ويرى أنها أفخم معنى منها بحذف المفعول الثاني لدلالة ما قبله عليه.

٣/ حذف المبتدأ:

ومما حذف من الأسماء: المبتدأ، نحو قولهم هل لك في كذا؟ أي: هل لك فيه حاجةٌ؟ ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ﴾[2] أي ذلك أو هذا بلاغ وهو كثير[3].

والنحاة يجيزون حذف المبتدأ والخبر إذا دلَّ عليه دليل جوازاً أو وجوباً وحددوا مواضع معينة يحذف فيها المبتدأ وجوباً منها:

١/ إذا كان الخبر نعتاً مقطوعاً للمدح أو الذم أو الترحم.

٢/ إذا كان الخبر مخصوص نعم أو بئس.

٣/ إذا كان الخبر اسماً صريحاً في القسم.

٤/ إذا كان الخبر مصدراً نائباً مناب الفعل[4].

ومما خرجه ابن جني على حذف المبتدأ من القراءات قراءة: ﴿مَثَلاً مَّا بَعُوضَةٌ﴾[5] بالرفع.

قال: وجه ذلك إن ما هاهنا اسم بمنزلة الذي أي: لا يستحي أن يضرب الذي هو بعوضة مثلاً، فحذف العائد على الموصول وهو مبتدأ.

---

(١) المحتسب ٢/٢٧٥.

(٢) سورة الأحقاف الآية ٣٥.

(٣) الخصائص ٢/٣٦٢.

(٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد– ص ١٢٨.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٦. والقراءة لرؤبة قالها ابن مجاهد محكية عن أبي عبيدة ، المحتسب ١/٦٤.

وضرب لذلك عدة أمثلة من القرآن والشعر مثل قراءة بعضهم ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنُ﴾[١] أي: على الذي هو أحسن. وحكي صاحب الكتاب عن الخليل ما أنا بالذي قائل لك شيئاً أي الذي هو قائل لك شيئاً[٢].

ومن ذلك قراءة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾[٣].

قال أبوالفتح: خبرُ مرفوع؛ لأنه خبر مبتدأ محذوف، أي: أصلح إليهم فذلك خيرُ[٤].

وهو هنا يشير إلى أن حذف الفاء مع المبتدأ أجدر وأحرى للمعنى، ولكنه في القراءة السابقة (تماماً على الذي أحسن) يضعف الأعراب يحذف المبتدأ العائد على الذي، لأن تقديره: تماماً على الذي هو أحسن، وحذف هو من هنا ضعيف، ويبين سبب الضعف، وذلك أن المبتدأ ليس فضلة في الجملة فيحذف تخفيفاً ولاسيما وهو عائد الموصول[٥].

ومما خرجه على حذف المبتدأ قراءة الأعمش: ﴿وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخٌ﴾[٦].

قال: الرفع في (شيخٌ) من أربعة أوجه: وذكر أن أحدها أن يكون شيخ خبر مبتدأ محذوف كأنه قال: هذا شيخ، والوقف إذاً على قوله (هذا بعلي)، لأن الجملة قد تمت، ثم استأنف جملة ثانية فقال: (هذا شيخ) [٧].

ومن حذف المبتدأ قراءة ابن عباس: {هَيْتُ لَكَ}[٨].

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٤. والقراءة بالرفع عن الحسن والأعمش ، المحتسب ٦٤/١.

(٢) المحتسب ٦٤/١.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٠. والقراءة رواها ابن طاووس عن أبيه ، المحتسب ١٢٢/١.

(٤) المحتسب ١٢٢/١.

(٥) المحتسب ٢٣٤/١.

(٦) سورة هود الآية ٧٢.

(٧) المحتسب ٣٢٤/١.

(٨) سورة يوسف الآية ٢٣.

قال أبو الفتح: (وأمَّا هيتُ لك ففعل صريح كهئت لك كقولك: أصلحتُ لــك، أي: فدونك وإن شئت كان خبر مبتدأ محذوف أي: إرادتي لذلك(١).

ومن ذلك قراءة عيسي الثقفي: ﴿وَلَـكِن تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾(٢).

قال أبو الفتح: أي ولكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ وهــدى ورحمة، فحذف المبتدأ وبقي الخبر، ويجوز على هذا الرفع في قوله تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾(٣) أي: ولكن هو رسول الله(٤).

ومن ذلك قراءة الحسن ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾(٥).

قال أبو الفتح:الحقُ، أي هذا الحق أو هو الحق، فيحذف المبتدأ ثم يوقف على الحق ثم يستأنف فيقال: فهم معرضون أي: أكثرهم لا يعلمون(٦).

وروى عن أبي حاتم في قراءة (جميعاً مَنُّهُ) (٧). على أن (منهُ) : خبر مبتدأ محذوف، أي: ذلك أو هو(٨).

ومما حذف فيه المبتدأ قراءة ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾(٩). إذ يرى أن لـــ(يزيدون) إعراب حسن وصنعته صالحة، فهو مرفوع لأنه خبر مبتدأ محذوف، أي وهم يزيدون على المائة(١٠).

---

(١) المحتسب ٣٣٨/١.

(٢) سورة يوسف الآية ١١١.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

(٤) المحتسب ٣٥٠/١.

(٥) سورة الأنبياء الآية ٢٤.

(٦) المحتسب ٦١/٢.

(٧) سورة الجاثية الآية ١٣. والآية بتمامها {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِــي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} والقراءة لسلمة .

(٨) المحتسب ٢٦٢/٢.

(٩) سورة الصافات الآية ١٤٧. وهي قراءة جعفر بن محمد.

(١٠) المحتسب ٢٢٦/٢.

٣- حذف الخبر:

وكما حذفوا المبتدأ من الجملة الاسمية كذلك حذفوا الخبر، من ذلك ما رواه عمرو عن الحسن: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾(١) بالرفع.

قال أبوالفتح: ينبغي أن يكون رفعه بالإبتداء والخبر محذوف، دل عليه ما تقدمه من قوله سبحانه ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ (٢) أي: وأرجلكم واجب غسلها، أو مفروض غسلها، أو مغسولة كغيرها... وكأنه بالرفع أقوى معني وذلك لأنه يستأنف فيرفعه على الابتداء فيصير صاحب الجملة، وإذا نصب أو جر عطفه على ما قبله فصار لحقاً وتبعاً فاعرفه(٣).

فنجده هنا يقوى القراءة الشاذة بالرفع على قراءة العامة بالنصب، ويبين سب ذلك وهو أن القراءة بالرفع تجعل الكلمة مبتدأ ، وهو عمدة في جملته، أمَّا قراءة النصب فتجعل الكلمة فضلة لأنها تكون معطوفة على ما قبلها(٤).

ومن ذلك قراءة ابن عبدالرحمن ﴿فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾(٥) رفع منون.

قال: الجزاء مرفوع بالإبتداء، وخبره محذوف أي: فعليه جزاء مثل ما قتل، أو فالواجب عليه جزاء مثل ما قتل(٦).

وفي تخريجه لقراءة الأعمش: ﴿أَمَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾(٧) خفيفة الميم.

فيقول أبوالفتح: أن(من) هنا خبر أي ليس الكلام إنشاء بمنزلة الذي، وليست باستفهام كقراءة الجماعة: (أم من خلق) فكأنه قال: الذي خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء، فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا

---

(١) سورة المائدة الآية ٦ والآية (وأمسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين).

(٢) سورة المائدة الآية ٦ .

(٣) المحتسب ٢٠٨/١.

(٤) السابق والصفحة.

(٥) سورة المائدة الآية ٩٥.

(٦) المحتسب ٢١٨/١-٢١٩.

(٧) سورة النمل الآية ٦٠ وقراءة الجماعة بتشديد الميم(أمَّن).

شجرها خيرٌ أم ما تشركون ثم حذف الخبر الذي هو خبر أم ما تشركون لدلالة ما قبله عليه، وهو قوله تعالى : ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

ويذكر في هذا الموضع أن حذف الخبر لدلالة ما هناك عليه أكثر من أن يحصى[2].

ومما حذف خبره قراءة ابن مسعود: ﴿وَبَحْرٌ يَمُدُّهُ﴾[3] قال: وأمَّا رفع(بحرٌ) فالابتداء وخبره محذوف أي: وهناك بحرُ بمده من بعده سبعة أبحر[4].

ومن ذلك قراءة طلحة بن مصرف: ﴿وَأُخِذُ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[5].

فجعل في رفعه ضربان، الثاني منهما أنه مرفوع بالابتداء وخبره محذوف، أي: وهناك أخذُ لهم وإحاطة،و يدل عليه ما قبله[6].

ومما خرجه على حذف الخبر قراءة سعيد بن جبير: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [7]فذكر أن رفعه على وجهين: وذكر أن الوجه الثاني أن يكون مرفوعاً بالابتداء، أي: مكرُ الليل والنهار ضدنا[8].

وذهب ابن جني إلى تقدير حذف الخبر وإقامة الصفة مقامه في قراءة السلمي: ﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[9] إذا قال وإن شئت تجعل يبغون صفة خبر محذوف، فكأنه قال أفحكم الجاهلية حكم يبغونه؟[10].

---

(١) سورة النمل الآية ٥٩.

(٢) المحتسب ١٤٢/٢.

(٣) سورة لقمان الآية ٢٧.

(٤) المحتسب ١٦٩/٢.

(٥) سورة سبأ الآية ٥١.

(٦) المحتسب ١٦٩/٢.

(٧) سورة سبأ الآية ٣٣.

(٨) المحتسب ١٩٣/٢-١٩٤.

(٩) سورة المائدة الآية ٥٠.

(١٠) المحتسب ٢١١/١-٢١٢.

٤/ **حذف المضاف:**

ويرى ابن جني أن ذلك كثير واسع، وإن كان أبوالحسن لا يرى القياس عليه[١]، ويراه ابن جني ضرباً من الاتساع لأن الاتساع بالأعجاز أولى منه بالصدور، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[٢] أي أهل القرية[٣].

وقد خرج ابن جني على حذف المضاف عدداً من القراءات وكان أحياناً يذكر الأسباب التي دعت إلى تقديره.

من ذلك قراءة الحسن وآخرين: {وَقُودُهَا النَّاسُ}[٤].

قال أبوالفتح:هذا عندنا على حذف المضاف، أي: ذو وقودها، أو أصحاب وقودها الناس[٥].

ومن ذلك قراءة يزيد بن القعقاع: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ﴾[٦] بالنصب في اسم الله تعالى.

قال: هو على حذف المضاف، أي: بما حفظ دين الله وشريعة الله وعهود الله، ويمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[٧] أي: دين الله وعهد الله ويشير في هذا الموضع إلى كثرة حذف المضاف في القرآن وفصيح الكلام في عدد الرمل سعة[٨].

---

(١) الخصائص ٣٦٠/٢.

(٢) سورة يوسف الآية ٨٢.

(٣) الخصائص ٢٦٢/٢.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٤.

(٥) المحتسب ٦٣/١.

(٦) سورة النساء الآية ٣٤.

(٧) سورة محمد الآية ٧.

(٨) المحتسب ١٨٨/١.

ومما خرجه على حذف المضاف قراءة سعيد بن جبير (كإسونهم): ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾[١] كأنه قال أو كما يكفى مثلهم، فهو على حذف المضاف أي: ككفاية أسوتهم[٢].

ومن ذلك قراءة الأعرج: ﴿شَهَادَةً بَيْنِكُمْ﴾[٣] بالنصب والتنوين.

قال أبوالفتح: إن شئت كان المضاف محذوفاً من آخر الكلام، أي: شهادة بينكم، شهادة اثنين ذوى عدل منكم[٤].

ومن ذلك قراءة أبي السَّمال: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[٥] قال: خطوات الشيطان أي : آثاره، لا تعتدوا به وتقديره على هذا حذف المضاف، أي لا تتبعوا مواضع خطوات الشيطان[٦].

وفي تخريجه لقراءة جعفر بن محمد: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[٧] يقول أبوالفتح: هو عندنا على حذف المضاف، أي اتبع الذين ظلموا جزاء ما أُتْرِفُوا فيه وكانوا مجرمين أي: جزاء ما أترفوا فيه وأجرموا فيما يشكروا[٨].

وفي قراءة السلمي: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾[٩] قال: الأدُّ: القوة فهو على حذف المضاف فكأنه قال: لقد جئتم شيئاً ذا أدٍّ أي: ذا قوة[١٠].

ومن ذلك قراءة الحسن: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾[١١].

---

(١) سورة المائدة الآية ٨٩. وقراءة الجماعة أو كسوتهم.

(٢) المحتسب ٢١٨/١.

(٣) سورة المائدة الآية ١٠٦.

(٤) المحتسب ٢٢٠/١.

(٥) سورة الأنعام الآية ١٤٢.

(٦) المحتسب ٣٣١/١.

(٧) سورة هود الآية ١١٦.

(٨) المحتسب ٢٣١/١.

(٩) سورة مريم الآية ٨٩.

(١٠) المحتسب ٤٥/٢-٤٦.

(١١) سورة طه الآية ٥٩.

قال: هو عندي على حذف المضاف، أي: إنجاز موعدنا في ذلك اليوم(١).

وفي تخريجه لقراءة: ﴿ونُزِلِ الملائكةُ﴾(٢) خفيفة.

يذهب أبوالفتح إلى أن هذا غير معروف؛ لأنَّ نزل لا يتعدي إلى مفعول به... فإما أن يكون ذلك لغة طارقة لم تقع إلينا، وإمَّا أن يكون على حذف المضاف. يريد نزول الملائكة،وأقام المضاف إليه مقامه(٣).

ومن ذلك قراءة الحسن: ﴿رُكُوبُهُمْ﴾(٤) برفع الراء.

قال أبوالفتح: أمَّا الرُّكوب بضم الراء فمصدر الكلام محمول على حذف المضاف مقدماً كان أو مؤخراً، فإن شئت كان التقدير فيها: ذو ركوبهم وإن شئت كان التقدير: فمن منافعها أو أعراضها ركوبهم ثم بعد ذلك يفضل التقدير الأول في الحذف ويعلل لدلالة ذلك بقوله: إن الحذف من الخبر أولى من المبتدأ، وذلك أن حذف المضاف ضرب من التوسع، والتوسع آخر الكلام أولى به من أوله... من حيث كانت الصدور أولى بالحقائق من الأعجاز ويرى ابن جني أنَّ الحذفين متساويان(٥).

ومن ذلك قراءة الأعرج: ﴿وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلاء قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ﴾(٦) برفع قبلهُ.

قال أبوالفتح: ينبغي أن يكون ارتفاعه عطفاً على علم أي: أن وعلم قبله فجاء على حذف المضاف(٧).

---

(١) المحتسب ٥٣/٢.

(٢) سورة النور: ٢٥.

(٣) المحتسب ١٢١/٢.

(٤) سورة يس الآية ٧٢.

(٥) المحتسب ٢١٧/٢.

(٦) سورة الزخرف الآية ٨٨.

(٧) المحتسب ٢٥٨/٢.

من ذلك قراءة عكرمة: ﴿مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ﴾[1] قال: هو على حذف المضاف، أي: ما كنت صاحب بدع ولا معروفة منى البدع ويستشهد في هذا الموضع بقول الشاعر:

وكيف تواصل من أصلحت * ضلالته كأبي مرحب[2]

أي كخلاله أبي مزحب، هو يشير إلى كثرة حذف هذا المضاف في القرآن وفصيح الكلام[3].

ومما خرجه على حذف المضاف قراءة عاصم الجحدري: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ﴾[4].

قال: أي: تمنعوه، أو تمنعوا دينه وشريعته فهو على حذف المضاف[5].

ومن ذلك قراءة على وابن عباس: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[6].

قال: هو على حذف المضاف، أي:تفعلون بدل شكركم ومكان شكركم التكذيب، واستشهد يقول الشاعر:

ربيته حتى إذا تمعددا * كان جزائي بالعصا أن أجلدا[7]

أي أن مكان جزائي الجلد بالعصا[8].

ومن ذلك قراءة الحسن: ﴿اتَّخَذُوا أَيمَانَهُمْ جُنَّةً﴾[9].

قال: هذا على حذف المضاف، أي: أتخذوا إظهار إيمانهم جُنةً فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين[10].

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٩.

(٢) البيت في الكتاب للنابغة الجعدي، والخلالة: الصداقة من الخليل، وأبومرحب: الظل ويقال هو كنية عرقوب والشاهد منه تقدير المضاف المحذوف- الكتاب ٢١٥/١. المحتسب ٢٦٥/٢.

(٣) المحتسب ٢٦٥/٢.

(٤) سورة الفتح الآية ٩.

(٥) المحتسب ٢٧٥/٢.

(٦) سورة الواقعة الآية ٨٢.

(٧) البيت للعجَّاج، وتمعدد الغلام: أي: شب وغلظ اللسان مادة (معد).

(٨) المحتسب ٣١٠/٢.

(٩) سورة المجادلة الآية ١٠٦.

(١٠) المحتسب ٣١٥/٢.

وفي قراءة عبدالله بن الزبير: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[١].

قال: أراد أهل إرم هذه المدينة، فحذف المضاف وهو يريده[٢].

وذهب ابن جني إلى أنه قد يتكرر حذف المضاف نحو قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾[٣].

أي من تراب أثر حافر فرس الرسول[٤] وذكر في المحتسب أن ذلك يكون أنساً بالحال ودلالة على موضوع الكلام[٥].

ومما ذهب فيه إلى تقدير حذف مضافين قراءة سعيد بن جبير: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[٦] قال: هذا كقوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[٧] أي على أفعال أهل النار، ففيه حذف مضافين شيئاً على شيء[٨].

٥- حذف المضاف إليه:

وكما حذفوا المضاف من الجملة فقد حذفوا المضاف إليه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾[٩] أي من قبل ذلك ومن بعده[١٠].

ومن ذلك قراءة الحسن: ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً﴾[١١] مضاف.

---

(١) سورة الفجر الآية ٦-٧.
(٢) المحتسب ٢/٣٦٠.
(٣) سورة طه الآية ٩٦.
(٤) الخصائص ٢/٣٦٢.
(٥) المحتسب ١/١٨٨.
(٦) سورة الانفطار الآية ٦.
(٧) سورة البقرة الآية ١٧٥.
(٨) المحتسب ٢/٣٥٤.
(٩) سورة الروم الآية ٤.
(١٠) المحتسب ١/٣٣٨.
(١١) سورة النساء الآية ١٢.

قال أبوالفتح: أي غير مضار من جهة الوصية، أو عند الوصـــية ويستشـــهد بقول الشاعر:

رَحيبٌ قِطابُ الجَيبِ مِنها رَقيقَةٌ * بِجَسِّ النَدامى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ[1]

أي نضة عند تجردها وهو كقولك: فلان شجاع حرب وكـــريم مســـألة، أي شجاع عند الحرب، وكريم عند المسألة، وغير ذلك من الأمثلة التي ذكرها في هذا الموضع[2].

٦- حذف الموصوف:

ومن الأسماء التي حذفتها العرب الاسم الموصوف وإقامت الصـــفة مقامـــه، وأكثر ذلك في الشعر، ويعلل ابن جني في الخصائص بكثرته في الشعر دون النثر بقوله: إن الصفة في الكلام على ضربين: إمَّا للتخليص أو التخصيص، وإمَّا للمدح والثناء وكلاهما من مقامـــات الإســـهاب والإطنـــاب، لا مـــن مظـــان الإيجـــاز والاختصار، فلا يليق الحذف به، كما أنَّ الحذف فيه ضـــد البيـــان ويـــؤدى إلـــى الإلباس، وكلما استبهم الموصوف كان حذفه غير لائق[3].

ومما خرجه على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه قـــراءة ابـــن أبـــي إسحاق: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[4].

قال هذا على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، أي: فـــي يـــوم ريـــح عاصف، وحسن حذف الموصوف هنا شيئاً لأنه قد ألف حذفه في قراءة الجماعة: {فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ}[5].

وذهب إلى ذلك أيضاً في قراءة على – رضي الله عنه-: {فِيهَا لُغُوبٌ}[6].

---

(١) البيت لطرفة في معلقته، قطاب الجيب: مخرج الرأس منه بضة: بيضاء ناعمة البـــدن، رفيقـــة الجلـــد، المحتسب ١/١٨٣.

(٢) المحتسب ١/١٨٣.

(٣) الخصائص ٢/٣٦٦.

(٤) سورة إبراهيم الآية ١٨.

(٥) المحتسب ١/٣٦٠.

(٦)سورة فاطر الآية ٣٥.

قال أبو الفتح: إن شئت حملته على أنه صفة لمصدر محذوف، أي: لا يمسنا منها لغُوب لغوب، على قولهم هذا شعر شاعر وموت مائت، وهذا ضرب من المبالغة... وهذا مع ما فيه من المبالغة حلوُ وواصل إلى الفكر، وعلى هذا حمل أبوبكر قولهم : توضأت وضوءاً، أي كاملاً حسناً... وحسن ذلك عندي شيئاً أنه من لفظه فكأن احدهما صاحبه البتة(١).

هذه هي المواضع التي ذكرها ابن جني لحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ونراه في الموضعين يستحسن ذلك ويبين سبب حسنه.

٧- حذف البدل:

ومن الأسماء التي أجاز ابن جني حذفها من الجملة: البدل المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وذلك في قراءة عكرمة: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدٌّ رَبِّنَا﴾(٢) برفع جدٌّ.

حيث أنه أراد: وأنه تعالى جَدٌّ جدٌّ ربنا على البدل ثم حذف الثاني وأقام المضاف إليه مقامه، وهذا على قوله سبحانه: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾(٣) أي: زينة الكواكب، ف(الكواكب) بدل من زينة(٤).

٨- حذف الفاعل:

ومن الأسماء التي حذفتها العرب من الجملة الفعلية : الفاعل وهو كما رأينا -سابقاً- من قواعد الحذف الاختيارية، وفي حذف الفاعل هذا يقدم ابن جني دراسة لنظام الجملة العربية، وما يكمن وراء تغيير هذا النظام من دلالات وظيفية أو معنوية، فيقول في تخريجه لقراءة: ﴿وُعَلِّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾(٥). ينبغي أن تعلم ما أذكره هنا وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل كضرب زيد عمراً فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا: ضرب عمراً زيد. فإن

---

(١) المحتسب ٢/٢٠٠-٢٠١.

(٢) سورة الجن الآية ٣.

(٣) سورة الصافات الآية ٦.

(٤) المحتسب ٢/٣٣٢.

(٥) سورة البقرة الآية ١٣١ والقراءة ليزيد البربري.

ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبة، فقالوا: عمراً ضــرب زيــدُ فــإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه رب الجملة وتجاوزوا به حــدَّ كونــه فضــله فقالوا: عمرو ضربه زيد ثم زادوا على هذه الرتبة فقالوا: عمــرو ضــرب زيــد فحذفوا ضميره ونووه ولم ينصبوه على ظاهر أمره رغبة به عن صورة الفضلة، وتجافياً لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة، ثم أنهم لم يرضوا له حتــى صاغوا الفعل له وبنوه على أنه مخصوصُ به وألغوا ذكــر الفاعــل مظهــراً أو مضمراً، وقالوا: ضُرِب عمرو، فاطرح ذكر الفاعل البتة، نعــم وأســندوا بعــض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل، وهو قولهم: أُولعت بالشيء، ولا يقولون أولعني به كذا، وقالوا: ثلج فؤاد الرجل، ولم يقولوا: أثلجه كذا، وامتقع لونه، ولم يقولــوا: متقعة كذا[١]

وهذا كله يدل على شدة عنايتهم بالفضلة، وإنما كانت كــذلك لأنهــا تجلــو الجملة وتجعلها تابعة المعنى لها.

فإذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم بالفضلة حتى ألغوا حديث الفاعل معها، وبنوا الفعل لمفعوله فقالوا: ضُرب زيدٌ، حَسُنَ قوله تعالى (وعُلِّم آدُم الأسماء كلَّها) لمَّــا كان الغرض منه أنه قد عرفها وعلمها،وآنس أيضاً حذفه علم المخاطبين بــأنَّ الله سبحانه هو الذي علمه إياها بقراءة من قرأ (وعلم آدم الأسماء كلها) ويستشهد لذلك بآيات آخر من القرآن الكريم منها:

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾[٢]وقوله تعالى ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾[٣] ضَعِيفاً﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[٤] وقوله تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[٥] فقد علم أن الفرض بذلك جميعه أن الإنسان مخلوق ضعيف.

---

(١) المحتسب ١/١٠٤.

(٢) سورة المعارج الآية ١٩.

(٣) سورة النساء الآية ٢٨.

(٤) سورة العلق الآية ٢.

(٥) سورة الرحمن الآية ١٤.

وهكذا يحدد ابن جني نظام الجملة وما يصيبها من تغييرات لتـؤدى المعنـى المقصود، والدلالة الدقيقة، حتى أنَّ الفضلة تقدم على باقي عناصر الجملة، وتقـام علاقات جديدة فيما بينها، فقد يحذف الفاعل ويقام غيره مقامه، ويكون الغرض من ذلك بيان أهمية الذي أقيم مقامه، ومن ذلك تخريجه لقـراءة: ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾(١).

يقول: إنَّ الفاعل هنا يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون المنسي لهـا هـو الله تعالى،ويدلل على ذلك بالآيات السابقة الذكر في حذف الفاعل، وقد يقول إنسـان: ضُرِبَ زيدٌ وإن كان القائل لذلك هو الضارب،وهذا يدل على أن الغرض هنـا أن يعلم أنه مضروب، وليس الغرض أن يعلم مَنْ ضربه؟، ولذلك بنـي هـذا الفعـل للمفعول، وألغي معه حديث الفاعل، وقام في ذلك مقامه ورفع رفعه وهذا طريق ما لم يسم فاعله(٢).

ومما خرجه على حذف الفاعل لعنايتهم بالمفعول بغرض الإخبار عن وقـوع الفعل به فحسب،وليس الغرض فيه ذكر من أوقعه به قراءة ابن السـميقع: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾(٣) يبين علة بناء الفعل للمفعول، وذلك أن الفعل إذا بني للمفعول لم يلزم أن يكون ذلك للجهل بالفاعل، بل ليعلم أن الفعل قد وقع به، فيكون المعنىُّ هـذا لا ذكر الفاعل(٤).

ومما خرجه على حذف الفاعل لبيان قوة اهتمامهم بـالمفعول قـراءة ابـن مسعود: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾(٥).

قال أبوالفتح: لفظ هذا الموضع على الاستفهام أي: التساؤل عن الفاعل لبناء الفعل للمفعول ومعناه الوضوح والاختصاص،وذلك أن الغرض فيه، إنما هو فـإذا

(١) سورة البقرة الآية ١٠٦.

(٢) المحتسب ١٠٤/١.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٨.

(٤) المحتسب ١٣٥/١.

(٥) سورة الصافات الآية ١٧٧.

نزل بساحتهم، يدل عليه قوله قبلة معه(أفبعذابنا يستعجلون) فأبهم الفاعل واعتمد ذكر المكان المنزول فيه.

وهذا أحد ما يدلك على أن إسناد الفعل إلى المفعول لم يكن لجهل المتكلم بالفاعل من هو؟ البتة لكن قد يسند إلى المفعول، ويطرح ذكر الفاعل لأن الغرض إنما هو الكلام بوقوع الضرب بزيد، ولا غرض معه في إبانة الفاعل من هو؟[١]

ومن ذلك قراءة ابن مسعود: ﴿يَوْمَ تُقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾[٢] فهذا يؤكد قوة العناية بالمفعول به، ومنه شاهد وتفسير لقول سيبويه في الفاعل والمفعول وإن كانا جميعاً يهمّانهم ويعنيانهم ومن شدة العناية بالمفعول أن جاءوا بأفعال مسندة إلى المفعول ولم يذكروا الفاعل معها أصلاً، نحو قولهم مُتُقِع لونُه، وانقطع به، وجُنّ زيد. ولم يقولوا امتقعه ولا انقطعه ولا جنَّه، فهذا كإسنادهم الفعل إلى الفاعل البتة فيما لا يتعدى، نحو قام زيد وقعد جعفر[٣].

وفي قراءة عن ابن عامر: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ﴾[٤] قال ابن مجاهد: وما أدرى ما هذا؟.

قال أبوالفتح: هذا الذي أنكره ابن مجاهد صحيح وذلك أنه أسند الفعل إلى المفعول الثاني،وحتى كأنه في الأصل : وحملنا قدرتنا أو ملكاً من ملائكتنا الأرض. ثم أسند الفعل إلى المفعول الثاني فبني له فقيل: فحملت الأرض. ولو جئت بالمفعول الأول لأسندت الفعل إليه، فقلت: وحُمِّلَت قدرتنا الأرض.

فيجوز مع استيفاء المفعول الأول أن يبني الفعل للمفعول الثاني، عن طريق القلب والاتساع وارتفاع الشك فإذا جاز على هذا أن نقول حُمِّلت الأرض الملك، فتقيم مقام الفاعل مع ذكر المفعول الأول؛ فما ظنك بجواز ذلك وحسنه، بل بوجوبه إذا حذف المفعول الأوّل[٥].

---

(١) المحتسب ٢/٢٢٩.

(٢) سورة ق الآية ٣٠.

(٣) المحتسب ٢/٢٨٤.

(٤) سورة الحاقة الآية ١٤.

(٥) المحتسب ٢/٣٢٩.

وفي تخريجه لقراءة ابن مسعود: ﴿لا خَسَفَ بِنَا﴾[1].

جعل ابن جني الجار والمجرور نائباً عن الفاعل حيث قال بنا من هذه القراءة مرفوعة الموضع لإقامتها مقام الفاعل، فهو كقولك انقطع بالرجل، وانقيد له إلى هواه. وانفعل وإن لم يتعد إلى مفعول به- فإنه يتعدي إلى حرف الجر، فيقام حرف الجر مقام الفاعل، كقولهم: سير يزيد[2].

ونحو ذلك قراءة الحسن: ﴿فُزِّعَ بنا﴾[3] إذ يرى أبوالفتح أن مرفوعة حرف الجر وما جره كقولنا سير عن البلد وانصرف عن كذا إلى كذا[4].

وفي تخريجه لقراءة الزهري: ﴿إِلاَّ لِيَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾[5] بياء مضمومة وفتح اللام.

قال أبوالفتح: ينبغي أن يكون يُعْلَم هنا بمعنى يعرف...، وتكون من بمعنى الذي، أي يعرف الذي يتبع الرسول، ولا تكون من هاهنا استفهاماً، لئلا يكون الكلام جملة، والجمل لا تقوم مقام الفاعل[6].

فنجده في هذا الموضع يمنع أن يكون نائب الفاعل جملة.

٩- إضمار نائب الفاعل:

كما ذهب إلى إضمار نائب الفاعل في تخريجه لقراءة ابن عباس: ﴿يَوْمَ تُكْشَفُ عن﴾[7].

قال أبوالفتح: أي تكشف الشدة والحال الحاضرة عن ساق، فاضمر الحال والشدة لدلالة الموضع عليه[8].

---

(١) سورة القصص الآية ٨٢.

(٢) المحتسب ١٥٧/٢.

(٣) سورة سبأ الآية ٢٣.

(٤) المحتسب ١٩٢/٢.

(٥) سورة البقرة الآية ١٤٣.

(٦) المحتسب ١١١/١- ١١٢.

(٧) سورة القلم الآية ٤٢.

(٨) المحتسب ٣٢٦/٢

وقد يقام المصدر مقام الفاعل المضمر كتخريجه لقوله : ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾[1].

يقول أبوالفتح: وإن شئت أضمرت المصدر لدلالة فعله عليه، فكأنه قال: لا تخسف الإخساف بنا، فـ(بنا) على هذا منصوبة الموضع لقيام غيرها وهو المصدر مقام الفاعل، ولا يكون للفعل الواحد فاعلان قائمان مقامه إلا على وجه الإشراك[2].

ثانياً : حذف الفعل:

أمَّا حذف الفعل أو إضماره من الجملة فهو كما أشار ابن جني كثيرُ جداً وهو على ضربين[3] أحدهما: أن تحذفه والفاعل فيه، وهو حذف جملة نحو: زيداً ضربته، لأنك أردت: ضربت زيداً ضربته، ومن ذلك قولهم: المرء مقتول بما قتل به، إن سيفاً فسيف، وإن خنجراً فخنجر، أي: إن كان الذي قتل به سيفاً، فالذي يقتل به سيفُ[4].

والآخر: أن تحذف الفعل وحده وذلك أن يكون الفاعل مفصولاً عنه مرفوعاً به. وذلك نحو قولك: أزيدُ قام؟ فزيدُ مرفوع بفعل مضمر محذوف من الفاعل، لأنك تريد: أقام زيدُ، فلما أضمرته فسرته بقولك: قام: وكذلك قوله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[6] وقوله تعالى : ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾[7] فالفعل فيه مضمر وحده، أي: إذا انشقت السماء وإذا كورت الشمس، وإن هلك أمرؤ فالفعل هنا محذوف وجوباً[8].

---

(١) سورة القصص الآية ٨٢.

(٢) المحتسب ١٥٧/٢.

(٣) الخصائص ٣٧٩/٢

(٤) السابق والصفحة.

(٥) سورة الانشقاق الآية ١.

(٦) سورة التكوير الآية ١.

(٧) سورة النساء الآية ١٧٦.

(٨) الخصائص ٣٧٩/٢-٣٨٠.

ومن القراءات التي خرجها ابن جني على إضمار الفعل قراءة الحسن: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلآئِكَةُ وَالنَّاسُ﴾[1].

قال: هذا عندنا مرفوع بفعل مضمر، يدل عليه قوله تعالى(لعنة الله) أي: وتلعنهم الملائكة والناس أجمعون.لأنه إذا قال: لعنة الله، فكأنه قال: يلعنهم الله ويستشهد لذلك بأبيات من الشعر،ويشير إلى أن ذلك كثير جداً[2].

وكذلك قراءة الحسن: ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَاداً فِي الأَرْضِ﴾[3] بنصب الفساد.

قال: ينبغي أن يكون ذلك على فعل محذوف يدل عليه أول الكلام وذلك أن قتل النفس بغير النفس من أعظم الفساد، فكأنه قال: أو أتي فساداً أو ركب فساداً أو أحدث فساداً. وحذف الفعل الناصب لدلالة الكلام عليه وإبقاء عمله ناطقاً به ودليلاً عليه مع ما يدل من غيره عليه.

ويستشهد لحذف الفعل في تخريجه لهذه القراءة بقول غلام حدث من عقيل قال: سمعته سنة خمس وخمسين ومعه سيف في يده، فقال له بعض الحاضرين- وكنا مصحرين: يا أعرابي سيفك هذا يقطع البطيخ؟ فقال: أي والله وغوارِبَ الرجال، فنصب الغوارب على ذلك أي: ويقطع غوارب الرجال[4].

ومن إضمار الفعل قراءة الأعرج: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةً بَيْنِكُمْ﴾[5]

قال: فنصبها على فعل مضمر، أي: فليقم شهادة بينكم اثنان ذو عدل منكم[6].

ومن ذلك قراءة أبي عبدالرحمن السلمي: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦١.

(٢) المحتسب ١١٧/١.

(٣) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٤) المحتسب ٢٠١/١.

(٥) سورة المائدة الآية ١٠٦.

(٦)المحتسب ٢٢٠/١.

(٧) سورة الأنعام الآية ١٣٧ وفي قراءة الجماعة: زيَّنَ.

قال: يحتمل رفع شركاءُ تأويلين: أحدهما : أن يكون مرفوعاً بفعل مضمر دل عليه زُيِّن، كأنه قيل: من زينه لهم؟ فقيل: زينة لهم شركاؤهم. فارتفع الشركاء بفعل مضمر دلَّ عليه ما قبله(١).

ومن ذلك قراءة مجاهد: ﴿فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاء﴾(٢) قال: كأنه قال: لا تشمت بي أنت يا رب وجاز هذا كما قال الله سبحانه ﴿اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾(٣) ثم عاد إلى المراد فاضمر فعلاً نصب به الأعداء فكأنه قال: لا تشمت بي الأعداء بقراءة الجماعة(٤).

ومما خرجه على حذف العامل قراءة الحسن: ﴿وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةً﴾(٥).بنصب حطةً.

قال: هذا منصوب على المصدر بفعل مقدر أي: أحطوا عننا ذنوبنا حطة(٦).

ومن ذلك قراءة الأعمش: {التائبين العابدين}(٧). بالنصب.

قال: وأمَّا النصب فعلى إضمار فعل لمعنى المدح، كأنه قال: أعنى أو أمدح التائبين العابدين.

ومن ذلك قراءة السري: ﴿وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾(٨). بنصب الأرض.

قال: وأمَّا من نصب فبفعل مضمر، أي:يطئون الأرض أو يدوسون الأرض(٩).

---

(١)المحتسب ٢٢٩/١.

(٢)سورة الأعراف الآية ١٥٠ وقراءة الجماعة: تُشْمِتْ.

(٣)سورة البقرة الآية ١٤٠.

(٤) المحتسب ٢٥٩/١.

(٥) سورة الأعراف الآية ١٦١.

(٦) المحتسب ٢٦٤/١.

(٧) وقراءة الجماعة التائبون العابدون رفعاً المحتسب ٣٠٦/١.

(٨) سورة يوسف الآية ١٠٥. وقراءة الجماعة(والأرضِ) والقراءة الشاذة للسرَّي.

(٩) المحتسب ٣٤٩/١.

ومن ذلك قراءة الحسن: {وتَقَلَّبَهُم} وقراءة الجماعة: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾(١) بفتح التاء والقاف وضم اللام وفتح الباء.

قال: هذا منصوب بفعل دل عليه ما قبله من قوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾(٢) وقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾(٣) فهذه أحوال مشاهدة كذلك تقلبهم داخل في معناه فكأنه قال: وترى أو تشاهد تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال. فإن قيل التقلب حركة والحركة غير مرئية قيل: هذا غور آخر ليس من القراءة في شيء إلا أنك تراهم يتقلبون والمعنى مفهوم(٤).

ومن ذلك قراءة الحسن وآخرين: ﴿وَلُؤْلُؤاً﴾(٥) بالنصب.

قال هو محمول على فعل يدل عليه قوله: (يُحلون فيها من أساور)، أي: ويؤتون لؤلواً ويلبسون لؤلواً ومثله قراءة أبي: ﴿وَحُوراً عِيناً﴾(٦) أي: ويؤتون حوراً عيناً، ويزوجون حوراً عيناً.

ومثله مما نصب على إضمار فعل يدل عليه ما قبله قوله

جِئني بِمِثْلِ بَنِي بَدرٍ لِقَومِهِمُ * أَو مِثْلِ أُسرَةِ مَنظورِ بنِ سَيّارِ(٧)

فكأنه قال: أو هات مثل أسرة وهو كثير(٨).

ومن ذلك قراءة طلحة بن مصرف: ﴿وَأُخِذُ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾(٩).

---

(١) سورة الكهف الآية ١٨.

(٢) سورة الكهف الآية ١٧.

(٣) سورة الكهف الآية ١٨.

(٤) المحتسب ٢٦/٢.

(٥) سورة الحج الآية ٢٣.

(٦) سورة الواقعة الآية ٢٢.

(٧) البيت لجرير والخطاب للفرزدق يفخر عليه بسادات قبس أحواله والبيت بديوان جرير وورد في الكتاب ٩٤/١، ١٧٠.والمحتسب ٨٧/٢.

(٨) المحتسب ٧٨/٢.

(٩) سورة سبأ الآية ٥١.

قال: أن شئت رفعته بفعل مضمر يدل عليه قوله: (فلا فوت) (ولو تـــرى إذا فزعوا فلا فوت وأخذُ من مكان قريب)، أي: وأحاط بهم أخذُ من مكان قريب[1].

وذهب إلى تقدير الفعل أيضاً لدلالة ما بعده عليه في قـــراءة أبـــي الســـمال: {فَقَالُوا أَبَشَرٌ مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ}[2] برفع بشرُ ونصب واحداً.

قال أبوالفتح: بشر عندي مرفوع بفعل يدل عليه قوله: (أو لقي عليه الـــذكر من بيننا) فكأنه قال: أينبأ أو يبعث بشر منا؟[3].

ومما ذهب فيه إلى تقدير حذف الفعل لدلالة المقام عليـــه قـــراءة الأعـــرج: ﴿شَهَادَةً بَيْنِكُمْ﴾[4] نصب.

قال: أما شهادة بينكم بالنصب والتنوين فنصبها على فعل مضمر، أي: لـــيقم شهادة بينكم اثنان[5].

ومما ذهب فيه إلى تقدير فعل محذوف قراءة الثقفي: {قافَ}[6] بفـــتح الفـــاء، فذهب إلى أنه يحتمل أن يكون قاف منصوبة الموضع بفعل مضمر[7].

وكذلك قراءة الحسن: ﴿أَن جَاءهُ الْأَعْمَى﴾[8].

قال: أن معلقة بفعل محذوف دلّ عليه قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾[9] تقديره: أن جاء أعمى أعرض عنه وتولى بوجهه[10].

---

(١) المحتسب ٢/١٩٦.

(٢) سورة القمر الآية ٢٤. وقراءة الجماعة : أبشراً بالنصب.

(٣) المحتسب ٢/٢٩٨.

(٤) سورة المائدة الآية ١٠٦

(٥) المحتسب ١/٢٢٠.

(٦) سورة ق الآية ١.

(٧) المحتسب ٢/٢٨.

(٨) سورة عبس الآية ٢.

(٩) سورة عبس الآية ١.

(١٠) المحتسب ٢/٣٥٢

وفي تخريجه لقــراءة ســعيد: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[1] بــالرفع وقــراءة رشاد(مكرَّ) بالنصب.

يرى أبوالفتح: أن الرفع بفعل مضمر دل عليه ما قبلــه فــي قولــه: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم﴾[2] فقالوا إجابة عن ذلك: بل صــدنا مكــرٌّ الليــل والنهار، أي كرورهما وأمَّا مَكَرّ بالنصب فعلى الظرف، كقولك: زرتــك خفــوق النجم، وصياح الديك، وهو معلق بفعل محذوف أي: صددتمونا في هذه الأوقــات على هذه الأحوال[3]. فنجده هنا يذهب إلى تقدير الفعل والفاعل والمفعول به أيضاً.

٢- ومما أضمر من الأفعال فعل القول وهو كثيرة.

وذهب أبوالفتح إلى تقدير فعل القول في قراءة ابن مسعود: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾[4].

فيرى أبوالفتح: أن هذا دليل على صحة ما يذهب إليه البصــريون مــن أن القول مراد مقدر في نحو هذه الأشياء... وكذلك قوله تعالى: ﴿الْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُم﴾[5] أي: يقولون: سلام. ويشير في هذا الموضع إلى أن حذف القول كثير في الكلام[6].

ومما خرجه على حذف القول قراءة : ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[7].

---

(١) سورة سبأ الآية ٣٣.

(٢) سورة سبأ الآية ٣٢.

(٣) المحتسب ١٩٤/٢.

(٤) سورة البقرة الآية ١٢٧.

(٥) سورة الرعد الآية ٢٣-٢٤.

(٦) المحتسب ١٠٩/١.

(٧) سورة الأعراف الآية ٤٩. والقراءة لعكرمة.

فهذا على حذف القول. أي: فقال لهم: ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وقد اتسع عنهم حذف القول(١).

وفي تخريجه لقراءة عبدالله بن مسلم بن سيار: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾(٢).

قال: هو عندنا على إضمار القول فيه وإيضاحه وإذ نادي ربك موسي إن أئت القوم الظالمين قوم فرعون فقل لهم ألا تتقون؟ وقد كثر حذف القول عنهم(٣).

ومن ذلك قراءة ابن مسعود: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾(٤). قال: قد كثر عنهم حذف القول لدلالة ما يليه عليه.، وهذه القراءة مفسرة لقراءة الجماعة(بل هو ما استعجلتم به) لو لم تأت قراءة عبدالله هذه لما كان المعنى إلا عليها فكيف وقد جاءت ناصرة لتفسيرها(٥).

نجد ابن جني في هذه المواضع يعتمد في تخريجه على دلالة الحذف سواء أكان المحذوف اسماً، أو فعلاً ، أو جملة ، لدلالة ما قبله أو الحال عليه.

فإذا قمنا بتحليل نماذج من هذه الجمل وفقاً للنموذج اللغوي التحليلي وهو التعديل الثالث الذي أدخله تشومسكي على نظريته والمعروف باسم النظرية الأساسية الموسعة Extended standard Theory(٦)

فلنأخذ ثلاثة نماذج من القراءات السابقة تمثل حذف المفعول وحذف المبتدأ وحذف الفاعل في محذوفات الأسماء:

القراءة الأولى: قراءة أبي رجاء: ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾(٧) وهي تمثل حذف المفعول.

---

(١) المحتسب ٢٥٠/١.

(٢) سورة الشعراء الآية ١٠-١١.

(٣) المحتسب ١٢٧/٢.

(٤) سورة الأحقاف الآية ٢٤.

(٥)المحتسب ٢٦٥/٢.

(٦) N. Chomsky. Language and Responsibility, the Harvester Press- Sussex ١٩٧٨, P. ١٠٦

(٧) سورة البقرة الآية ١٠٦.

القراءة الثانية: قراءة الأعمش: ﴿وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخاً﴾[1] وهي تمثل حذف المبتدأ.

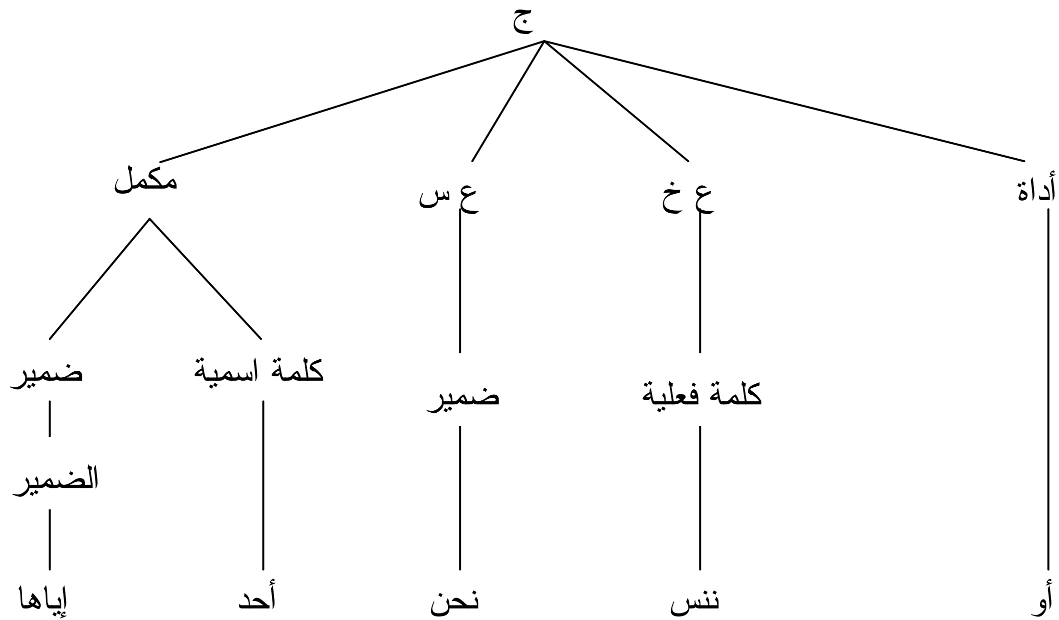
القراءة الثالثة: قراءة عن ابن عامر أنكرها ابن مجاهد وهي قراءة: ﴿وحُمِّلت الأرض﴾[2].

ولنأخذ نموذجاً رابعاً يمثل حذف الفعل تمثله قراءة الحسن: ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ﴾[3].

القراءة الأولى: (أو ننسِّها) مشددة السين ذهب ابن جني على أنها على حذف المفعول الأول أي ننسِّ أحداً إياها.

ويوضح المشجران التاليان البناءين الباطن والظاهر لهذه الجملة على هذه القراءة.

(أ) البناء الباطن:

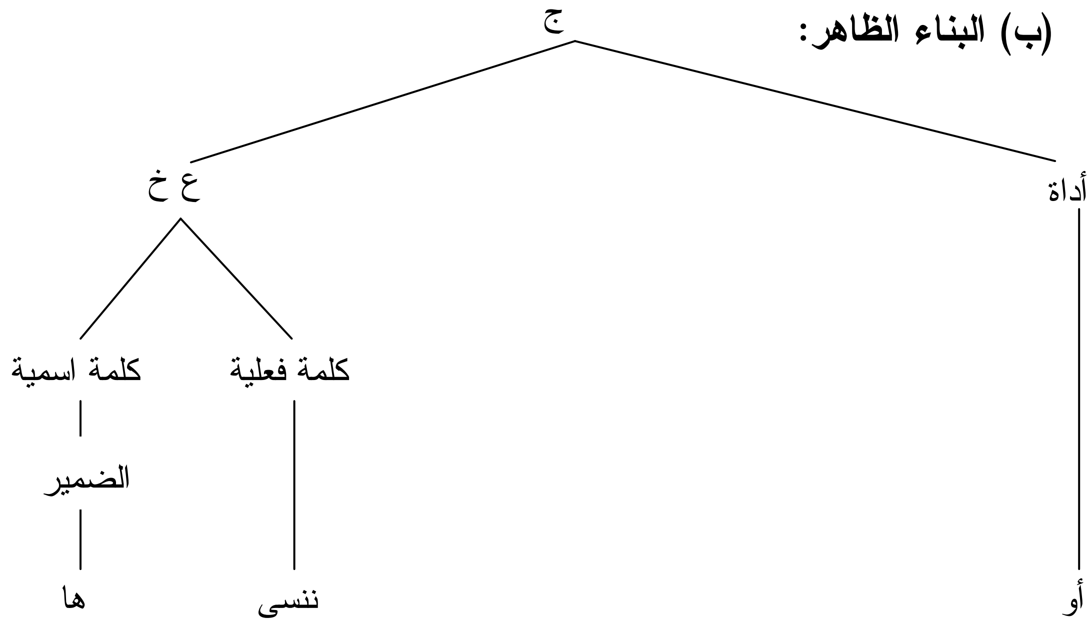


(١) سورة هود الآية ٧١.

(٢) سورة الحاقة : ١٤.

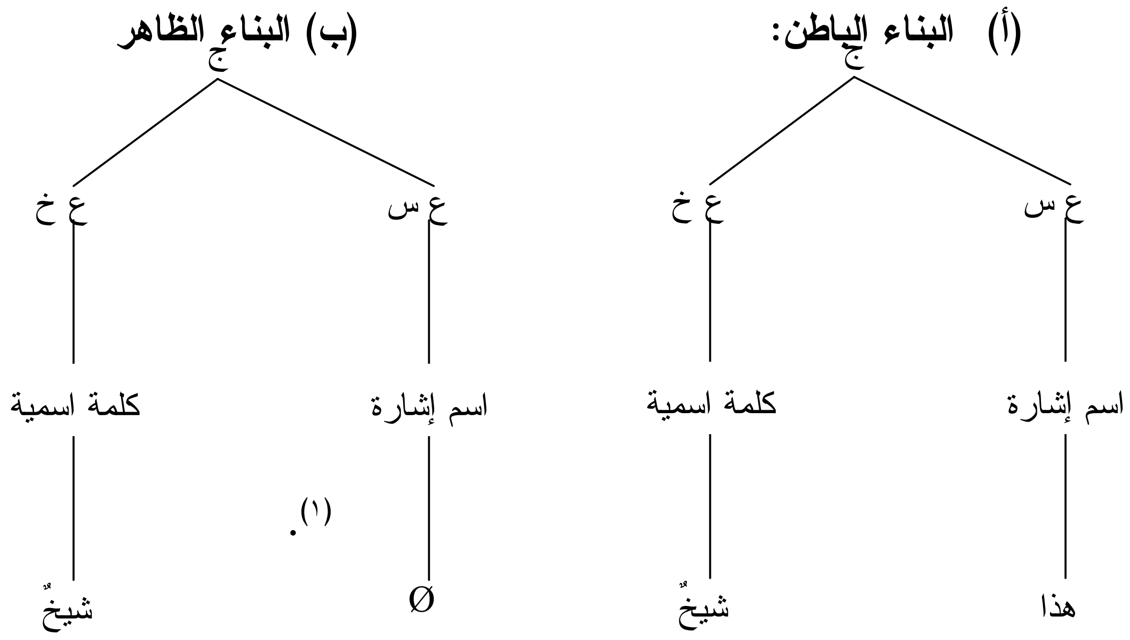
(٣) سورة المائدة الآية ٣٢.

(ب) البناء الظاهر:



فنلاحظ من مقارنة المشجرين حذف الضمير الذي يشغل موقع العبارة الاسمية(نحن) في البناء الظاهر، وحذف المكمل الأول (أحداً). بناء على قاعدة التحويل بالحذف، والفعل (ننسِّ) فعل متعد بالتضعيف Qemination والتضعيف هنا في هذه الآية يؤدى وظيفة نحوية ودلالية.

القراءة الثانية: وهي قراءة الأعمش: (وهذا بعلي شيخٌ) التي تمثل حذف المبتدأ، ويذهب ابن جني على أنَّ الرفع في (شيخٌ) على أن يكون (شيخٌ) خبراً لمبتدأ محذوف. فجملة شيخ جملة اسمية مكونة من مبتدأ محذوف، وخبر، ويمكن تمثيله بالمشجرين التاليين:

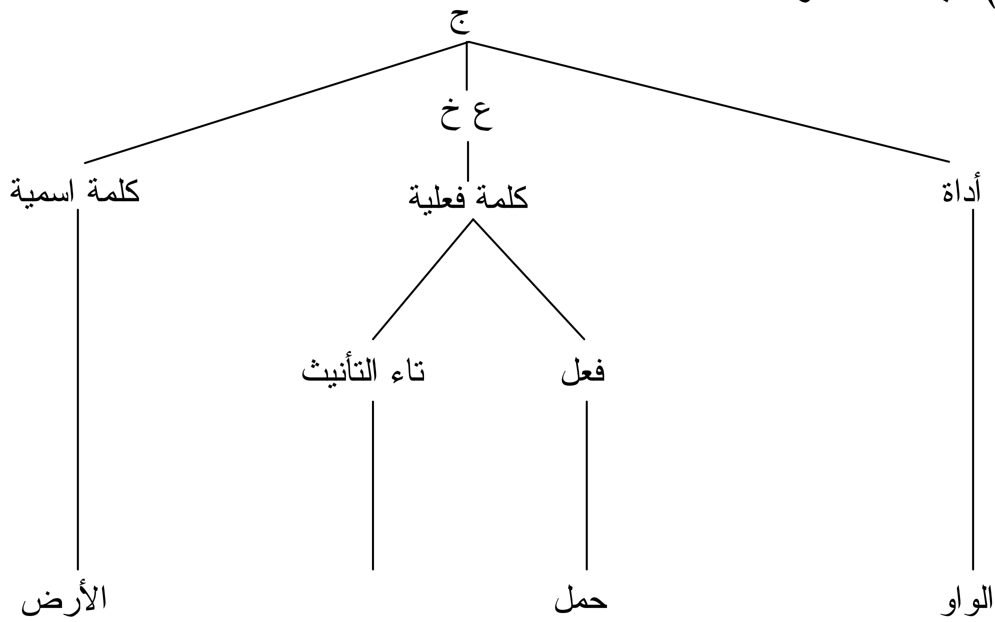


(١) العلامة (Ø) تعني أنَّ العنصر محذوف.

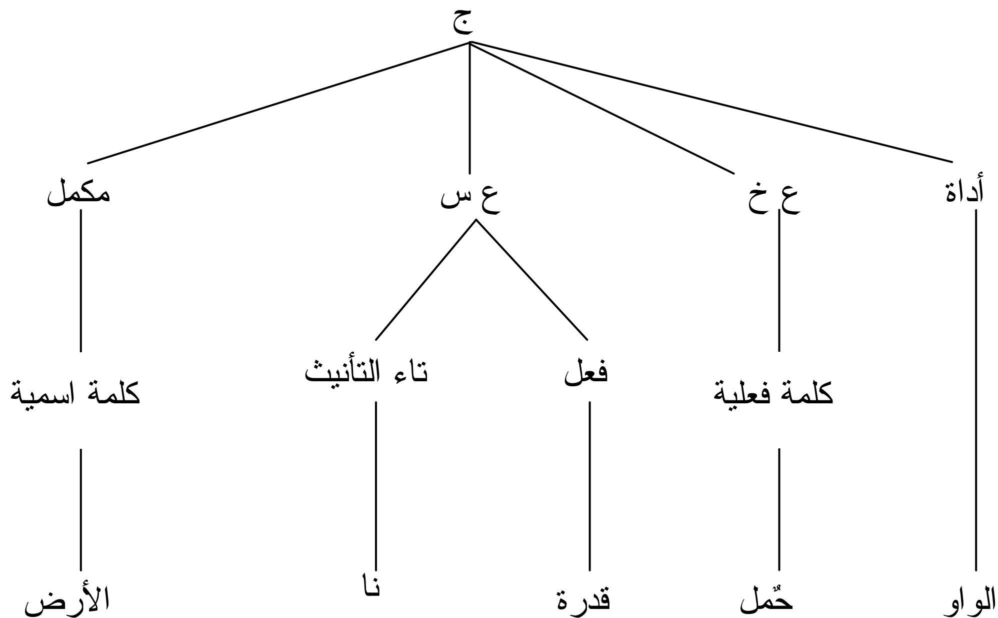
دلَّ البناء الظاهر- الموضح في هذا المشجر على حذف الطرف الأول (المسند إليه) المبتدأ بناء على قاعدة التحويل بالحذف.

القراءة الثالثة وهي قراءة (وحُمِّلت الأرض) وهي تمثل حذف الفاعل، فذكر ابن جِنِّي أنَّ هذه القراءة أنكرها ابن مجاهد وقال: ولا أدرى ما هذا، وذهب ابن جني إلى أنه أسند الفعل إلى المفعول الثاني وتقديره عنده: وحُملت قدرتنا الأرض ويمكننا توضيح ذلك بالمشجرين التاليين للبنائين الظاهر والباطن:

(أ) البناء الظاهر:



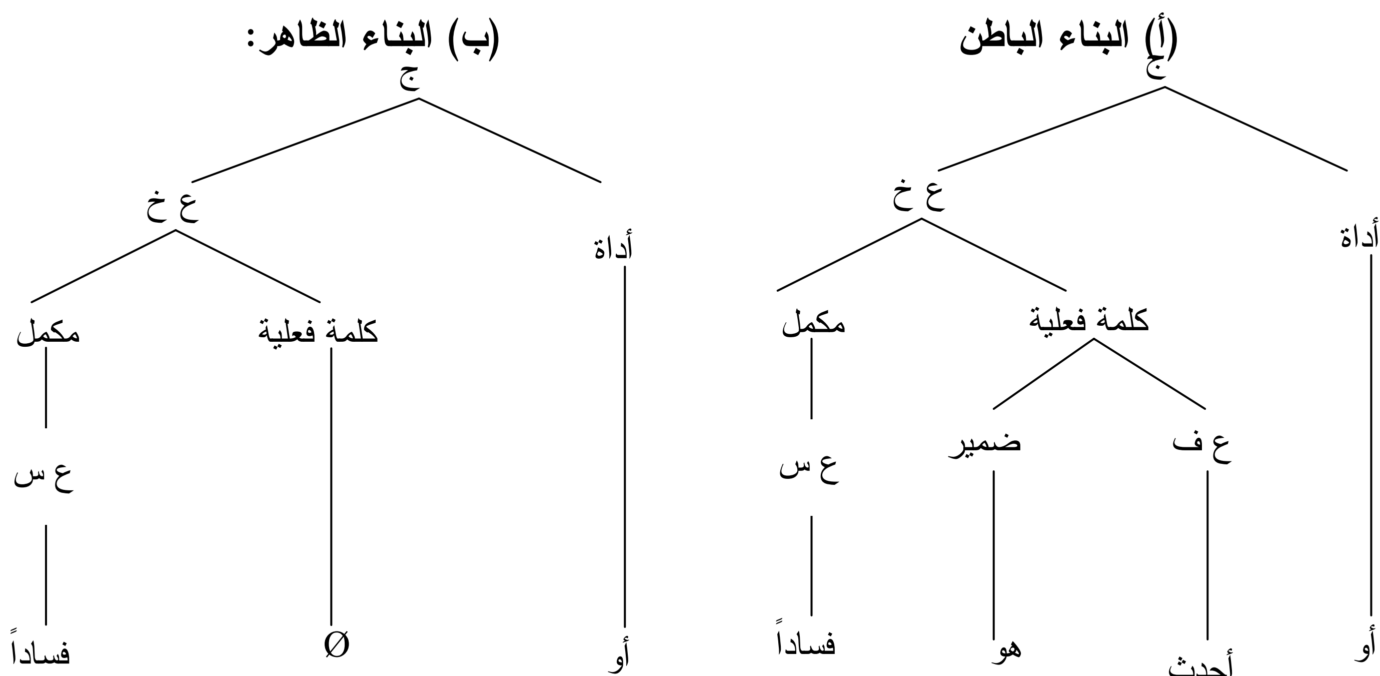
(ب) البناء الباطن:



أوضح البناءان حذف العبارة الاسمية الشاغلة لموقع المسند إليه بناء على قاعدة التحويل بالحذف.

والنموذج الرابع الذي يمثل حذف الفعل وتمثله قراءة الحسن: (أو فساداً في الأرض) بنصب الفساد فذهب ابن جني إلى أن ذلك على فعل محذوف يدل عليه أول الكلام فكأنه قال: أو أتي فساداً أو أحدث فساداً، وحذف الفعل الناصب لدلالة الكلام عليه وإبقاء عمله وهو النصب في فساداً.

ويوضح المشجران التاليان البناءين الباطن والظاهر لهما:



يوضح البناء الظاهر لهذه الجملة حذف الكلمة الفعلية والضمير الشاغلين لموقع المسند والمسند إليه (أحدث هو) بناء على قاعدة التحويل بالحذف.

المطلب الثالث

دلالة الزيادة

الزيادة لغة:

تعنى النمو، وهي خلاف النقصان، وزاد الشيء يزيد زيداً وزيادة أي: ازداد[1].

واصطلاحاً:

هي عنصر من عناصر تحقيق المعنى في دلالة التركيب وهي كما يرى الأستاذ الدكتور بكرى محمد الحاج: "ضرب من ضروب تحويل الأبنية الباطنة إلى أبنية ظاهرة بوساطة القواعد التحويلية لأداء المعنى المراد التعبير عنه" [2] وهي واحدة من أساليب العربية المقررة مثلها مثل الحذف والتكرار لم تأخذ بها العرب عبثاً بل ليكون لها في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق[3].

وتأتي الزيادة على أشكال متعددة، تعطى الجملة تحديداً أدقَّ وأخصَّ، وعليه يمكن تقسيمها من حيث موقعها إلى ثلاثة أقسام (سابقة- لاحقة- معترضة) [4].

والزيادة بأنواعها السابقة تؤدى أنواع مختلفة من الدلالات منها:

التوكيد نحو: إنَّ الله قويٌّ عزيزٌ

والتقييد نحو: إن تدرس تنجح

والتبين نحو: قدم العامل نشيطاً[5]

ولا أريد في هذا المطلب من الدلالة النحوية التعرض لزيادة حرف، أو صوت وهو ما يسمى بزيادة (المورفيم) على أصل الكلمة، والتي يجمع أصواتها الصرفيون في كلمة (سألتمونيها) لأن هذا النوع من الزيادة قمت بتناوله في الدلالة

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (زيد) .

(٢) حرف الجر الزائد في القرآن الكريم أ.د. بكرى محمد الحاج د.ط ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م. شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ص ٧.

(٣) السابق والصفحة.

(٤) عناصر تحقيق الدلالة في العربية- د. صائل رشدي ص ١٤٠.

(٥)عناصر تحقيق الدلالة في العربية- د. صائل رشدي ص ١٤٠- ١٤٢.

الصوتية والصرفية، وإنما أريد هنا تناول زيادة بعض حروف المعاني على جملة النواة لتؤدى إلى زيادة المعنى.

وزيادة هذه الحروف كما يقرر ابن جني لا تأتي سازجة، وإنما تحمل على المعنى[1].

ومن خلال تتبعي للقراءات التي خرجها ابن جني على زيادة بعض حروف المعاني وجدت أن معظم الحروف التي تزاد لتأكيد المعنى هي حروف الجر (لاسيما (الباء) ولا الزائدة، واللام في ال التعريفية- وبل وأم وقد وما.

١/ زيادة الباء:

تأتي الباء المفردة لأداء أربعة عشر معنى في العربية، ومن بينها التوكيد وهي الزائدة في ستة مواضع[2]: أحدها الفاعل في كفي نحو: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾[3]. وغيره[4].

ومن القراءات التي خرجها ابن جني على زيادة الباء:

* قراءة ابن مسعود: ﴿لَّيسَ الْبِرَّ بأَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾[5] بزيادة الباء ويستشهد لذلك بقولهم: كفي بالله أي كفي الله وقوله تعالى: {وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}[6] أي كفينا[7].

* وقراءة أبي جعفر يزيد: ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[8].

ومثله في زيادة الباء قوله: ﴿لاَ تُلقُواْ بِأَيدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[9].

---

(١) المحتسب ١١٥/٢.

(٢) مغنى اللبيب ١٠٦/١.

(٣) سورة النساء الآية ٧٩.

(٤) مغني اللبيب ١٠٦/١.

(٥) سورة البقرة الآية ١٧٧.

(٦) سورة الأنبياء الآية ٤٧.

(٧) المحتسب ١١٧/١.

(٨) سورة النور الآية ٤٣.

(٩) سورة البقرة الآية ١٩٥.

ويذكر في هذا الموضع أن هذه الباء إنما تزاد في هذا النحو لتوكيد معنى التعدي[1].

ومما خرجه على زيادة الباء قراءة يحيى: ﴿مِمَّن كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[2] خفيفة الذال.

فيرى أبو الفتح أنَّ دخول الباء على آيات يعد كذَّب هنا حملاً على المعنى، لأنه في معنى مكر بها وكفر بها ويستشهد لذلك بقول الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمى * بما لاقت لبونُ بني زياد[3]

زاد الباء في بما لاقت لبونهم، وفيه ما أنشدنا أبو على:

أم كَيْفَ يَنْفَعُ ما تُعطى العَلُوقُ به

رِئْمانَ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبن[4]

ألحق الباء في (به) لما كان تعطى في معنى تسمح به لقوله في آخر البيت: إذا ما ضُنَّ باللبن، فالضنَّ نقيضُ السَّمَاحة والبَذْلِ[5].

هذه هي القراءات التي خرجها ابن جني على زيادة حرف الجر الباء فإذا أخذنا واحدة من هذه القراءات كنموذج وطبقناه على نظرية تشومسكي في مرحلتها الأساسية التي تشمل ثلاثة مكونات هي (التركيبي، والدلالي، والفونولجي) انطلاقاً من القاعدة الأساسية التوليدية لبيان مكونات الجملة، لتحديد بناءيها الباطن والظاهر وهي:

ج ← ع س+ ع ف[6]

---

(١) المحتسب ١١٥/٢.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٧.

(٣) البيت لقيس بن زهير العبسي، اللبون من الشاة والإبل ذات اللبن،الكتاب ٣١٦/٣،المحتسب ٦٧/١، ٢٣٥.

(٤) البيت لأفنون الثعلبي ويروى تأتي مكان تعطي العلوق: التي عطفت على ولد غيرها فلم تدر، رئمت الناقة ولدها: عطفن عليه ولزمته، ورئمان: أحبته، اللسان مادة (رام، وعلق) والمحتسب ٢٣٥/١.

(٥) المحتسب ٢٣٥/١.

(٦) ج جملة، ع س= عبارة اسمية، ع ف عبارة فعلية.

الرمز ج في هذه القاعدة يعني رمز الجملة، وهذا يعنى أن الجملة مكونة من عبارة اسمية + عبارة فعلية، وأن العبارة الاسمية تأتي أولاً في موقع المبتدأ تليهــا العبارة الفعلية في موقع الخبر(١)، ونظراً لأنَّ هذه القاعدة قد وضعت أساساً لتحليل الجمل في اللغة الإنجليزية، فقد قام الدكتور بكرى محمد الحاج بتعديل هذه القاعدة لجعلها متوافقة مع طبيعة اللغة العربية فقام بتعديلها على النحو التالي:

ج ← ع س + ع خ(٢)

فالجملة هنا تتكون من عبارة اسمية في موقع المسند إليه، وعبارة خبرية في موقع المسند، فهذه القاعدة المعدلة مناسبة لتحليل الجمل غير الفعلية، فلنأخــذ مــن قراءات المحتسب قراءة يحي: (ممن كذب بآيات الله):

١/ ج ← ع س + ع خ

٢/ ج ← كلمة اسمية + ع خ

٣/ ج ← أداة كلمة اسمية + ع ف + ع س

٤/ ج ← مِنْ + مَن + كذب + ب + آيات الله .

بذلك نكون قد حصلنا على كَذَبَ + الباء+ آيات الله فــإذا أدخلنـــا القواعــد التحويلية نحصل على الصورة المقروءة لهذه الجملة كما يلي:

٤/ ج ← (ممن كذب بآيات الله)

٢/ دلالة زيادة (أل) التعريفية في الأعلام:

في تخريجه لقراءة عبدالله: ﴿ يُرِيدُ لِيَنقَضَّ ﴾(٣) ذهب إلى أن اللام في يــنقض زائدة(٤).

(١) حرف الجر الزائد في القرآن الكريم- د. بكرى محمد الحاج ص١٦.

(٢) بناء الجملة في لهجة الشايقية المعاصرة - للدكتور بكرى محمد الحاج، رسالة دكتوارة غير منشــورة- جامعة عين شمس ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م- ص ٣٠٥.

(٣) سورة الكهف الآية ٧٧.

(٤) المحتسب ٣٢/٢.

وفي تخريجه لقراءة ابن محيصن: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ﴾[1] قال: لام التعريف هنا زائدة لأن الاسم علم وليس صفة[2]. وفي موضع آخر يشير إلى دلالة لام التعريف في الأسماء في تخريجه لقراءة سعيد بن جبير: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[3].

فذكر أنَّ إضافة (أل) في الأعلام تفيد معنى الصفة مدحاً كانت الصفة أو ذمّاً[4].

٣/ زيادة أم وبل:

وفي تخريجه لقراءة الناس: ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[5] وقراءة مجاهد: (بل هم قوم طاغون) فيشير ابن جني في هذا الموضع إلى رأى البصريين بقوله (أصحابنا): أن أم المنقطعة بمعنى بل ، ويشير إلى أن دلالتهما: الترك والتحول إلا أن ما بعد بل متيقن،وما بعد أم مشكوك فيه مسئول عنه[6].

٤/ زيادة قد:

يشير ابن جني في تخريجه لقراءة حذيفة: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَقدانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[7] إلى دلالة زيادة قد: إنما هي جواب وقوع أمر كان متوقعاً، يقول القائل: أنظر أقام زيد؟ وهل قام زيد؟ وأرجو ألا يتأخر زيد، فيقول المجيب: قد قام زيد. أي : قد وقع ما كان متوقعاً[8].

---

(١) سورة الصافات الآية ١٣٠.

(٢) المحتسب ٢/٢٤٢.

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٩.

(٤) المحتسب ١/١١٩.

(٥) سورة الطور الآية ٣٢.

(٦) المحتسب ٢/١٩١.

(٧) سورة القمر الآية ١.

(٨) المحتسب ٢/٢٩٧.

٥/ زيادة (ما):

يشير ابن جني إلى دلالة (لمَّا) المثقلة في تخريجه لقراءة الحسن: ﴿أَلَمَّا يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[١] مثقلة إلى أن أصل (لمّا): لم فزيد عليها (ما) فصارت نفياً ... تقول: قام زيد، فيقول المجيب: لمَّا يقم، فإن قلت: قد قام، قال: لمَّا يقم، لمَّا زاد في الإثبات (قد) زاد في النفي (ما) [٢].

وكما رأينا من خلال الأمثلة السابقة فإن زيادة حروف المعاني على الجملة النواة يعدُ زيادة في المعنى وهذه الزيادة تقيد الجملة وتعطيها تحديداً أدقّ واخف.

---

(١) سورة الحديد الآية ١٦.

(٢) المحتسب ٣١٢/٢.

المطلب الرابع

دلالة الحركة الإعرابية في البناء النحوي للجملة

كما هو معروف لدينا فإن الحركة الإعرابية لها دورٌ كبير في معرفة بعض الأساليب النحوية التي لا يمكن أن نفهم معناها إلا من خلال الحركة الإعرابية. كما أن لها دوراً كبيراً في تحديد المحذوف من جملة النواة. لذلك فإنه من الصعب فهم كثير من الكلام دون معرفة إعرابه، لذلك ربط كثير من النحاة بين المعنى والإعراب، فيرى ابن جني أن الإعراب فرع المعنى فالإعراب هو: الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيدُ أباه وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر، الفاعل من المفعول،ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبهم احدهما من صاحبه(١).

ويرى أحد علماء اللغة المحدثين أن نحاتنا القدماء قد انصرفوا عن وصف ظاهرة الحركة الإعرابية إلى تعليلها وأسبابها دون النظر في المعنى الذي تؤديه(٢).

يقول ابن يعيش: (الإعراب الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها)(٣).

ويذهب بعض النحاة إلى عدم وجود علاقة بين الإعراب والمعنى، ولكنه لا ينفى وجود الإعراب فيقول الزجاجي: (لم يعرب الكلام لدلالة المعاني) (٤) والإعراب عنده قرينة واحدة من قرائن أخرى. فالعلامة الإعرابية بمفردها لا قيمة لها دون تضافر القرائن الأخرى سوا أكانت معنوية أم لفظية(٥).

---

(١) الخصائص ٣٥/١.

(٢) عناصر تحقيق الدلالة في العربية- د.صائل رشدي ص ١٤٩-١٥٠.

(٣) شرح المفصل للزمحشري – يعيش بن على بن يعيش تحقيق: إميل بديع يعقوب ط١- ١٤٢٢هـ-٢٠٠١. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٦/١.

(٤) الإيضاح في علل النحو- الزجاجي-ص ٧٠.

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها-تمام حسَّان- ص ٢٠٧.

ويذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أبعد من ذلك، إذ يرى أن الحركات الإعرابية من صنع النحاة أنفسهم(١). إلا أنَّ الدكتور: خليل عمايره يرى أن هذا الرأي لا يستقيم مع القوانين اللغوية المعروفة؛ لأن الحركات الإعرابية موجودة في اللغة العربية، وأنها فونيمات أصيلة فيها، ينطق بها العربي ليفيد معنى معيناً ثم يغيرها ليفيد الفونيم الجديد معنى جديداً. فجملة مثلُ: الأسد تفيد معنى غير ما تفيده جملة: الأسدُ والفرق في المعنى أن الأسدَ في الأولى تفيد تحذيراً من الأسدِ، بينما (الأسدُ) تجيب عن سؤال مثل: من أبو الشبل؟.

والقرينة الدالة على هذا الفرق هي الحركة الإعرابية فقدروا في الجملة الأولى محذوفاً (أحذر الأسد) لتسويغ حركة النصب(٢).

ومن أمثلة اختلاف المعنى باختلاف الإعراب قولهم: (صهْ) بالسكون و(صهٍ) بالتنوين فالأولى نفيد طلب السكوت عن حديث معين، وللمتكلم أن يختار حديثاً آخر، أمّا (صهٍ) بالتنوين، فتفيد: طلب السكوت مطلقاً، وغير ذلك الكثير من الأمثلة في أبواب النحو العربي تندرج كلها تحت أثر الحركة الإعرابية(٣).

إذن فالحركة الإعرابية – شأنها شأن أي فونيم في الكلمة– له قيمة وأثر في الإفصاح والإبانة عَمّا في النفس من معنى، فيكون تغيرها محققاً لما في نفس المتكلم من معنى يريد الإفصاح عنه(٤).

لذلك فقد أدخلها علماء اللغة المحدثين ضمن العناصر التي تساهم في تفسير المعنى المضمن في البناء الباطن للتراكيب اللغوية، التي تدخل في مفهوم الأثر في النظرية الأساسية الموسعة(٥).

ويكفى في هذا الموضع لبيان الدور الذي تلعبه الحركة الإعرابية في الإشارة إلى المعاني الكامنة في الأبنية الباطنة إيراد نموذج ذكره الأستاذ الدكتور بكري محمد الحاج للغرض نفسه(٦).

---

(١) من أسرار اللغة– إبراهيم أنيس– ص ١٩٨.

(٢) في نحو اللغة وتراكيبها د. خليل عمايره ص ١٥٥.

(٣) عناصر تحقيق الدلالة في العربية ص ١٥٢.

(٤) نحو اللغة وتراكيبها للدكتور خليل عمايره ص ١٥٩– ١٦٠.

(٥) أثر عناصر البناء الظاهر للجملة في التفسير الدلالي أ.د. بكري محمد الحاج ص ٨.

(٦) أثر عناصر البناء الظاهر للجملة في التفسير الدلالي أ.د. بكري محمد الحاج ص ٩.

وهو قوله تعالى: ﴿اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾(١) فقرأ بعضهم (رسوله) بالنصب وقرأ سائر القراء (رسولُه) بالرفع(٢).

فالرفع على الابتداء والخبر محذوف، أي: ورسوله بريءٌ أيضاً من المشركين،و من قرأ بالنصب فإنه عطف على اسم إنَّ فالمعنى الذي تشير إليه حركتا الضمة والفتحة قريب، وهو الإخبار عن براءة الله من المشركين وبراءة رسوله أيضاً منهم، أمّا تغيير المعنى واللحن فإنه مع قراءة الجر التي وردت في كتب النحو وهي أن أعرابياً سمع قراءة ﴿اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بالجرِّ فقال: إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فوضح له سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه القراءة الصحيحة، فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم(٣).

فنلاحظ في هذا المثال اختلاف المعنى باختلاف الحركة الإعرابية.

وقد خرَّج ابن جني في المحتسب عدداً من القراءات اختلف فيها المعنى نتيجة لاختلاف الحركة الإعرابية.

من ذلك قراءة: ﴿وَالْمُقِيمِونَ الصَّلاَةَ﴾(٤) بالواو.

قال أبوالفتح: ارتفاع هذا على الظاهر الذي لا نظر فيه وإنما الكلام في (المقيمين) بالياء، ولكن رفعه في هذه القراءة يمنع من توهمه مع الياء مجروراً، أي: يؤُمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة(٥).

ومن ذلك ما روي عن الحسن: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾(٦) بالرفع.

(١) سورة التوبة الآية ٣.

(٢) الكشاف للزمخشري ١٧٣/٢.

(٣) المدارس النحوية- للدكتور شوقي ضيف د.ط ١٩٦٨- دار المعارف مصر ص ٤٥.

(٤) سورة النساء الآية ١٦٢،وقراءة الجماعة(والمقيمين الصلاة) بالياء. والقراءات الشاذة هنا لمالك بن دينار.

(٥) المحتسب ٢٠٤/١.

(٦) سورة المائدة الآية ٦ وقراءة الجماعة (وأرجلكم) بالنصب.

قال أبوالفتح: ينبغي أن يكون رفعه بالابتداء والخبر محذوف، دل عليه ما تقدمه أي وأرجلُكم واجبُ غسلها، وهو يفضل قراءة الرفع من ناحية المعنى، لأنه برفعه على الابتداء يصير صاحب الجملة، أمَّا إذا نُصب أو جُرَّ عطفاً على ما قبله فسيصير تابعاً لما قبله ولحقاً له، فإنَّ في الرفع قوة في المعنى[١].

ومما فضل فيه قراءة على أخرى بسبب المعنى الذي اكتسبته احداهما نتيجة العلامة الإعرابية تخريجه لقراءة الحسن: ﴿وَالصَّابِؤُونَ﴾[٢] بالواو وقراءة عثمان (والصابئين) بالياء.

يفضل ابن جني قراءة (الصابئين) بالياء لأنَّ النصب على ظاهره، أي أن النصب عطف على اسم (إنَّ)، أمَّا الرفع فيحتاج أن يقال فيه: إنه مقدم في اللفظ مؤخر في المعنى، حتى كأنه قال: لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك[٣].

ومن اختلاف القراءتين باختلاف الحركة الإعرابية قراءة الأعرج: ﴿شَهَادَةٌ بَيْنِكُمْ﴾[٤] رفع و(شهادة بينكم) نصب[٥].

قال: وأمّا (شهادةً بينكم) بالنصب والتنوين فنصبها على فعل مضمر، أي: ليقيم شهادة بينكم اثنان، وأمّا (شهادة) فهي أعمَّ من قراءة الجماعة (شهادة الله) بالإضافة،غير أنها بالإضافة أفخم وأشرف وأحرى بترك كتمانها لإضافتها إلى الله سبحانه[٦].

وفي تخريجه لقراءة مجاهد: ﴿فَلاَ تُشْمِتُ بِيَ الأَعْدَاءَ﴾[٧]برفع ونصب الأعداء.

---

(١) المحتسب ٢٠٨/١.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٩ وقراءة الجماعة (والصابئين).

(٣) المحتسب ٢١٧/١.

(٤) سورة المائدة الآية ١٠٦.

(٥) وقراءة العامة شهادة بينكم بالإضافة.

(٦) المحتسب ٢٢٠/١-٢٢١.

(٧) سورة الأعراف الآية ١٥٠.

قال: أمّا الرفع بفعلهم فالظاهر أن انصرافه إلى الأعداء ومحصوله: يـــا رب لا تشمت أنت بي الأعداء.

فأمّا النصب فإنه قال: لا تشمت بي أنت يا رب[١]. فـــاختلف الفاعـــل فـــي القراءتين لاختلاف الحركة الإعرابية. ومن ذلك قراءة الأعـــرج: ﴿ويتوبَ الله﴾[٢] بالنصب.

قال: إذا نصب فالتوبة داخلة في جواب الشرط معنـــي وإذا رفـــع كقـــراءة الجماعة فو استئناف، فهي كقولك: إن تزرني أحسن إليك، وأعطى زيـــداً درهمـــاً فتنصبه على إضمار إن، أي: إن تزرني أجمع بين الإحســـان إليـــك والإعطـــاء لزيد[٣].

وهو هنا يفضل قراءة الجماعة على الاستئناف: لأنه تمَّ الكلام علـــى قولـــه تعالى (ويذهب عنهم غيظ قلوبهم) ثم استأنف فقال(وليتوب الله على مـــن يشـــاء) فالتوبة منه سبحانه على من يشاء ليست مسببة عن قتالهم، هذا هو الظـــاهر، لأن هذه حال موجودة من الله تعالى قاتلوهم أو لم يقاتلوهم، فلا وجه لتعليقها بقـــاتلوهم فإن ذهبت تعلق هذه التوبة بقتالهم إياهم كأن فيه ضرب من التعسف بالمعنى[٤].

ومن ذلك قراءة الأعرج: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾[٥] وقرأ يعقوب (الكُذُبَ) وقرأ مسلمة بن محارب: (الكُذُب) وقراءة الناس: (الكَذِبَ).

فنجد أن اختلاف الحركة الإعرابية في كلمة (الكذب) يؤدى إلـــى اخـــتلاف إعرابها، وبالتالي لتغير معناها بتغير حركتها الإعرابية.

فالكذب بالجرِّ بدلُ من (ما) أي فلا تقولوا الكذب الذي نصف ألسنتكم.

---

(١) المحتسب ٢٥٩/١.

(٢) سورة التوبة : ١٥.

(٣) المحتسب ٢٨٥/١.

(٤) المحتسب ٢٨٥/١.

(٥) سورة النحل الآية ١١٦.

وأمَّا (الكُذُبَ) بالنصب فجمع كذاب، ككتاب وكتب يقال: كذب الرجل يكذب كذباً وكذاباً، والكذب وصف الألسنة[١].

وفي تخريجه لقراءة الحسن: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ [٢] بالنصب، وقراءة الجماعة (يوم الزينة) بالرفع.

قال: أمَّا نصب(يومَ) فعلى الظرف كقولنا: قيامك يوم الجمعة فالموعد إذا هاهنا مصدر، والظرف بعده خبرُ عنه، وهو عندي على حذف المضاف.

وأمَّا من رفع وقال: (يومُ الزينة)فإنَّ الموعد عنده ينبغي أن يكون زماناً فكأنه قال: وقت وعدي يوم الزينة[٣].

وفي تخريجه لقراءة ابن عباس: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [٤] و(حرُم) بضم الراء، وقرأ قتادة: (وَحرَم) على قرية وقرأ عكرمة (حَرِمُ) بالتنوين.

قال: أمَّا حرم فالماضي من حَرَمٍ وحَرُم فظاهر في الاستعمال. وحَرِمُ: أي واجب وحرام، أي حُرِّم ذلك عليها.

أمَّا حرُم فمن حرمته الشيء إذا منعته إياه[٥] فنجد أن المعاني مختلفة باختلاف حركة البناء الصرفي للكلمة مع اختلاف حركة الإعراب وهذا ما أشار إليه الدكتور خليل عمايره بأن هناك لوازم أخرى غير الحركة الإعرابية ولكن هذا يمنع أن الحركة الإعرابية تؤدى إلى تغيير المعني.

ومما أدى فيه اختلاف الحركة الإعرابية إلى اختلاف المعنى قراءة: ﴿ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾[٧] بفتح الياء في (أدرىَ) في الآيتين. وقراءة الجماعة بالجزم.

---

(١) المحتسب ٢/١٢- ١٣.

(٢) سورة طه الآية ٥٩.

(٣) المحتسب ٢/٥٣-٥٤.

(٤) سورة الأنبياء الآية ٩٥.

(٥) المحتسب ٢/٦٥.

(٦) سورة الأنبياء الآية ١٠٩. روى القراءة أيوب عن يحيى.

(٧) سورة الأنبياء الآية ١١١.

فله في اختلاف الحركة الإعرابية تخريج لفظي دقيق وذلك أنــك إذا قلــت: أدرى فلك هناك ضمير وإن كان فاعلاً، فأشبه آخره آخر مالك فيه ضــمير، وإن كان مضافاً إليه، كقولك: غلامي وداري، فلما تشابه الآخــران بكونهمــا يــاءين، وهناك أيضاً للمتكلم ضميران، وهما المرفوع في أدرى، والمجــرور فــي داري، فأشبه آخر(أدري) آخر(داري) ففتحت الياء في أدري كما تفتح فــي نحــو (داري وغلامي) [1].

وفي قراءة أبي جعفر: ﴿هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [2] بكسر التاء غير منونة.

وقرأ عيسى بن عمر: (هيهاتٍ) بالكسر والتنوين وقرئت (هيهــات) مرســلة التاء [3].

أمّا (الفتح) هيهاتَ وهو قراءة العّامة فعلى أنه اسم سُمَّي به الفعل في الخبــر ومعناه (بَعُدَ).

أما هيهاتٍ وهيهاتِ بالكسر، منون أو غير منون فهو جمع هيهات،وأصــله: هيهيات [4]. ومن نون ذهب إلى التنكير أي بُعداً بُعداً. ومن لم ينــون ذهــب إلــى التعريف أي: البعد، البعد... ومن فتح وقف بالهاء ومن كسر كتبها بالتــاء لأنهــا جماعة. ومن قال: هيهاةٌ، هيهاةٌ بالرفع والتنوين فيحتمل ذلك أمرين:

أحدهما: أن يكون جعلها اسماً معرباً فيه معنى البعد، ولم يجعله اسماً للفعل، وقوله(لمّا توعدون) خبر عنه، والآخر أن تكون مبنية على الضم كنحنُ وحَــوْبُ [5] في الزجر، ثم اعتقد فيه التنكير فنلحقه التنوين على ما مضي، أما(هيهاتْ) ســاكنة بالتاء فينبغي أن يكون جماعة [6].

---

(١) المحتسب ٢/٦٨.

(٢) سورة المؤمنون الآية ٣٦.

(٣) وقراءة العامة(هيهات) بالفتح وقراءة هيهات مرسلة هي قراءة عيسى بن الهمداني.

(٤) فحذفت الألف لأنها في آخر اسم غير متمكن(هيهت) ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها المحتسب ٢/٩١.

(٥) وهو من قولهم الجمل صه ، الجمل صه .

(٦) المحتسب ٢/٩٠-٩١-٩٣.

وفي تخريجه لقراءة أم الدرداء في أوّل سورة النور قوله تعـالى{سُـورَةً}[١] بالنصب.

أما القراءة الشاذَّة بالنصب فقد جعلها منصوبة بفعل مضمر، وتقديره : أنزلنا سورة، أو التخصيص أي اقرءُوا سورة أو تدبروا سـورة أنزلناهـا أمـا قـراءة الجماعة بالرفع، فمرفوعة بالابتداء أي: فيما ينزل إليكم سورة أمرها كذا، فالجملة بعدها إذاً في موضع رفع لأنها صفة سورة[٢].

ومثل ذلك الخلاف قراءة عيسي الثقفي: ﴿الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي﴾[٣] بالنصب، وقراءة الجماعة بالرفع.

قال: هذا منصوب بفعل مضمر أيضاً، أي: أجلدوا الزانية والزاني، يفسـره بقوله فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) [٤].

وفي تخريجه لقراءة عبدالله بن مسلم بن يسار: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاء﴾[٥].

يشير ابن جني إلى أن القراءة الشاذة بالتنوين حسنة المعنى، وذلك أنَّ أسماء العدد من الثلاثة إلى العشرة لا تضاف إلى الأوصاف إلا في ضرورة إقامة الصفة مقام الموصوف، وليس ذلك في حسن وضع الاسم هناك. ولكنه يذكر وجه قـراءة الجماعة بالإضافة. فإنما ساغ ذلك لأنهم قد استعملوا الشهداء اسـتعمال الأسـماء كقولهم إذا الشهيد صلت عليه الملائكة،وعُدَّ الشهداء يومئذ فكانوا كذا وكذا. ومنزلة الشهيد عند الله متينة فلما اتسع ذلك عنهم جرى عندهم مجـرى الاسـم فحسـنت إضافة اسم العدد إليه حسنها إذا أضيف إلى الاسم الصريح[٦].

ومن ذلك قراءة مجاهد: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ﴾[٧] برفع الحق[٨].

---

(١) سورة النور الآية ١.

(٢) المحتسب ٢/٩٩- ١٠٠.

(٣) سورة النور الآية ٢.

(٤)المحتسب ٢/١٠٠.

(٥) سورة النور الآية ٤ وقراءة الجماعة بأربعة شهداء.

(٦) المحتسب ٢/١٠١.

(٧) سورة النور الآية ٢٥.

(٨) وقراءة الجماعة (الحق) بالنصب.

قال: الحق هنا وصف لله أي يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم، وجاز وصفه تعالى بالحق لما في ذلك من المبالغة، حتى كأنه يجعله هو على المبالغة كقولنا: رجُلُ خصمُ وقومٌ زورُ[1].

وفي تخريجه لقراءة علي – عليه السلام – ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] بالرفع[3].

فيفضل ابن جني هنا قراءة الجامعة بالنصب وذلك أن في شرط اسم كان وخبرها، أن يكون اسمها أعرف من خبرها، والضمير أعرف من الاسم الظاهر. فلذلك اختارت الجماعة أن تكون أن وصلتها اسم كان ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ﴾[4] أي: إلا قولهم[5].

ومثل ذلك أيضاً قراءة الحسن: ﴿فما كان جوابُ قومه﴾[6] برفع الباء[7].

وهو أيضاً يقوى قراءة الجماعة بالنصب، ويجعل اسم كان قوله: (إن قالوا أخرجوا آل لوط) لشبه أن بالمضمر، من حيث كانت لا توصف كما لا يوصف، والمضمر أعرف من هذا المظهر كما رأينا في القراءة السابقة[8].

ومما أدى فيه اختلاف الحركة الإعرابية إلى قوة المعنى قراءة ﴿بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾[9] كنصب اللام وقراءة الجماعة برفعها فزعم أنه يرى أنَّ المعنى واحد في الرفع والنصب إلا أنه يرى أنَّ الرفع أقوى معنى وذلك أن فيه إصراماً من اللفظ بأن يرضين كلهن، والنصب إنما هو بإيتائهن كلهن وإن كان محصول الحال فيهما مع التأويل واحداً[10].

---

(١) المحتسب ١٠٧/٢.
(٢) سورة النور الآية ٥١.
(٣) وقراءة الجماعة (قولاً) بالنصب.
(٤) سورة الأعراف الآية ٨٢.
(٥) المحتسب ١١٥/٢.
(٦) سورة النمل الآية ٥٦.
(٧) وقراءة الجماعة جواب بنصبها.
(٨) المحتسب ١٤١/٢.
(٩) سورة الأحزاب الآية ٥١. والقراءة في المحتسب لأبي إياس جؤية بن عائذ .
(١٠) المحتسب ١٨٢/٢-١٨٣.

وكذلك يفضل القراءة العامة في قوله: ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾[1] على قــراءة ابن مسعود: (وكان عبد الله وجيهاً).

وذلك أنّ هذه إنما يفهم منها أنه عبدُ لله ولا تفهم منها وجاهته عند من هــي؟ أعند الله أم عند الناس؟ وأمّا قراءة الجماعة فإنها تفيد كون وجاهته عند الله وهــذا أشرف من القول الأول لإسناد وجاهته إلى الله تعالى وحسبه هذا شرفاً[2].

ومما اختلف معناه باختلاف حركته الإعرابية قراءة سعيد بن جبير: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[3] وقرأ قتادة: (بل مكرُ الليل والنهار) وقرئت أيضاً بالنصــب(بــل مكرَّ) بالنصب[4].

قال أبوالفتح: المكرُّ والكرور: اختلاف الأوقات فمن رفعه فعلى وجهين:

أحدهما: بفعل مضمر دل عليه ما قبله في قوله ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم﴾[5] فقالوا في الجواب: بل صدَّنا مكرُّ الليل والنهار أي كرورهما.

والآخر: أن يكون مرفوعاً بالابتداء أي: مكرُّ الليل والنهار صدَّنا.

أما (مكرَّاً) بالنصب: فعنى الظرف كقولك: زرتك خفوق الــنجم، وصــياح الديك، فهو معلق بفعل محذوف، أي صددتمونا في هذه الأوقات[6].

وفي تخريجه لقراءة الضحَّاك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[7].

فيرى أبوالفتح أنه كلما اختلفت الجمل كان الكلام أفانين وضروباً، فكان أبلغ منه إذا ألزم شرجاً واحداً فقولك: أثني على الله، اعطأنا فأغني أبلغ من قولك: أثني على الله المعطينا والمغنينا لأن معك هنا جملة واحدة، وهناك ثلاث جمل.

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٦٩.

(٢) المحتسب ١٨٥/٢.

(٣) سورة سبأ الآية ٣٣.

(٤) وقراءة الجماعة (مكرُ) بالرفع. وقراءة النصب لراشد.

(٥) سورة سبأ الآية ٣٢.

(٦) المحتسب ١٩٣/٢-١٩٤.

(٧) سورة فاطر الآية ١.

ويدلك على صحة هذا المعنى قراءة الحسن: (جاعل الملائكــة) [١] بــالرفع، فهذا على قولك: هو جاعل الملائكة ويشهد به أيضاً قراءة: (جعل الملائكة) قــال أبوعبيدة: إذا طال الكلام خرجوا من الرفع إلى النصب، ومن النصب إلى الرفــع، لتختلف ضروبه، وتتباين تراكيبه[٢].

ومما تغير معناه باختلاف حركته الإعرابية: قراءة أبي بن كعب: {صَــادِ}[٣] بكسر الدال.

وقرأ الثقفي: "صَادَ" بفتح الدال[٤].

قال أبوالفتح: المأثور عن الحسن أنه إنما كان بكسر الدال من (صاد)، لأنــه عنده أمرُ من المصاداة أي: عارض عملك بالقرآن.

قال أبوعلى: هو فاعل من الصدى وهو ما يعارض الصوت فــي الأمــاكن الخالية مع الأجسام الصلبة وقد يجوز أن يكون من فتح، جعل (صاد) علماً للسورة فلم يصرف فالفتحة على هذا فتحة إعراب[٥].

وفي تخريجه لقراءة أبي السمال: ﴿وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا﴾[٦] رفع.

فإنه هنا يفضل القراءة الشاذة بالرفع على قراءة الجماعة بالنصب، فــالرفع على الابتداء لأنه عطفه على الجملة ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٧].

فكما أنّ هذه الجملة مركبة من مبتدأ وخبر فكذلك الرفع في السماء يجعلهــا جملة مكونة من مبتدأ وخبر معطوفة على جملة والنجم والشجر يســجدان. وأمَّــا قراءة العامة بالنصب(والسماء رفعها) فأنها معطوفة على يسجدان وحــدها وهــي

---

(١) سورة فاطر الآية ١، والقراءة لخليد بن نشيط.

(٢) المحتسب ١٩٨/٢.

(٣) سورة ص الآية ١.

(٤) وقراءة الجماعة

(٥) المحتسب ٢٣٠/٢.

(٦) سورة الرحمن الآية ٧.

(٧) سورة الرحمن الآية ٦.

جملة من فعل وفاعل،والعطف يقتضي التماثل في تركيب الجملة، فيصير تقـديره يسجدان ورفع السماء فلما اضمر رفع فسره بقوله (رفعه)[١].

وفي تخريجه لقراءة عبدالله بـن الزبيـر: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[٢] بالواو[٣].

فالرفع على ارتجال جملة مستأنفة وهو يفضل قراءة الجماعة بالنصـب، لأن معناه يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين، لما اضمر هذا الفعـل فسـره بقوله: (أعد لهم عذاباً أليماً)[٤].

وغير ذلك من القراءات التي اختلـف معناهـا نتيجـة اخـتلاف الحركـة الإعرابية[٥].

بعد هذا العرض للقراءات التي خرجها ابن جني علـى اخـتلاف الحركـة الإعرابية وذكر الآراء التي ذكرها ابن جني، تبين لنا إدراكـه لأهميـة الحركـة الإعرابية وأنها شأنها شأن الفونيمات الأساسية في تركيب الكلمـة، لهـا قيمتهـا وأثرها في توضيح المعاني الكامنة في النفس. فإذا أخذنا واحـدة مـن القـراءات السابقة وقمنا بتحليلها في ضوء نظرية تشومسكي في مرحلتهـا الأساسـية التـي ترتكز على مفهوم البنائين الباطن والظاهر للجملة، وبإضافة التعديل الذي أدخلـه على هذه النظرية والذي يتضح من خلاله أن البناء الظاهر يمكن أن يسـهم فـي التفسير الدلالي للجملة عن طريق بعض العناصر الموجودة فيه[٦].

---

(١) المحتسب ٣٠٢/٢.

(٢) سورة الإنسان الآية ٣١.

(٣) وقراءة الجماعة(والظالمين) بالياء.

(٤) المحتسب ٣٤٤/٢.

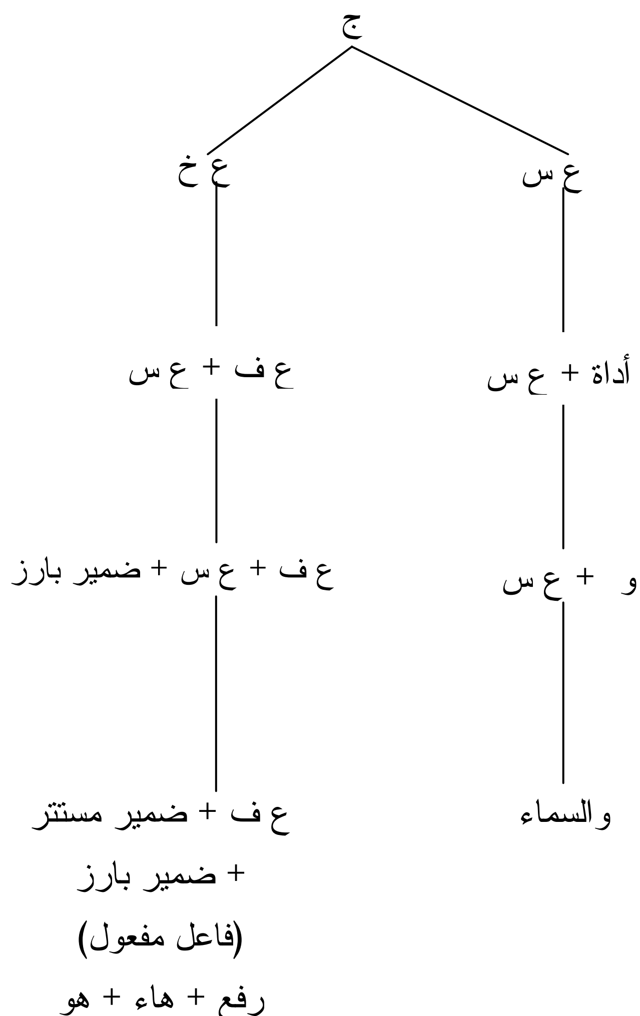
(٥) المحتسب ٣٥٠/٢ –٢٦٢.

(٦) أثر عناصر البناء الظاهر للجملة في التفسير الدلالي من خلال القراءات القرآنية أ.د. بكري محمد الحاج ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م شركة مطابع السودان للعملة ص ٧.

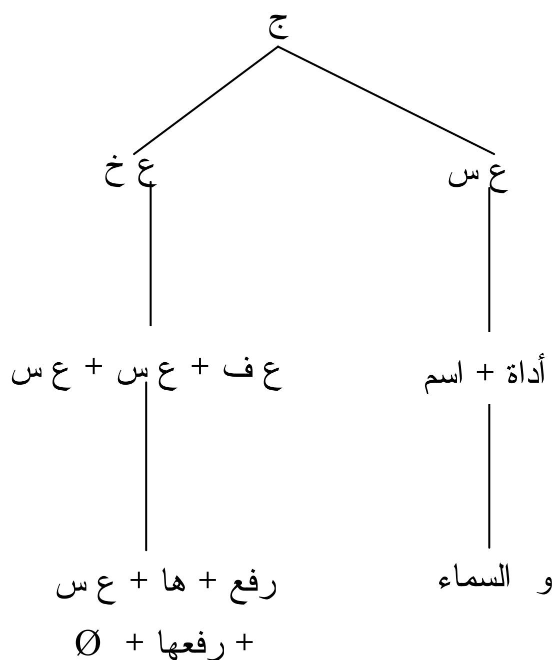
فإذا ما أخذنا قراءة أبي السمال: (والسماءُ رفعها) برفع السماء مع قراءة الجماعة (والسماءَ) بالنصب فنجد أنفسنا من خلال تحليل القراءتين أمام بناءين مختلفين أدى إلى اختلافهما اختلاف الحركة الإعرابية في السماء.

المشجران التاليان يوضحان البناءين الباطن والظاهر للجملة الأولى:

(أ) البناء الباطن



(ب) البناء الظاهر

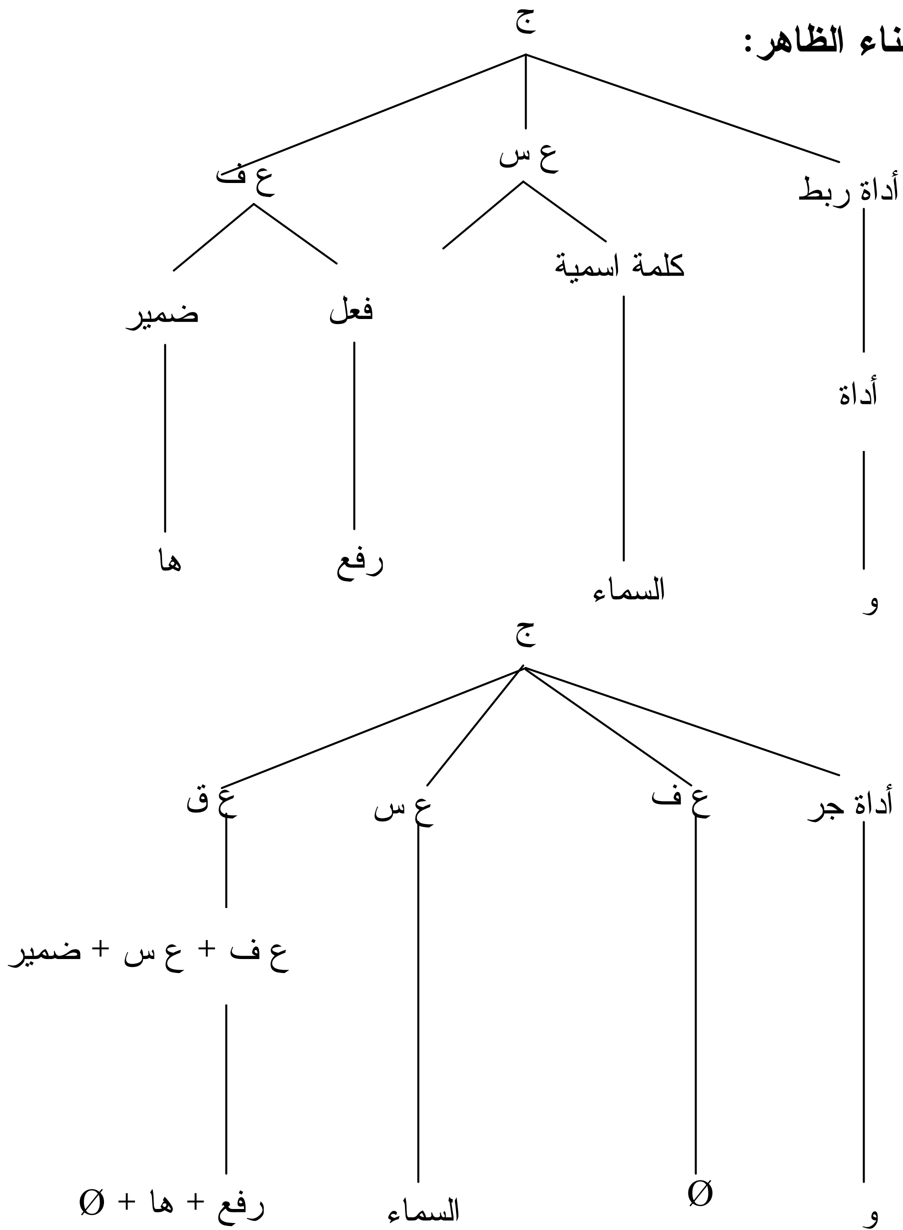


يوضح البناء الظاهر لهذه الجملة حذف العنصر الاسمي الشاغل لموقع المسند إليه(الفاعل) وفقاً لقاعدة التحويل بالحذف.

الجملة الثانية بالنصب

والسماء رفعها وتقديرها رفع السماء

(أ) البناء الظاهر:



فنلاحظ أن القراءة بالرفع تجعل السماء (ع س) مبتدأ في الجملة فهو عمدة في جملته والقراءة بالنصب تجعل السماء فضلة منصوبة بفعل مضمر معطوفة على يسجدان وحدها. فالمعطوف عليه جملة مكونة من فعل وفاعل (يسجدان) والمعطوف اسم منصوب، والعطف كما ذكر ابن جني يقتضي التماثل بين المعطوف والمعطوف عليه لذلك فهو يفضل القراءة الشاذة بالرفع على قراءة الجماعة بالنصب.

المطلب الخامس

ترتيب الجملة بالتقديم والتأخير

تهدف الجملة إلى إيصال الرسالة اللغوية إلى المخاطب وإخباره بمحتواها[١] والأصل في الجملة الاسمية(تقديم المبتدأ وتأخير الخبر ويجوز تـــأخيره حيـــث لا مانع) [٢].

أما الجملة الفعلية فالأصل فيها تقدم الفعل وتأخر الفاعل ويجوز تقدم الفاعـــل على الفعل من وجهة نظر البصريين أمّا نحاة الكوفة فيمنعون ذلك[٣].

وقد اهتم عالمنا ابن جني بترتيب الجملة وتناوله في الخصائص فـــي بـــاب (شجاعة العربية) بين فيه ما يجوز تقديمه من العناصر البنائية المؤلفة للجملة مثل: تقديم المفعول على الفاعل والفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم خبـــر كـــان وأخواتها على أسمائها وعليها أنفسها[٤].

وقد اهتم علماء العربية بترتيب الجملة اهتماماً جعله من سنن كلامهم: "مـــن سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر وتأخيره وهو في المعنى مقدَّم"[٥].

ويجب على الناظر في التقديم والتأخير أن ينظر إليه من أكثر من جانب لكي يتعرف على أسبابه وأهميته وأحوال المتكلم والسامع.

ويرى أهل البلاغة أنه كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصـــرف، بعيـــد الغاية، لا تزال يغتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه،ولا يزال ترى شـــعراً، يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عنـــدك أن قدم فيه شيء، وحُول اللفظ من مكان إلى مكان[٦].

---

(١) عنصر العناية والاهتمام في خواتيم الآيات القرآنية أ.د. بكري محمد الحاج ١٤٣٩هـ– ٢٠٠٨م– شركة مطابع السودان للعملة ص ٥٧.

(٢) يقول ابن مالك : الأصل في الأخبار أن تؤخرا * وجوزوا التقديم إذ لا ضرراً

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١٩٩/١.

(٣) شرح المفصل ٧٦/١.

(٤) الخصائص ٣٨٤/٣٨٢/٢.

(٥) السابق والصفحة.

(٦) دلائل الإعجاز ص ١٠٦.

إذاً فتغيير ترتيب الجملة له دور في المعنى، وليس الأمر مجرد مراعاة النظم أو المحافظة على التوافق الموسيقي كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس حيث يرى أن التقديم في مثل الآيات القرآنية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١] وقوله : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[٢]، لا يعدو أن يكون رعاية لموسيقي الفاصلة القرآنية، فهي إذن أشبه بالقافية الشعرية التي يحرص الشاعر على موسيقاها كل الحرص[٣].

فقوله هذا غير مقبول؛ لأن الله سبحانه وتعالى قادر على المحافظة على ترتيب الجملة كما هو مع مراعاة الفواصل القرآنية، بل إنَّ فكرة التقديم والتأخير قائمة على المعنى ليس إلا، ويذهب الدكتور خليل عمايره إلى أن التقديم يكون دائماً لغرض يتعلق بالمعنى وليس لغض يتعلق بالبنية الشكلية أو بموسيقي الكلام[٤] وإن حدث تقديم وتأخير موافق لنظام العربية، فلابد من فائدة منه في جميع الأحوال، ومع ذلك فإنه لا يقبل إلا إذا وافق نظام الجملة العربية[٥]؛ لأن هناك حالات لا يجوز فيها التقديم أو التأخير ذكرها النحاة في كتبهم[٦].

وابن جني في تخريجه للقراءات لم يعتمد كثيراً على هذا النوع من عناصر التحويل كغيره من العناصر الأخرى كما رأينا في دلالة الحذف والزيادة ودلالة الحركة الإعرابية، وإن كانت له نماذج لكل واحد من أنواع التقديم، سواء كان المقدم مبتدأ، أو خبراً، في جملة اسمية، أو فعلية، عمدة أو فضلة. وهو يذكر لنا أن الغرض من التقديم هو الغرض المعنوي وذلك لعنايتهم بالمقدم. ومن ذلك تخريجه لقراءة أنس بن مالك (ثابت أصلها) في قوله تعالى: ﴿كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾[٧].

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٥.

(٢) سورة الضحي الآيات ٩-١٠.

(٣) من أسرار اللغة- إبراهيم أنيس ص ٣٣٣.

(٤) في نحو اللغة وتراكيبها د. خليل عمايره ص ٩٠.

(٥) عناصر تحقيق الدلالة العربية د.صائل رشدي شديد ص ١٢٢.

(٦) الأصول في النحو- ابن السراج- ٢/٢٢٢ .

(٧) سورة إبراهيم الآية ٢٤

فيذهب أبوالفتح إلى أن قراءة الجماعة (أصلها ثابت) أقوى معنى،وذلك أنك إذا قلت(ثابت أصلها) فقد أجريت ثابتاً صفة على شجرة، وليس الثبات لها، إنما هو للأصل ولعمري إن الصفة إذا كانت في المعنى لما هو من سبب الموصوف جرت عليه، إلا أنها إذا كانت له ، كانت أخصَّ لفظاً به، وإذا كان الثبات في الحقيقة إنما هو للأصل، فالمعتمد بالثبات هو الأصل، فبقدر ذلك ما حسن تقديمه عناية به ومسارعة إلى ذكره[١] ثم يشير في هذا الموضع إلى الغرض من تقديم المفعول، بقوله: ولأجل ذلك قالوا: زيداً ضربته، فقدموا المفعول لأنَّ الغرض هنا ليس بذكر الفاعل وإنما هو ذكر المفعول، فقدموه عناية بذكره، وأزالوه عن لفظ الفضلة وجعلوه في اللفظ ربَّ الجملة، فرفعوه بالابتداء، وصارت الجملة التي كان ذيلاً لها وفضله ملحقة بها في قولهم: ضربت زيداً ثانية، له، وواردة في اللفظ بعده،ومسندة إليه ومخبراً بها عنه[٢].

وفي تخريجه لقراءة ابن عباس: (من بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لهن) في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٣].

وهو هنا يجيز تقديم أحد الخبرين على صاحبه إذا كان هناك خبران فيقول: هذا حلوٌ حامضٌ، وهذا حامضٌ حلوٌ، فلك إذن أن تقول: فإن الله من بعد إكراهن غفور رحيم وإن شئت رحيم غفور؟ ثم يشير إلى أن حسن التقديم هنا يعود إلى المعنى، وذلك أن الرحمة أسبق رتبة من المغفرة، وذلك أنه سبحانه إنما يرحم فيغفر، فكأن رتبة الرحمة أسبق في النفس من رتبة المغفرة، لذلك حسن تعليق اللام في (لهن) بنفس (رحيم) وإن كان بعيداً عنها، لما ذكرناه من كون الرحمة سبباً للمغفرة، فإذا كانت في الرتبة قبلها معنى حسن أن تكون قبلها لفظاً أيضاً[٤].

(١) المحتسب ٣٦٢/١.

(٢) المحتسب ٣٦٢/١.

(٣)سورة النور الآية ٣٣.

(٤)المحتسب ١٠٨/٢-١٠٩.

ومما أُخر فيه حرف الجر قراءة ابن عبـــاس : ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهَا ﴾(١) وقراءة الجماعة (كأنك حفيٌّ عنها).

فذهب أبوالحسن في هذا إلى أن تقديره يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بها) فـــآخَّر وحذف الجار والمجرور(٢).

وفي تخريجه لقراءة ابن عباس أيضاً أجاز تقدم الحال على عامله إذا كـــان معنياً في قوله (خَالِصَةٌ لِذِكُورِنَا) بالرفع وقرأ ابن جبير(خَالِصَاً) بالنصـــب. حيـــث قال : أمَّا نصب خالصاً وخالصةً ففيه جوابان، وذكر أن الثاني منهمـــا أن يكـــون حالاً من (ما) على مذهب أبي الحسن في إجازته تقديم الحال على عاملها إذا كان معني، بعد أن يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا: زيدُ قائماً في الدار.

مما سبق من قراءات خرجها ابن جني على التقديم والتأخير يتضح لنا أنـــه أسلوب يحتاج إلى حذر وفطنة ويحتاج إلى وعي في استخدامه، ومعرفة بالعربيـــة ويظهر لنا ذلك من خلال حذر ابن جني في تخريجه، وتفضـــيله قـــراءة العامـــة الواردة على الأصل، إضافة إلى حرصه على إيجاد التعليل المعنـــوي للتقـــديم أو التأخير كما رأينا.

فإذا أخذنا واحدة من القراءات السابقة كنموذج وقمنا بتحليله علـــى أســـاس النظرية التوليدية التحويلية الأساسية الموسعة ولنأخذ مثالاً قراءة ابن عباس: (مـــن بعد إكراههن لهنَّ غفور رحيم) ويجوز تقديم الخبر الثاني (رحيم غفور) ويفضـــل هنا تقديم رحيم، لأن الرحمة أسبق رتبة من المغفرة.

الجملة الأول:إن الله من بعد إكراههن غفورُ رحيم

الجملة الثانية: إن الله من بعد إكراههن رحيم غفور

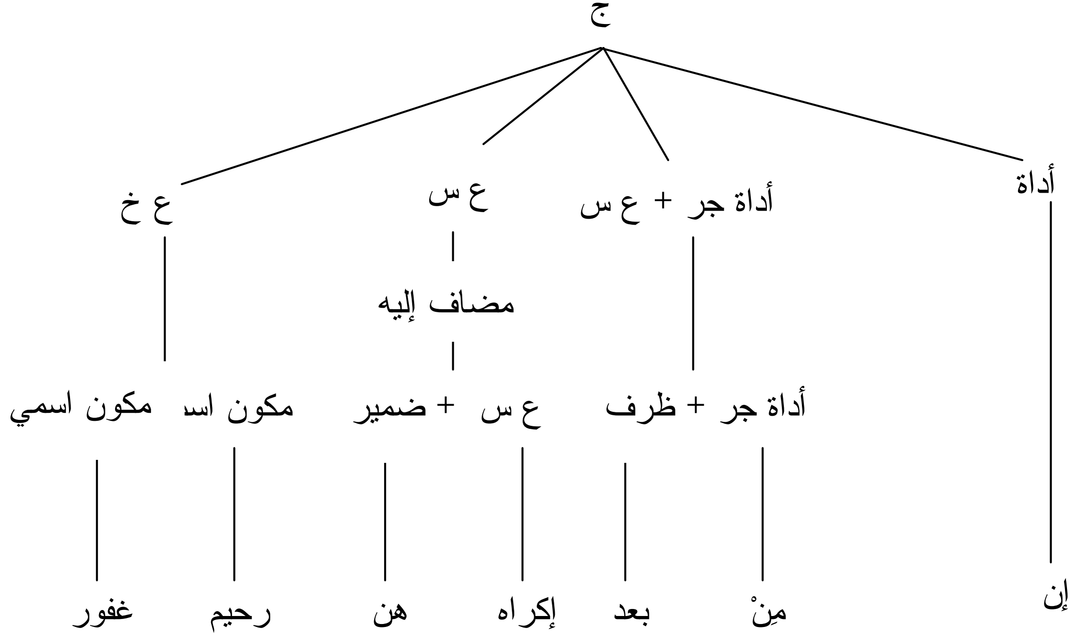
وتحليلها:

---

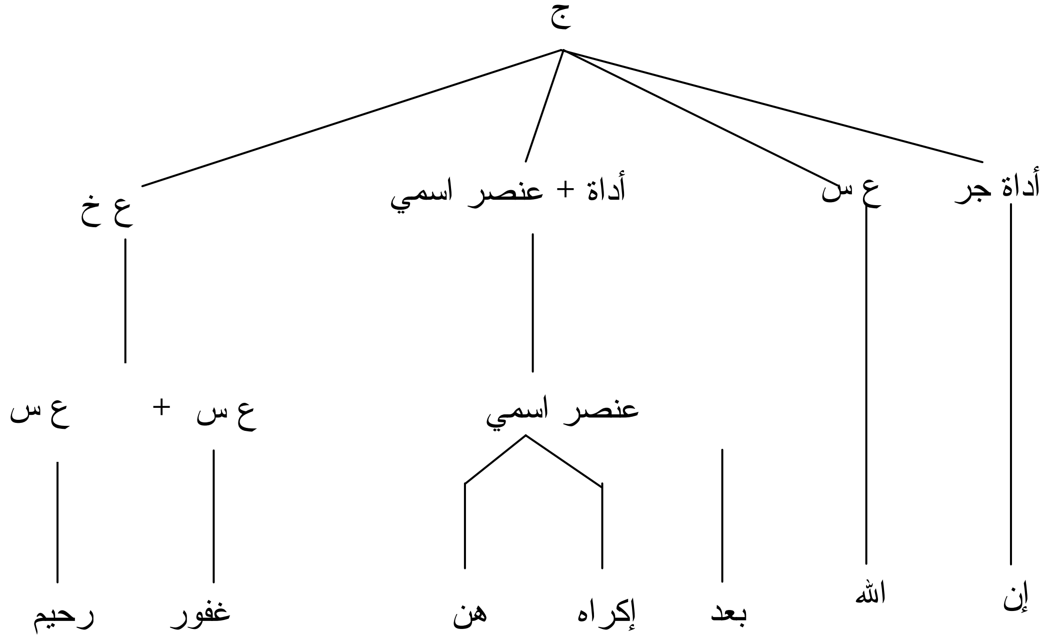
(١)سورة الأعراف الآية ١٨٧.

(٢) المحتسب ٢٦٩/١.

الجملة الأولى



الجملة الثانية: إن الله من بعد إكراههن غفور رحيم



نلاحظ في المشجرين حدوث تغيرات تحويلية في البناء في الجملة الأولى والجملة الثانية، وهي استبدال العنصر الاسمي غفور بـ العنصر الاسمي رحيم في العبارة الخبرية بناء على قاعدة التحويل بالاستبدال، وترتب عليه تغير في المعنى، لأنه كما ذكرنا الرحمة أسبق رتبة من المغفرة.

الخاتمة

الحمد لله، الذي بنعمته تتم الصالحات.

فقد تم بحمد الله، ونعمته سبحانه وتعالى، عملي هذا الذي وقفت من خلاله على الكثير من أسرار هذه اللغة اللطيفة، الشريفة، التي أودعها عالمنا – عبقري اللغويين – أبوالفتح عثمان بن جني: في كتابه "المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها" الذي يُعدُّ خلاصةٌ لجهده اللغوي والفكري- إذ إنه – كما ذكرت كتبه آخر أيام حياته، فجاء ملخصاً لقدرته العلمية، واللغوية، في العلوم المختلفة. التي أرسى دعائمها في كتبه الأخرى، والتي كان يُحيل إليها في المحتسب كالخصائص، وسرِّ الصناعة، والمنصف، وغيرها من كتبه.

وقد كانت هذه الدراسة محاولة مني، للربط بين تراثنا اللغوي القديم، والفكر اللغوي الحديث، من خلال إبراز جهد ابن جني الصوتي والدلالي عبر كتابه المحتسب.

وقد تمكنت من خلال هذه الدراسة من الوقوف على ذلك النوع من القراءات الذي تناوله ابن جني في محتسبه وهو المسمَّى بـ(القراءات الشاذِّة) والتي عرفها ابن جني بأنها "ما جاءت خارجة عن قراءة السبعة، الذين جمع ابن مجاهد قراءاتهم في كتابه "السبعة في القراءات" .

وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى الآتي:

١ – إن هذا الشاذ أكثر ثقة من المصادر اللغوية الأخرى؛ إذ إن الرواية تنميه إلى الرسول ﷺ ، مما يجعل منها مرآة صادقة تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة العربية، إذ إنها تمثل لنا الاختلاف اللغوي الناتج عن اختلاف اللهجات العربية في النواحي اللغوية المختلفة من صوتية ، وصرفية ، ونحوية ودلالية .

٢ – إن معظم التغيرات والتبدلات الصوتية لأي لغة من اللغات تحدث نتيجة عمل قانونين صوتين هما :

أولاً : قانون الأقوى: الذي صاغه عالم الأصوات الفرنسي موريس قرامونت وقرر بموجبه أن الصوتين المتجاورين في السياق يتبادلان التأثير والتأثر والصوت الأقوى هو الذي يتغلب في النهاية على الأضعف.

ثانياً: قانون الجهد الأقل أو (الاقتصاد في الجهد) ويهدف هذا القانون على تحقيق حد أعلى من الأثر السمعي بحد أدنى من الجهد والطاقة.

٣- أن هذين القانونين يعملان في اللغة لتيسير النطق وتسهيله، ويرتبط عملهما مع بعضهما البعض إلا أنه قد ينفرد أحدهما بالعمل دون الآخر في بعض الأحيان.

٤ – وجدت أن الأثر المترتب على عمل هذين القانونين في اللغة العربية يتمثل في ظاهرتين صوتيتين هما : ظاهرتا المماثلة والمخالفة الصوتيتان إذ إنهما أبرز وأهم أثر لعمل القانونين ، بيد أنهما ليستا كل أثر لعملهما، إذ إنني وجدت أنَّ هناك ظواهر صوتية لا تكون نتيجتها مماثلة ولا مخالفة كظاهرة تخفيف الهمزة في اللغة العربية، التي هي ثمرة لعمل قانون الاقتصاد في الجهد.

٥ – بعد تطبيق هذه القوانين الصوتية على قراءات المحتسب تبين للباحثة أن ابن جني قد تناولها جميعاً، بل وضع لها القوانين العامة التي تحكم ورودها والتي لم تكتشفها الآلات في معامل الصوتيات إلا حديثاً، وجدت لابن جني فيها تعليلات دقيقة لا تختلف كثيراً عن ما وصل إليه علماء اللغة المحدثون.

٦ – أما القضايا الدلالية في المحتسب ، فقد وجدت أن هذا المستوى من الدراسة اللغوية لم ينل حظه من الدراسة المستفيضة كالجوانب الأخرى؛ إذ إن ابن جني لم يضع له مصنفاً خاصاً، إلا أنني وجدت له الكثير من الآراء الدلالية التي لو جمعت لكونت لنا – ما يسمى في العصر الحديث (بنظريات المعنى) بل إنني أثبت بعد الوقوف على نظرية فيرث الحديثة في المعنى أن ابن جني هو واضع هذه النظرية.

٧ – وقد وجدت على مستوى الدلالة الصوتية في عبارات ابن جني من هو أكثر دقة على مستويات الدلالة الصوتية المختلفة من مطردة وغير متطردة ، إضافة إلى إدراكه قيمة الفونيم كمقابل استبدالي في التغيير الدلالي.

٨ – وقد كان لابن جني باع طويل في إثبات القيمة الدلالية للأوزان الصرفية المختلفة، حيث كشف لنا الكثير من أسرار دلالاتها.

٩ – وقد وجدت الدلالة النحوية عند ابن جني باسم الدلالة المعنوية وبعد دراسة بعض جوانبها من خلال النظرية التوليدية التحويلية الحديثة والتي نجد أنفسنا فيها أمام جملتين هما الجملة السطحية (أو البناء الظاهر) المتطورة عن الجملة العميقة (أو البناء الباطن) بوساطة عناصر التحويل التي تشمل الحذف والزيادة والتقديم والتأخير ، إضافة إلى عوامل أخرى تؤثر في المعنى كالحركة الإعرابية والوصل والفصل ، وقد تناول ابن جني هذه العناصر في الخصائص في باب كامل سماه (شجاعة العربية) وخرج عليها الكثير من القراءات القرآنية في المحتسب.

هذا وقد خرجت الباحثة بالنتائج والتوصيات الآتية :

١– التأكيد على أنّ ما قدمه ابن جني وغيره من العلماء، ينبغي أن يسبق أي محاولة للتجديد.

والذي لاشك فيه أن الربط بين القديم والحديث ، يحتاج إلى عمل جادٍ ، وجهد مستمر من أساتذتي العلماء، وزملائي وزميلاتي طلاب الدراسات العليا؛ إذ إن إدراكنا للقديم هو الطريق الوحيد لتأصيل الدرس العربي، ولا يعني ذلك إغفال المناهج الحديثة بل ينبغي لنا أن نتصل بها وندرسها ونربطها بالقديم.

٢ – إنَّ هذا النوع من القراءات المسمّى (القراءات الشاذة) ، يعتبر مرآة صادقة، تعكس لنا الواقع اللغوي ، الذي كان سائداً في الجزيرة العربية آنذاك، وقد تأكد لي ذلك من خلال القضايا اللغوية القيمة من صوتية وصرفية ونحوية، ودلالية، ونقدية، وأدبية، وبلاغية، وغيرها من العلوم والفنون التي تضمنتها

قراءات المحتسب وقد ضاق مجال الباحثة، فلم تتمكن من تناولها جميعها وأرجو أن تكون أشارتي لها مفتاحاً ينير الطريق للباحثين من بعدي لتناولها والبحث فيها.

٣- وبعد وقوفي على القضايا الصوتية ، والدلالية، في المحتسب خاصة قضايا الدلالة الصرفية، إضافة إلى نظراته الثاقبة، والدقيقة ، لأصوات اللغة العربية. فقد ثبت لي أن ابن جني مؤسس علم الفنولوجيا العربية، وهو علم تفاعل الأصوات ووظائفها، وتأثير بعضها في بعض، وما يترتب على ذلك من تطور في الصيغ، أي : أنه يكسف لنا العلاقة بين الدرس الصوتي والصرفي.

كما أنني ومن خلال وقوفي على عناصر التحويل التي ذكرها في باب شجاعة العربية ، فقد وجدته يصنع بينها فصل (الحمل على المعنى) ويذكر أنه من العناصر التي تسهم في تغيير المعنى، ويتناول فيه استعمال اللفظ في غير ما وضع له،كتذكير المؤنث، وتأنيث المذكر، ووضع الواحد موضع الجماعة ووضع الفعل موضع المصدر، والتضمين، وهي موضوعات تناولها علماؤنا القدماء والمحدثون في أبواب البلاغة فنجد ابن جني هنا يربط بينها وبين عناصر التحويل في الدلالة النحوية، وكأنه يريد أن يقول لنا إن علوم العربية في تحليلها لا تنفصل عن بعضها البعض، ولابد من مراعاتها جميعاً عند دراستها.

واسأل الله وحده التوفيق والسداد، وصلى الله على إمام البلغاء، وسيد الفصحاء، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات

السورة	الآية	رقمها	رقم الصفحة
المائدة	... أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ...	١١٦	٢٠٤
الأنعام	... يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ	١٠٩	١٠١
الأنعام	ولِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ	١٣٧	٣٥
الأنعام	ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ	١٥٤	٢٥٦
الأعراف	... حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً...	٣٨	٥
الأعراف	وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً	٦٩	٨٨
الأعراف	وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ	٨٢	٢٩٦
الأعراف	قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ	١٥٦	٤٤
التوبة	أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ	٣	٢٩٠
التوبة	وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ	٢٨	٢٣٢
التوبة	وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا	٤٨	٢٠٨
التوبة	إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ	٨	٤
التوبة	أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ	٨٩	٥
التوبة	يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ	١١١	٥
هود	قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي	٧٨	٥٨
يوسف	... وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ...	٢٣	٢١٩
يوسف	وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ	٨٢	٢٦٠
النحل	وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ	١٢٦	٢٤٩
الإسراء	وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...	٢٤	٦٠

فهرس أبيات الشعر

البيت	القائل	البحر	الصفحة
واحَــرَّ قَلبــاهُ مِمَّــن قَلبُــهُ شَــبِمُ * وَمَن بِجِسمي وَحالي عِنــدَهُ سَــقَمُ	المتنبي	البسيط	٣٥
لَنا الجَفَنــاتُ الغُــرُّ يَلمَعــنَ بِالضُــحى * وَأَسيافُنا يَقطُرنَ مِــن نَجــدَةٍ دَمــا	حسان بن ثابت	الطويل	٢٢٧
أَلَســـتُم عـــائِجينَ بِنـــا لَعَنّـــا * نَــرى العَرَصــاتِ أَو أَثَــرَ الخِيــامِ	الفرزدق	الوافر	١٣٣
وإنَّا إذا ما الموتُ صرَّح فــي الــوغى * لبسنا إلى حاجتنا الضربَ والطعنــا	المتنبي	الطويل	٣٥
مــا يحســن الرُّمــان يجمــع نفســه * فـــي قشـــرة كمـــا نحـــن	أحد المولدين	الكامل	١٨٢
أم كيف ينفع ما تعطــى العلــوقُ بــه * رِئْمانَ أنف إذا مــا ضُــنَّ بــاللبن	أفنون الثعلبي	البسيط	٢٨٤

فهرس الأعلام

أولاً: فهرس المصادر والمراجع العربية

١.	القرآن الكريم على ما يوافق رواية حفص عن عاصم المطبعة التوفيقية القاهرة .
٢.	أبو علي الفارسي- د. عبد الفتاح شلبي – د ط ١٩٥٨م، دار النهضة، مصر
٣.	الإتقان في علوم القرآن للشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط٣، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٤.	أثر عناصر البناء الظاهر للجملة في التفسير الدلالي من خلال القراءات القرآنية – أ. د بكري محمد الحاج، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م- شركة مطابع السودان للعملة.
٥.	أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة- د. فوزي الشايب د ط ٢٠٠٤م- عالم الكتب الحديث.
٦.	أساس البلاغة- لجار الله محمود بن عمر الزمخشري- ط١- ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، دار صادر، بيروت.
٧.	أصوات اللغة محمود عكاشة- ط٢، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي مكتبة دار المعرفة.
٨.	الأصوات اللغوية- إبراهيم أنيس ط٤، ١٩٩٩م، مكتبة الأنجلو المصرية.
٩.	الأصول في النحو لابن السراج تحقيق: عبد الحسين الفتلي ط٣، ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة بيروت.
١٠.	إعجاز القرآن للرافعي، تحقيق سعيد العريان- ط٥، ١٩٥٢م- ط القاهرة.
١١.	أعلام المورد- منير البعلبكي، إعداد رمزي البعلبكي- ط١، ١٩٩٢م.
١٢.	الأعلام- لخير الدين الزركلي – ط ١٠- ١٩٩٢م، دار العلم للملايين.
١٣.	إنباه الرواة على أنباه النحاة للوزير أبي الحسن علي بن يوسف القفطي- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- ط١- ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م- مطبعة دار الكتب المصرية.

١٤.	الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين- للشيخ كمال الدين- أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- ط٢- ١٩٥٣م- مطبعة حجازي- القاهرة.
١٥.	إيجاز التعريف في علم التصريف- لابن مالك- تحقيق محمد المهدي عبدالحي- ط١- ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م- مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
١٦.	بحوث ومقالات في اللغة- رمضان عبد التواب- ط١- ١٩٨٢م- مكتبة الخانجي- القاهرة- ومكتبة الرفاعي الرياض.
١٧.	البداية والنهاية- لأبي الفراء الحافظ ابن كثير الدمشقي- ط١- ١٩٦٦م- مكتبة المعارف بيروت- ومكتبة النصر- الرياض.
١٨.	البرهان في علوم القرآن- للإمام بدر الدين محمد عبد الله الزركشي تحقيق- د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرين - ط١- ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دار المعرفة بيروت.
١٩.	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- ط١- ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.
٢٠.	تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري- تحقيق أحمد عبدالغفور- عطار.
٢١.	تاريخ الأدب العربي- بروكلمان د ط- د ت- دائرة المعارف الإسلامية.
٢٢.	تحبير التسيير- لابن الجزري، تحقيق: أحمد محمد مصلح- ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٠م- دار الفرقان- عمان- الأردن.
٢٣.	التطور اللغوي التاريخي- إبراهيم السامرائي-ط٢، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، دار الأندلس للطباعة والنشر- بيروت.
٢٤.	التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه- د. رمضان عبد التواب د. ط، ١٩٨١م- مكتبة الخانجي القاهرة ودار الرفاعي- الرياض.

٢٥.	التنوعات اللغوية- عبد القادر عبد الجليل- ط١- ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، دار صفاء- الأردن.
٢٦.	تهذيب الكمال- يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن الحجَّاج المربي- تحقيق د. بشار عوَّاد معروف- ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، مؤسسة الرسالة- بيروت.
٢٧.	الجني الداني في حروف المعاني لابن أم قاسم المرادي- تحقيق د. فخر الدين قباوة وأستاذ. محمد نديم فاضل- ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
٢٨.	الجامع الصحيح – للإمام أبوالحسين مسلم بن الحجَّاج بن مسلم، القشيري النيسابوري، د.ط ، د.ت – دار الجيل ودار الآفاق – بيروت .
٢٩.	الحجَّة للقراء السبعة- لأبي علي الفارسي- تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير حويجابي- راجعه عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدفاق- د. ط- ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م- دار المأمون للتراث.
٣٠.	حُجَّة القراءات- للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة- تحقيق: سعيد الأفغاني- ط٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م- مؤسسة الرسالة- بيروت.
٣١.	حرف الجر الزائد في القرآن الكريم- أ. د. بكري محمد الحاج- د. ط- ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م- شركة مطابع السودان للعملة.
٣٢.	خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب- لعبد القادر بن عمر البغدادي- تحقيق وشرح: عبد السلام هارون- ط ٤، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م- مطبع المدني.
٣٣.	الخصائص- لأبي الفتح عثمان بن جني- تحقيق محمد علي النجار- ط٢، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.
٣٤.	خلاصة تهذيب الكمال للخرزي- المطبعة الخيرية.
٣٥.	دراسات في التاريخ الإسلامي- جاد رمضان- د ط، ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م- دار الطباعة الحمدية.

٣٦.	دراسات في فقه اللغة- صبحي الصالح- د ط- ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م- بيروت.
٣٧.	الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني- حسام سعيد النعيمي- د ط- ١٩٨٠م- منشورات وزرة الثقافة والإعلام.
٣٨.	دراسة الصوت اللغوي- أحمد مختار عمر- ط١- ١٩٦٨م- الكويت.
٣٩.	دروس في علم أصوات العربية- جان كانتينو- ترجمة: صالح القرمادي- د. ط ١٩٥٥م- تونس.
٤٠.	دقائق التفسير (الجامع لتفسير ابن تيمية) جمع وتحقيق: محمد السيد الجليند- ط١، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م- دار الأنصار- القاهرة.
٤١.	دلالة الأصوات- إبراهيم أنيس- ط٢، ٢٠٠٤م- مكتبة الأنجلو المصرية.
٤٢.	الدلالة اللواصق التصريفية عند العرب د. عبد الكريم مجاهد- د ط، د ت، دار الضياء للطباعة والنشر.
٤٣.	دلالة اللواحيق التعريفية في اللغة العربية- أشواق محمد النجار- ط١، ٢٠٠٦م- دار دجلة لبنان.
٤٤.	ديوان الهذليين- ط٢، ١٩٩٥م- دار الكتب المصرية القاهرة.
٤٥.	السبعة في القراءات لأحمد بن موسى بن العباس، أبوبكر ابن مجاهد- ط٢، ١٤٠٠هـ- دار المعارف- القاهرة.
٤٦.	سر صناعة الإعراب- لأبي الفتح عثمان بن جني- تحقيق حسن هنداوي- ط١- ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م- دار العلم (دمشق).
٤٧.	سر الفصاحة- لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي- شرح وتصحيح- عبد المتعال الصعيدي- د ط، ١٩٦٩م- القاهرة.
٤٨.	سنن النسائي- بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي- ط٣، ١٤١٤هـ- دار البشائر الإسلامية- بيروت.
٤٩.	شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك تحقيق: محمد محي الدين- د ط، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م- مكتبة التراث- القاهرة.
٥٠.	شرح الأشموني على ألفية بن مالك- تحقيق: حسن محمد- ط١،

	١٤١٩هـ- ١٩٩٨م- دار الكتب العلمية- بيروت.
٥١.	شرح ديوان حسان لعبد الرحمن البرقوقي- د ط، ١٣٤٧هـ- ١٩٢٩م- المطبعة الرحمانية- مصر.
٥٢.	شرح الرضي على الكافية- تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر- منشورات جامعة قار يونس.
٥٣.	شرح المعلقات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني تقديم: محمد المصطاوي- ط٢، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م- دار المعرفة- بيروت.
٥٤.	شرح المفصل للزمخشري- يعيش بن علي بن يعيش- تحقيق: إميل بديع يعقوب- ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م- دار الكتب العلمية- بيروت.
٥٥.	عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني- د. عبد الغفار حامد هلال ، ط١، ١٣٢٦هـ- ٢٠٠٦م، دار الفكر العربي .
٥٦.	علم الأصوات- كمال بشر د. ط، ٢٠٠٠م- دار غريب للطباعة والنشر.
٥٧.	علم الدلالة- أحمد مختار عمر- ط ٥- ١٩٩٨م- عالم الكتب القاهرة.
٥٨.	علم اللغة- علي عبد الواحد وافي- ط١١، ٢٠٠٦م- دار نهضة مصر.
٥٩.	عناصر تحقيق الدلالة في العربية- د. صائل رشدي شديد- ط١، ٢٠٠٤م- الأهلية للنشر والتوزيع- عمان- الأردن.
٦٠.	عنصر العناية والاهتمام في خواتيم الآيات القرآن- أ.د بكري محمد الحاج- د ط، ١٤٣٩هـ- ٢٠٠٨م- شركة مطابع السودان للعملة.
٦١.	العين- لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي- تحقيق: د. مهدي المخزومي ودكتور. إبراهيم السامرائي- د ط- د ت- دار مكتبة الهلال.
٦٢.	غاية النهاية في طبقات القراء- للإمام محمد بن محمد، ابن الجزري- تحقيق: برجستراشر- ط ١٤٠٢هـ- دار الكتب العلمية- بيروت.
٦٣.	فتح الباري على شرح صحيح البخاري- لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي- د ط، ١٣٧٩هـ- دار المعرفة- بيروت.
٦٤.	فقه اللغة- على عبد الواحد وافي- ط٥، ٢٠٠٧م- دار النهضة-مصر.

٦٥.	فقه اللغة- محمد المبارك- ط٢- ١٩٦٤م- دمشق.
٦٦.	فقه اللغة وأسرار العربية- تأليف الإمام أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي- تحقيق: ياسين الأيوبي- ط٢، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م- المكتبة العصرية- بيروت.
٦٧.	في اللهجات العربية- إبراهيم أنيس- ط٣، ٢٠٠٣م- مكتبة الأنجلو المصرية.
٦٨.	في نحو اللغة وتراكيبها- د. خليل عمايرة- ط١٠، ١٩٨٤م- عالم المعرفة- جدة.
٦٩.	الفهرست- لابن النديم- تحقيق الشيخ: إبراهيم رمضان- ط٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م- دار المعرفة – لبنان.
٧٠.	القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي- د. محمود أحمد صغير- د ط، ١٩٩٩م- دار الفكر- دمشق.
٧١.	القراءات القرآنية (بين العربية والأصوات اللغوية)- منهج لساني معاصر- د. سمير شريف استيتيه- د ط، ٢٠٠٥م- عالم الكتب الحديث.
٧٢.	القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث- د. عبدالصبور شاهين- دط، د ت مكتبة الخانجي- القاهرة.
٧٣.	قواعد تحويلية- محمد الخولي- د ط، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م- دار المريخ- الرياض.
٧٤.	الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن حمد ابن عبدالكريم الشيباني المعروف (بابن الأثير)- د ط، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م- دار صادر- بيروت.
٧٥.	الكتاب- لسيبويه- تحقيق: عبد السلام محمد هارون- ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م- مكتبة الخانجي- القاهرة.
٧٦.	لحن العامَّة- لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي- تحقيق: عبد العزيز مطر- ط٢، ١٩٨١م- القاهرة.

٧٧.	لسان العرب- لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور- تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العكبيري- ط٣، ١٤١٩هـ- ١٩٦٩م- دار إحياء التراث العربي- ومؤسسة التاريخ العربي- بيروت- لبنان.
٧٨.	اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج- د. سمير شريف استيتية- د ط، ٢٠٠٥م- عالم الكتب الحديث.
٧٩.	اللغة العربية معناها ومبناها- تمام حسان- ط١- ١٩٧٣م- الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٨٠.	اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين- د. نادية رمضان النجار- مراجعة وتقديم عبده الراجحي- د ط، د ت- دار الوفاء للطباعة والنشر الإسكندرية.
٨١.	اللهجات العربية في القراءات القرآنية- عبد الراجحي- د ط، ٢٠٠٥م- دار المعرفة الجامعية.
٨٢.	متن حرز الأماني ووجه التهاني المعروف بـ(الشاطبية) للإمام: أبي فيره الرعيني الأندلسي الشاطبي- ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م- المكتبة الثقافية- بيروت.
٨٣.	مجمع الأمثال- لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني- ١٩٦٢م- دار مكتبة الحياة- بيروت.
٨٤.	محاضرات في علم اللغة العام أ.د/ البدراوي زهران- ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م- دار العالم العربي- القاهرة.
٨٥.	المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها- لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق: علي النجدي ناصف ودكتور. عبد الحليم النجار- ودكتور عبد الفتاح سلبي- ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م من منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء كتب السنة.
٨٦.	المختصر في أخبار البشر- لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي- ط١- د ت- المطبعة الحسينية المصرية.
٨٧.	المخصص- لابن سيده- د ط- د ت- المكتب التجاري- بيروت.

٨٨.	المدارس النحوية- شوقي ضيف- د ط- ١٩٦٨م- دار المعارف مصر.
٨٩.	مدخل إلى فقه اللغة العربية- أحمد محمد قدور- د ط ١٩٩٩م- دار الفكر المعاصر- بيروت- ودار الفكر دمشق.
٩٠.	مقدمة ابن خلدون- تحقيق: علي عبد الواحد وافي- ط٢- د ت- لجنة البستان العربي- القاهرة.
٩١.	المزهر- للسيوطي- تحقيق أحمد محمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي- ومحمد أبو الفضل- د ط- د ت- دار إحياء الكتب العربية.
٩٢.	مسند الإمام أحمد بن حنبل- لأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني- د ط- د ت- مؤسسة قرطبة القاهرة.
٩٣.	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- للرافعي- تأليف: أحمد بن محمد بن علي الصوفي- د ط- د ت- المكتبة العلمية- بيروت.
٩٤.	معاني القرآن- لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط- تحقيق: فائز فارس- ط٢، ١٩٨١م- الكويت.
٩٥.	معجم الأدباء- لأبي عبد الله ياقوت الحموي- ط الأخيرة- ١٣٤٢هـ- ١٩٩٧م- دار المعرفة- لبنان.
٩٦.	معجم البلدان- للإمام شهاب الدين عبد الله بن ياقوت الحموي- د ط- ١٣٨٦هـ- ١٩٥٩م- دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر.
٩٧.	المعجم الوسيط- لإبراهيم مصطفي وآخرين- تحقيق معجم اللغة العربية بالقاهرة- دار الدعوة.
٩٨.	مغني اللبيب عن كتب الأعاريب- لابن هشام الأنصاري- تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد- ١٩٧١م- دار الفكر بيروت.
٩٩.	المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية- د. محمد سالم الحسن- ط١- ١٣٨٩هـ- ١٩٧٨م- المكتبة الأزهرية للتراث.
١٠٠.	الملل والنحل- لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني- تحقيق: محمد سيد الكيلاني- د ط- د ت- مطبعة مصطفي البابي الحلبي.

١٠١.	المنصف في شرح تصريف المازني- لأبي الفتح عثمان بن جني- تحقيق: إبراهيم مصطفي وعبد الله أمين- ط١- ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م- مطبعة مصطفي البابي الحلبي- مصر.
١٠٢.	الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي- تعليق: محمد الخضر حسين- تصحيح: محمد منير- د ط- ١٣٤١هـ- المطبعة السلفية- مصر.
١٠٣.	النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري- د ط- د ت- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
١٠٤.	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- للقاضي أحمد الشهير بابن خلكان- ط الأخيرة- د ت- راجعته وزارة المعارف العمومية- مطبوعات دار المأمون.
١٠٥.	يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر- لأبي منصور عبد الملك الثعالبي- شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة- ط١- ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م- دار الكتب العلمية- بيروت.

الدوريات والرسائل:

١- بناء الجملة في لهجة الشايقية المعاصرة- أ. د بكري محمد الحاج- رسالة دكتوراه غير منشورة- ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م- جامعة عين شمس.

٢ – مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة التاسعة ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، دار الملك عبدالعزيز الرفاعي

فهرس الموضوعات